وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية

الآياتُ القرآنيّةُ المتعلّقةُ بالإمامِ المهديِّ (عليه السلام)

((دراسةٌ نحويّةٌ دلاليّةٌ))

رسالة تقدم بها الطالب

سجاد عبد الستار شهيد

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة كربلاء

وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها

إشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

مؤيد جاسم محمد حسين

2018م **1439هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

((صدق الله العلي العظيم))

[النور: 55]

ترشيح الرسالة للطبع

نظراً لإنجاز مباحث الرسالة وفصولها الموسومة بـ (**الآيات القرآنيّة المتعلّقة بالإمام المهدي(عليه السلام) دراسة نحوية دلالية**) لطالب الماجستير (**سجاد عبد الستار شهيد**) فإني أرشحها للطبع.

التوقيع:

المشرف: أ.م.د

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٨/٧/٢٠١٨

إقرار المشرف

أشهدُ أنّ الرسالة الموسومة بـ (**الآيات القرآنيّة المتعلّقة بالإمام المهدي عليه السلام دراسة نحوية دلالية**) التي قدَّمها الطالب (**سجاد عبد الستار شهيد**) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها.

التوقيع:

المرتبة العلمية: أ.م.د

الاسم: سكوير هاشم محمد

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ١/٣/١٨ م

بناءً على توصيات المشرف والمقوّم العلمي أرشح هذه الرسالة للمناقشة:

التوقيع:

الاسم: ا.م.د. مسلم مالك الأسدي

التاريخ: ١/٣/١٨ م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ **(الآيات القرآنية المتعلقة بالإمام المهدي (ع) – دراسة نحوية دلالية)** وناقشنا الطالب **(سجاد عبد الستار شهيد مكي)** في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل درجة الماجستير في لغة القرآن وآدابها .

أ.م.د رفاه عبد الحسين مهدي

عضو لجنة المناقشة

٢٠١٨/ ١٠ / ٦

أ.د مصطفى كاظم شغيدل

رئيس لجنة المناقشة

٢٠١٨/ ١٠ / ٤

أ.م.د فليح خضير شني

عضو لجنة المناقشة

٢٠١٨/ ١٠ / ٤

أ.م.د موفد جاسم محمد

عضواً ومشرفاً

٢٠١٨/ ١٠ / ٧

صدّقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية .

التوقيع :

العميد : أ.م. د جاسم عبد الواحد راهي

عميد كلية العلوم الإسلامية /ج جامعة كربلاء

٢٠١٨/ ١١/ ٥

الشكر والامتنان

وبعد كلّ هذا يتشرف قلمي أن يُحييك من الحروف أجملها رونقاً ، ومن الألفاظ أعذبها لحناً ، ومن العبارات أزكاها عطراً ؛ وشّاحاً أُزَيّنُ به أكتاف كلّ مَن ساهم وساعد بإخراج هذا العمل، أخصُّ منهم بالذكر الأستاذ المساعد الدكتور**(مؤيد جاسم محمد حسين)** مشرفاً وموجّهاً ومنقّحاً فله وافر الامتنان والودِّ والعرفان .

عنوان البحث باب البحث ودليله ، الشّكر كلَّ الشّكر للأستاذ المساعد الدكتور **(أمجد الفاضل)** الذي هداني لهذا العنوان وكان سبأَّقاً لمدِّ يدِّ العون .

كما لا يفوتني أنْ أطوّق بالغار رأس أستاذي الأستاذ الدكتور **(حسن عبد الغني الأسدي)** على صبره عليَّ وتوجيهه المستمر .

لكلِّ نهرٍ روافد ، فجزيل شكري وامتناني لرافدي الذي لا ينضب القريب من القلب والدّم الدكتور (**مجيب سعد الكرعاوي**) لِمَا رفد به البحث من جليل المصادر وكبير المراجع .

وكلمة شكر خاصة ، رقيقة ، وعطرة للأخ ابن العمِّ الأستاذ هشام العبودي الذي رافق البّحث فكان المؤيّد والدّاعم والمناقش والمراجع لأفكار البّحث .

ولكي لا يفوتني أحدٌ فإنني وبكلّ فخرٍ واعتزازٍ أتقدَّم بالشّكر الجميل لأساتيذي في قسم اللغة العربية في كليّة العلوم الإسلاميّة لِمَا بذلوا من عظيم جهدهم ولم يبخلوا عليّ من مكنون علمهم فلهم أجمل عبارات الشّكر والامتنان .

عائلتي .. أمّي وأبي ، زوجتي وأطفالي ، أخي وأخواتي . شكراً من صميم القلب لمساندتكم ودعمكم المستمر وصبركم عليّ رغم تقصيري وإسرافي بحقكم . شكرتُ بحجم محبتي.

الإهداء

إلـــى داعي الله وربّانِي آياته . .

إلى الناحية المقدسة . .الشهاب الثاقب والنجـم الطارق . .

إلى الأمل المنشود والمنتظر الموعود . .كلمة الله التامّة . .

الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه وسهّل مخرجه . .

إلـــــى الغائب الآخر . .

القلب الطيّب والكلمة العذبة . .

ودعته الأيادي بالدموع ولم تودعه القلوب . .

يحمله اسمي كما يحمله دمي . .

إليـــــك بين حبات التراب . .

والـــــــدي – رحمك الله –

إلـــى كلّ مَن سالت دماؤهـم دفاعاً عن وطني . .

أهدي هذا الجهد المتواضع لعلّي أضع لُبنةً في بناء الصرح العلمي .

الخلاصة

تحاول هذه الدراسة تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالإمام المهدي (عليه السلام) دراسة نحوية دلالية وتتبع كل ذلك وفق الآيات التي ظهرت في تأويلات المفسيرين والمراجع وأكد انها خاصة بالإمام المهدي (عليه السلام) فالدراسة بمجملها تعتمد على التأويل، وتحاول تطبيق الدراسات الحداثوية لمعرفة كل ما هو مقدس محاولة قراءة هذا المقدس قراءة عصرية تتناسب مع روح العصر لأن الإمام المهدي مايزال يتلفح الازمنة ويتعايش معها فهو مع القرآن قد خلدوا إلى أن يأمر الله برفعهما .

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على ذكر الدلالات المعجمية للألفاظ القرآنية ولاسيما تلك التي أثارتها الأحاديث والروايات الشريفة مرجحاً للفظة دلالة عامة تنسجم مع استعمالاتها اللغوية ومن ثم معرفة التوجيهات النحوية للتراكيب اللغوية. وجاءت الدراسة بتمهيد وثلاثة فصول اهتم التمهيد بدراسة قدرة النحو على اظهار المعنى ومدى علاقته بالدلالة ، فضلا عن ذكره أنواع الدلالات في النص القرآني اختص الفصل الأول بدراسة الألفاظ المفردة وكان على مبحثين الألفاظ المعرفة بأل والألفاظ الغير معرفة بأل ، اما الفصل الثاني فقد درس المركبات اللفظية من اسناد وغيرها . اختص الفصل الثالث بدراسة الجمل والمركبات الاضافي والمزجي وغيرها واما الخاتمة فقد احتوت على جملة من النتائج كان أهمها ان الاستعمال القراني عند النحاة القدامى له علاقة حميمة بين معنى الكلمات ووظائفها النحوية تأكد البحث ان الاستعمال القراني للفظة الساعة معرفة بأل ليست مرادفة للمركب يوم القيامة.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

المقدِّمَة..... 1

التمهيد: تفاعل قوانين النحو والدلالة في إبراز المعنى 5

الفصل الأوّل : الألفاظ المفردة في الآيات المتعلِّقة بالإمام المهدي عليه السلام

توطئة..... 18

المبحث الأول :الألفاظ المعرّفة بـ (أل):

المطلب الأوّل: لفظ (السّاعة)

الدَّلالة المعجميَّة 19

الدَّلالة النحويّة..... 22

الاستعمال القرآني للفظ (السّاعة)ومصاحباته..... 26

المعضِّدات..... 36

المطلب الثاني / لفظ (الدَّاعي)

الدَّلالة المعجميّة 38

الدّلالة النحويّة 39

الاستعمال القرآني للفظ (الدَّاعي) ومصاحباته..... 43

المعضّدات 50

المبحث الثاني :الألفاظ غير المعرّفة بـ(أل):

المطلب الأوّل/ لفظ (عذاب)

الدلالة المعجميّة 53

الدلالة النحويّة..... 57

الاستعمال القرآني للفظ (عذاب) ومصاحباته 61

المعضّدات 68

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

المطلب الثاني : لفظ (دابّة)

الدّلالة المعجميّة 71

الدّلالة النحويّة 72

الاستعمال القرآني للفظ (دابّة) ومصاحباته..... 76

المعضِّدات..... 81

الفصل الثاني :المركبات اللفظيّة في الآيات المتعلِّقة بالإمام المهدي عليه السلام

توطئة 84

المبحث الأول :المركب الاضافي :

المطلب الأول: المركب (يوم الفتح)

الدلالة المعجميّة **86**

الدلالة النحويّة 90

الاستعمال القرآني للمركب (يوم الفتح) ومصاحباته..... 95

المعضِّدات 100

المطلب الثاني: المركب (أَمْرُ اللهِ)

الدلالة المعجميّة 102

الدلالة النحويّة 105

الاستعمال القرآني للمركب (أمر الله) ومصاحباته 107

المعضّدات 112

المبحث الثاني :المركب الوصفي:

المطلب الأول / المركب (فَتْحٌ قَرِيبٌ)

الدلالة المعجميّة 114

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الدلالة النحويّة 116

الاستعمال القرآني لـلمركب (فتحٌ قريبٌ) ومصاحباته 119

المعضِّدات 123

المطلب الثاني: المركب (كرَّة خاسرة)

الدَّلالة المعجميّة 125

الدَّلالة النحويّة 126

الاستعمال القرآني لـ (الرّاجفة، والرّادفة ، والحافرة ، وكرَّة)..... 128

المعضّدات 133

الفصل الثالث :الجمل في الآيات المتعلّقة بالإمام المهدي عليه السلام

توطئة 135

المبحث الأول :الجمل ذات الإسناد المقصود لذاته:

الدَّلالة المعجميّة 137

الدَّلالة النحويّة 141

الدَّلالة القرآنيّة 145

المعضِّدات 154

المبحث الثاني :الجمل ذات الإسناد غير المقصود لذاته:

الدّلالة المعجميّة 157

الدّلالة النحويّة 163

الاستعمال القرآني للفظ (نور) ومصاحباته 169

المعضِّدات..... 177

الاستعمال القرآني : لـ(دين الحق) ومصاحباته..... 179

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الاستعمال القرآني لـ (يوم الدين) ومصاحباته..... 183

المعضِّدات..... 186

الخاتمة..... 189

المصادر والمراجع..... 193

الملخص بالإنكليزي ....

المقدِّمَةُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ سابغ النِّعم، واسع الكرم، معلِّم الإنسانَ ما لم يعلم ، الرَّحمن خالق الإنسان، مُعَلِّهِ البيان، هاديهِ بالقرآن، والصلاة والسلام على مبلِّغ رسالته للعالمين خاتم النبيين وسيد المرسلين، شفيع ذنوبنا وحبيب قلوبنا محمد الصادق الأمين وعلى آل بيته المنتجبين، سادة السادات في الأمم، وهدى الهداة في الظلم، عالم بعد عالم، وقائم إثر قائم، وسلام على المصلحين .

أمّا بعدُ ..

فتتغير العلوم وتتطور بدالّة هندسيّة وبوتيرة متسارعة، يساعدها على ذلك تطور الأدوات من جهة، وتراكم الخبرات والبحوث والدراسات من جهة أخرى، أضف إلى ذلك تفاعل العلوم بعضها مع بعض، وتلاقحها وتأثير بعضها ببعضها، ممّا أدى إلى ثورة معلوماتية كبرى كنتاج مباشر وغير مباشر لنواتج الانفجار المعلوماتي، أو ما يسمى بـ (big data) وثورة الأنترنيت فكان من الطبيعي أن يُلقي ذلك بظلاله على اللغة من حيث هي فكر وأداة له بالوقت نفسه ، ويمكن القول إنَّ اللغة هي الميدان الأرحب والحقل الأخصب للتطور والتقدم والتفاعل البيني مع كلّ متغيرات العصر اللامحدودة، إذ إنّها التعبير الحي عن ضمير أمّة ما أو مدى تطورها العلمي، أو نضجها الفكري أو تفاعلها الأممي.

وكلّنا يُدرك أنّ أيَّ أمّة حيّة لا بدَّ أنْ تمتلك لغة حيّة، فالحياة تعني مواكبة متطلبات العصر وملاءمة كيفياته، والاستجابة الإيجابية لتحدياته، ولغتنا العربيّة لا تنفك عن هذا الصراع الوجودي، وربّما تمتلك من المزايا ما يجعلها المصداق الأوضح لكلِّ ذلك. ربَّما لا نجدُ اليوم أمّة يقرأ أطفالُها نصوصاً كُتِبَتْ قبل أكثر من خمسة عشر قرناً من الآن ، بل ويفهمون أغلبها كما يفهمون ما تكتبه جرائدُ اليوم، وهذه ظاهرة جديرة بالدِّراسة والتحليل . ونحن نعرف ما ضمن لنا ذلك ونعتزُّ به أيمَا اعتزاز، ولكن في الوقت نفسه يفرضُ علينا ذلك تحدِّياً كبيراً وفريداً من نوعه إذ يجب علينا إعادة قراءة ذلك النَّص (المقدس القديم الجديد دائماً) قراءة عصريّة تتناسب مع روح العصر دون أن يفقد النَّص أصالته وهويته . والبحث هنا لا يدعو إلى امتلاك النَّص ولا يؤمن بنظرية موت المؤلف ، ولا يطالب بتطبيق كلّ رؤية أو نظريّة على الكتاب المقدّس، وإنّما يدعو إلى عصرنة النَّظرة وانفتاح الذهنيّة وتجديد أُذن المتلقي ووعيه، ومحاولة إذابة الحدود والحواجز بين المؤسَّسة الدينية والمؤسّسة الثقافيّة للظفر برؤية واضحة تجمع محاسن الاثنتين - نعم - بثبات النّص ووجوب التزام قدسيته - وهذا ما لا

يختلف عليه اثنان - حينها لا يبقى لنا إلا تجديد أدواتنا ونظرتنا ووعينا ومفاهيمنا وطريقة تعاملنا مع النص الثابت . وإيماناً منّا بضرورة ذلك التزم البحث هذه الرؤية وحاول تطبيقها على قضيّة ربّما هي من أهم قضايا الجنس البشري على مدى تاريخه وأهمّ موضوعات النّص القرآني على الرغم من كثرتها ؛ ألا وهي قضيّة استخلاف الإنسان في الأرض ومستقبل الجنس البشري وإقامة الدّين الحق والعدل المطلق، وهذا هو مطلب الأنبياء وحلم الفلاسفة وأمل المصلحين .

ويعتقدُ الباحث أنّ الخوض في هذه القضيّة، هو ممّا تختلط فيه الأوراق وتزلُّ فيه أقدام الرجال فهي من الصعوبةِ بمكان؛ لذا تُمثِّلُ هذه الدِّراسة مُحاوَلَة في ولوج هذه القضيّة بحرصٍ وحذرٍ شديدين .

وقد خطّت هذه الدراسة أولى خطواتها؛ مُحاوِلَة الالتحاق بركب الدراسات الحديثة، في افتراض نظري مَفادهُ التعرّف على بعض الموارد القرآنيّة المتعلِّقة بالإمام المهدي (عليه السلام) وقضيته العالميّة ، فقد جرتْ العادة في بعض الألفاظ والمركبات على أنّها مرادفة ليوم القيامّة ، حتى أصبح من الثابت في بعض الموارد القرآنيّة أنّ أحداثها تدلّ على موت الخلائق وانتهاء زمن التكليف.

وبعد قراءة وتدبر وجد البَّحثُ أنّ في هذا الثابت مازال شيء يمكن قوله ؛ وإنّ خصوصيّة التعبير القرآني ، ودِقَّة اختيار ألفاظه كفيلة بذلك .

إذ وجد البَّحثُ من هذه الموارد ما يَصِفُ الأحداث المستقبليّة التي سوف تقع في عالم الدنيا قبل يوم القيامة - كما سيتضح في صفحات هذه الدراسة - ، وأنّ من هذه الموارد ما يصف الأحداث المهدويّة من فتحٍ عامٍ لكلِّ مغاليق الحياة .

وقد جرت هذه الدِّراسة في منهجٍ وصفيٍ تحليلي يقوم على ذكر الدلالات المعجميّة للألفاظ القرآنيّة، ولا سيّما تلك التي أثارتها الأحاديث والروايات الشريفة، مُرَجِحاً للفظة دلالة عامّة تنسجم مع استعمالاتها المختلفة، ومن ثمَّ تقوم الدِّراسة بعرض التوجيهات النحويّة للتركيب المراد بحثه ، مُرَجِحةً بعضها على بعض بما يتناسب والدّلالة المعجميّة التي تم الحصول عليها سابقاً.

والدِّراسة النحويّة في هذا البحث لم تكن غاية محضة، كما هو متعارف في الدِّراسات النحويّة الكلاسيكية التي تقوم بدراسة موضوعات النحو المختلفة، بل كانت وسيلة لإدراك المعنى، ودالّة على متعلّقات التركيب وإحالاته النحويّة السابقة واللاحقة التي تساعد على فهم المعنى.

ومن أهم ركائز هذه الدِّراسة هي تتبع الاستعمال القرآني للفظة أو المركب المراد دراسته ، مع ملاحظة مصاحباته اللفظيّة التي أثّرتْ في رسم ملامحه وسماته الدلاليّة في جميع سياقاته القرآنيّة ، ولصعوبة البت في دلالة اللفظة أو المركب استندت الدِّراسة إلى بعض الأحاديث والروايات الشريفة، لذا تنوعت مصادر هذه الدراسة ومراجعها ، فمنها كتب الحديث والرواية ، وكتب التفسير ، ومعاني القرآن وإعرابه ، وكتب اللغة من دلالةٍ ومعجمٍ ونحوٍ وصرفٍ ، وغيرها من المصادر التي استند إليها البحث في بيان المعلومة.

والذي لا بدّ من ذكره إنّ ترتيب الألفاظ وتوزيعها على الفصول والمباحث لم يجرِ وفق نظام الألف باء أو التصنيف النحوي أو غيرهما ، بل جرى حسب حاجة البّحث في تقديم هذه اللفظة على غيرها ؛ لِمَا لها من قدرة على استدعاء باقي الألفاظ ، وبيان سماتها الدلالية في الاستعمال القرآني، الذي ينماز بنظام لفظي محكم يربط ألفاظ القضية الواحدة بعضها ببعض ليدلّ بعضها على بعض عن طريق المصاحبات اللفظيّة.

وممّا يجدر الإشارة إليه أنّ البّحثَ وجد صعوبةً بالغةً في دراسةِ جميع الآيات المتعلّقة بالإمام المهدي (عليه السلام) في رقعة محددة تتناسب ورقعة البحث ؛ وذلك لكثرتها وتنوعها ، ولو حرص الباحث على دراستها جميعاً ، لاتَّسعَ البّحث إلى حدِّ التشتت وضياع الفائدة ، لذا عَمَدَ البحث إلى اختيار بعض الآيات لتكون مثالاً في هذه الدِّراسة.

واعتمدتْ الدِّراسة في رسم خطتها على ما جاء في الأحاديث والروايات الشريفة، فقد أشارت بعض الروايات إلى لفظة واحدة ، وصرَّحت أخرى بمركب لفظي ، وركَّز قسمٌ آخرُ على جملةٍ أو أكثر في تركيب ممتد ، ونتيجة لذلك كانت الخطة في ثلاثة فصول مسبوقة بتمهيدٍ يُعنى ببيان قدرة النحو على إظهار المعنى ومدى علاقته بالدلالة والمعنى ،وعرّجتُ فيه إلى ذكرِ ثلاثة أنواع من الدلالاتِ الرئيسة في دراسة النّص اللغوي، وختمتُه بأربعِ مراحلٍ إجرائيّةٍ .

واختصّ الفصل الأول بدراسة الألفاظ المفردة وكان على مبحثين: الأوّل درس الألفاظ المعرّفة بأل ، والثاني درس الألفاظ غير المعرّفة بأل ، وتضمّن الفصل الثاني المركبات اللفظيّة وكان على مبحثين : اهتمّ الأول بدراسة المركَّب الإضافي ، في حين درس المبحث الثاني المركب الوصفي، واختصَّ الفصل الثالث بدراسة الجمل وكان على مبحثين : الأوّل منها في الجمل ذات الإسناد المقصود لذاته ، والثاني : في الجمل ذات الإسناد غير المقصود لذاته ، وخَلُصَتْ الدِّراسة بخاتمة تضمّنتْ أهمّ النتائج التي توصّل البحث إليها.

وكان من لطف الله وعنايته أن أُسندتْ مهمّة الإشراف إلى أستاذ قدير من أساتيذ اللغة وهو الأستاذ المساعد الدكتور مؤيد جاسم محمد حسين، الذي تقف الكلمات عاجزة عن وصفه، لِمَا بذله من وقتٍ وجهدٍ في سبيلِ إنجاح هذا العمل ، فلهُ وافر الشكر والامتنان والعرفان ،إذ كان نعم الأستاذ الصالح و المرشد الناصح، فجزاه الله خير جزاء المحسنين.

وفي الختام لا أدَّعي لهذا العمل الكمال والتمام ،وإنّما هي أفكار متواضعة سطَّرها الباحث بما سمحت له الظروف وطوارق الأيام، وبما توافر لديه من مصادر ومراجع ، فهي بداية طريق طويل في البحث والعلم، أرجو أن تكون لبنة في بناء جدار الفكر والعلم ، فإن أصبتُ فَمِن عندِ الله وإن أخطأتُ فمِن عندِ نفسي وهو دليل على كمال الخالق واحتياج المخلوق.

والحمد لله ربِّ العالمين ...

التمهيد

تفاعل قوانين النحو والدلالة في إبراز المعنى

معلومٌ أنّ علمَ النحوِ يُعنى بمعرفةِ أواخر الكَلِم، من إعرابٍ وبناءٍ ، كما يُعنى بأمورٍ أخرى من حذفٍ وتقديمٍ وتأخيرٍ ، وتفسير لبعض التعبيرات وغيرها . غير أنّه يولي العناية الأولى للإعراب [1]. ومعلوم ما في الإعراب من دلالة على المعنى ، فـ((علاقة النحو بالدلالة قديمة قدم النحو نفسه، وقد ارتبط كلّ واحد منهما بالآخر بأقوى الأسباب. ومن ثم كان النحو كلّه دلالة سواء أكان علامات إعرابية أم أساليب كلامية أم حروفاً وأدوات نحويّة أم قرائن وسياقات))[2]. فمن هنا ظهرت الدلالة النحويّة، فالنحو ليس غاية، بل وسيلة تدلّ على المعنى .

علاقة النحو بالمعنى :

ارتبط النحو بالمعنى منذ نشأته ، فلم ينشأ النحو اعتباطاً ، بل نشأ لعصم الألسن من اللحن والخطأ ، ولفهم معاني القرآن الكريم ، فاللغويون والنحاة القدامى((كانوا يحرصون معاً على جانب المعنى لكتاب الله بقدر ما كانوا يحرصون على جانب الصناعة ، بمعنى أن يتم تصوير المعنى في عبارة تستوفي شرائط الصحة اللغوية والنحوية))[3]، فالتفكير النحوي انطلق من القرآن الكريم ، فـ((ظهر اتجاه قوي في الدرس النحوي يُعنى بالمعاني والأساليب والتراكيب ونظم الكلام))[4]. واهتمام النحو بالمعنى تَجِدَهُ واضحاً عند إمام النحاة سيبويه(ت180هـ) في باب استقامة الكلام، الذي يُبّينُ فيه العلاقة بين اللفظة في ما تشغله من مواقع إعرابية وبين معناها المعجمي ، فالمعنى يَظهرُ عِبر علاقة اللفظة مع بقيّة الألفاظ الممتدة في تركيب واحد، قال سيبويه : ((هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، فمنه مستقيم حسنٌ ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب ، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتُك أمْسِ ،وسآتيك غداً ، وأمَّا محال فأن تنقض أوَّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمس، وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبلَ، وشربت ماء البحر ونحوه ، وأمّا المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك وأشباه هذا ، وأمّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر

---

[1] ينظر: معاني النحو ، د. فاضل السامرائي : (5/1).
[2] الدلالة ونظرية النحو العربي ، محمد عامر معين : 7. ، والدلالة النحوية بين القدامى والمحدثين ، د. زينب مديح جبارة النعيمي:10.
[3] نظرية النحو القرآني بين الدلالة اللغوية والدلالة الدينية ، كعواش عزيز : 3.
[4] النحو القرآني في ضوء لسانيات النّص، د. هناء محمود :20.

أمسِ))[1]. فيُلحظ في هذا النّص كيف يتجلى المعنى من علاقة اللفظة مع بقيّة الألفاظ الممتدة معها في التركيب ، ومدى علاقة الموقع الإعرابي للفظة بمعناها المعجمي ، وعِبر هذه العلاقة تُرسم دائرة استقامة التركيب من عدمه ، فمن هنا تَجدُ أساتذة النَّحوِ يطلبون من تلاميذهم إعطائهم (جملة مفيدة) أي ذات معنى ، وليستْ ألفاظاً مسطَّرة على وفق قاعدةٍ نحويةٍ لا تأتلف ألفاظها لتُعطي معنىً مفيداً.

فالمعنى النّحوي يَظهرُ من علاقة الألفاظ بعضها ببعض ضمن سياق لغوي وهذا ما أكّده عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ) في قوله: ((ليس للمزيّة التي طلبوها موضع ومكان تكونُ فيه إلّا معاني النحو وأحكامه . وذلك أنّهم قالوا : إنّ الفصاحة لا تظهر في أفرادِ الكلمات وإنّما تظهر بالضمِّ على طريقة مخصوصة . فقولهم : (بالنَّظم) لا يصحُّ أن يراد به النّطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معانيها لأنّه لو جاز أن يكون لمجرد ضَمِّ اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي إذا قيل : (ضحِكَ خَرَجَ) أن يحدث من ضَمِّ (خرج) إلى (ضحك) فصاحة . وإذا بطل ذلك لم يبقَ إلّا أن يكون المعنى في ضمِّ الكلمة إلى الكلمة توخّي معنىّ من معاني النحو فيما بينهما))[2]. فعِبرَ علاقة الألفاظ وتوخيها لمعاني النحو في سياق لغوي وضع الجرجاني نظرية (النَّظم) ، كما في قوله: ((اعلم أن ليس (النَّظمُ) إلّا أن تَضعَ كلامكَ الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نُهِجَتْ فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رُسِمت لك ، فلا تُخِلُّ بشيء منها ... فلا ترى كلاماً قد وُصِف بصحَّةِ نَظْمٍ أو فساده ، أو وُصِف بمزيَّةٍ وفضلٍ فيه ، إلا وأنت تجد مرجعَ تلك الصَّحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل ، إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ، ويتَّصل ببابٍ من أبوابه))[3]، فالأدوات النحوية تُساعد في معرفة الترابط اللغوي والمعنوي بين المفردات الممتدّة في تركيب ما، وبين باقي التراكيب أو الجمل المجاورة له.

ويربط السكّاكي (ت:626هـ) المعنى في الجانب التركيبي من الكلام ، كما في قوله: ((اعلم أن المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمَّن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب البلغاء لا الصادرة عمَّن سواهم))[4]. فإخراج المعنى عند

---

[1] الكتاب، سيبويه: (25/1).
[2] دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني: 394.
[3] المصدر نفسه : 81-83.
[4] مفتاح العلوم، السكاكي :161.

السكّاكي هو بتتبع تراكيب الكلام ومفادها، وهذا ليس ببعيد عن مفهوم عبد القاهر في تركيزه على الجانب التركيبي للكلام وعلاقته بتكوين المعنى[1].

ويرسمُ لنا الجاحظ (ت:255هـ) حيّز المعنى وكيفيّة إحيائه وإدراكه في قوله:((المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمتخلّجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره. وإنّما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وأخبارهم عنّها، واستعمالهم إياها. وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجليها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهراً، والغائب شاهدا، والبعيد قريباً ...))[2] . فالمعنى هو الصورة الذهنية المتخلّجة في صدور الناس.

ويربط الشريف الجرجاني (ت:816هـ) بيّن المعنى والألفاظ في قوله: ((المعاني: هي الصورة الذهنية؛ من حيث إنّه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنّها تُقصَد باللفظ سُمِّيت: مفهومًا))[3]، فالمعاني مفاهيم تُقْصَدُ عِبْرَ الألفاظ ،ليتم إظهارها بصورة تلائم ما في عالم الذهن والتصور[4].

وعلاقة الدلالة المعجمية بالوظيفة النحوية علاقة حميمة لا يمكن التفريط بها ، ويوضحُ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف هذه العلاقة في قوله : ((ومن هنا كانت ضرورة البحث في التقاء (النحو والدلالة)، غير أنني قصدت منه إلى أمرين :أوّلهما الكشف عن هذا الجانب المهم في تراثنا النحوي ، ومدى اهتمام علمائنا القدماء به، وثانيهما أن يكون هذا البحث – وهذا الغرض الأهم – مدخلاً لدراسة (المعنى النحوي الدلالي) حتى يعود للنحو العربي دوره الفعّال في فهم النّص وكشفه . وقد كان النحو العربي منذ نشأته الأولى مهتماً بالمعنى ، يعتمد به وبدوره في التقعيد . وهناك تفاعل قائم مستمر بين الوظيفة النحوية والدلالة المعجميّة للمفرد الذي يشغل هذه الوظيفة . ويشكل هذا التفاعل بينهما ، مع الموقف المعين، المعنى الدلالي للجملة كلّها))[5]. وفي موطنٍ آخر يُبَيِّنُ أنّ المعنى النحوي الدلالي ما هو إلّا ممازجة المعنى المعجمي الأولي مع المعنى النحوي الأولي، كما في قوله: ((حيث تندمج في تواؤم حميم

---

[1] ينظر: الآيات المتعلقة بالإمام علي عليه السلام(دراسة في ضوء المعنى النحوي الدّلالي) ، رضي فاهم :20.

[2] البيان والتبيين، الجاحظ : (75/1).

[3] التعريفات:220.

[4] ينظر : الآيات المتعلقة بالإمام علي عليه السلام (دراسة في ضوء المعنى النحوي الدّلالي) :20.

[5] النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي) ، محمد حماسة :19.

قوانين النحو مع قوانين الدلالة ، أو بعبارة أخرى قوانين المعنى النحوي الأولي وتمثله (الوظائف النحوية المختلفة) مع قوانين دلالة المفردات الأولية وتمثلها الدلالة المعجمية للكلمة ، وتمتزج فيما يمكن أن يسمى (المعنى النحوي الدلالي)))[1]. فتحديد دلالة الجملة يكون عِبرَ علاقة التفاعل بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي الأولي. و((دراسة النّحو على أساس المعنى ، علاوة على كونها ضرورة فوق كلّ ضرورة ، تُعطي هذا الموضوع نداوة وطراوة، وتكسبه جدة وطرافه ، بخلاف ما هو عليه الآن من جفاف وقسوة))[2]. لذا هَدَفتْ هذه الدراسة إلى تتبع المعنى ورصده عِبرَ الدلالات النحويّة ، مع ملاحظة العلاقة القائمة بين الدلالة المعجميّة للمفردات ، والدلالة النحويّة لها.

المعنى والدلالة :

يُعدّ تتبع المصطلح وتحديد مفهومه من منهجية الدراسة العلمية ؛ فكثيراً ما يتوهم الباحث بأنّ هذا المصطلح هو من المترادفات أو من المشترك اللفظي ؛ لذا تَجِدُ بعض الباحثين استعمل لفظتي(المعنى والدلالة) كأنّهما مترادفتان[3] ، و((منهم مَنْ رأى أن المعنى أوسع من الدلالة، لاقتصار الأخير على اللفظة المفردة، وعدَّ أخرون الأمر معكوساً ،فالدلالة عندهم أوسع من المعنى وعندهم أن كل دلالة تتضمن معنى ، وليس كل معنى يتضمّن دلالة، فبينهما عموم وخصوص))[4]. وغالباً ما يأتي هذا الاختلاف من اختلاف المناهج المُتَبعة في تحديد المصطلح.

المعنى في اللغة يُراد به المَغْزى أو القَصْدُ الذي يَظْهَر، جاء في العين:((عناني الأمر يَعْنيني عِناية فأنا مَعنيّ به. واعتنيت بأمره ... ومَعْنَى كلّ شيء: مِحْنَتُهُ وحالُه الذي يصير إليه أمره))[5] ، فهو قَصْدُ الشّيء لإظهاره ، يُقال:((عَنَيت فلَانا عَنْياً أَي قصدته وَمَنْ تَعْنِي بِقَوْلِك؟ أَي من تقصد؟ وعناني أَمرك أَي قصدني))[6]. فالمعنى:((هُوَ الْقَصْدُ الَّذِي يَبْرُزُ وَيَظْهَرُ فِي الشَّيْءِ إِذَا بُحِثَ عَنْهُ. يُقَالُ: هذا مَعْنَى الْكَلَامِ وَمَعْنَى الشِّعْرِ، أَيِ الَّذِي يَبْرُزُ مِنْ مَكْنُونِ مَا تَضَمَّنَهُ اللَّفْظُ. وَالدَّلِيلُ عَلَى الْقِيَاسِ قَوْلُ الْعَرَبِ: لَمْ تَعْنِ هَذِهِ الْأَرْضُ شَيْئًا وَلَمْ تَعْنُ أَيْضًا، وَذَلِكَ إِذَا لَمْ تُنْبِتْ، فَكَأَنَّهَا إِذْ كَانَتْ كَذَا فَإِنَّهَا لَمْ تُفِدْ شَيْئًا وَلَمْ تُبْرِزْ خَيْرًا))[7].

---

(1) النحو والدلالة، محمد حماسة:65.
(2) معاني النحو : (8/1).
(3) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: 11.
(4) علم اللغة التطبيقي في التراث العربي: د. هادي نهر : 28-29.
(5) العين: (عنى).
(6) تهذيب اللغة: (عنى).
(7) معجم مقاييس اللغة. (عنى).

في حين ذَكَرَتِ المعاجمُ العربية (الدلالة) تحت الجذر (دلَّ) و((الدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ، وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ، وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ قَوْلُهُمْ: تَدَلْدَلَ الشَّيْءُ، إِذَا اضْطَرَبَ))[1]. فيُلحظ أن إبانة الشّيء تحصلُ بوساطة ؛ لذا قال: ((بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا))[2]. فالدَّلُّ هو تسديد الشيء وهَدْيه إلى القَصْدِ أو المُراد، جاء في لسان العرب: ((الدَّلُّ قَرِيبُ الْمَعْنَى مِنَ الهَدْيِ، وَهُمَا مِنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ فِي الْهَيْئَةِ والمَنْظر وَالشَّمَائِلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ... ودَلَّه عَلَى الشَّيْءِ يَدُلُّه دَلًّا ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إليه، ودَلَلْته فانْدَلَّ... والدَّلِيل: مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ. والدَّلِيل: الدَّالُّ))[3]، واستعمل القرآن الكريم لفظ (دلّ) وما يُشتَقُّ منه في معنى الإرشاد والهدايّة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه:120]، وقوله :﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾[سبأ:14]، أي: ما هداهم على موته ، والهدايّة تعني التَّمَكّن من الوصول إلى الشّيء[4]. فالدلالة: إجراء يُمَكِّنُ من الوصول إلى المعنى ؛ لأن المعنى شيء خفي ، لابدّ أن يُظهره شيء محسوس ، قال الجاحظ : ((وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودِقّةِ المَدْخَل، يكون إظهار المعنى . وكلّما كانت الدّلالة أوضح وأفصح ، كانت الإشارةُ أبيَنَ وأنورَ ، كان أنفعَ وأنْجع. والدّلالة الظاهرةُ على المعنى الخفيّ هو البيان الذي سمعت الله عزّ وجلّ يمدحه ، ويدعو إليه ويحثُّ عليه))[5]. فالدّلالة عند الجاحظ تختلف عن المعنى ، وعلى قدر وضوحها يكون إظهار المعنى ، وتحدّث في موطن آخر عن حكم المعاني قائلاً :((إنّ حُكْمَ المعاني خلاف حكمِ الألفاظ ؛ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية ، وممتدّة إلى غير نهاية ، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ، ومحَصَّلةٌ محدودة. وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظٍ وغير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أوّلها اللفظ ، وثمَّ الإشارة ، ثمَّ العَقْد ، ثم الخطّ ، ثمَّ الحالُ التي تسمّى نِصبةً. والنِّصبة هي الحال الدالّة، التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصِّرُ عن تلك الدلالات ، ولكلِّ واحدٍ من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحِلية أُختها ؛ وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التَّفسير...))[6]. فحكم المعنى يختلف عن حكم اللفظ ؛ لأن اللفظ هو أحد

---

(1) المصدر نفسه: (دلّ).
(2) المصدر نفسه: (دلّ).
(3) لسان العرب: (دلل).
(4) ينظر: الفروق اللغوية:(209/1).
(5) البيان والتبيين: (75/1).
(6) المصدر نفسه: (76/1).

الدلالات الخمسة التي تكشف لك عن المعنى ، قال الشريف الجرجاني: ((الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النّص، وإشارة النّص، ودلالة النّص، واقتضاء النّص. ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النّظم إمّا أن يكون ثابتًا بنفس النّظم، أو لا، والأول: إن كان النّظم مسوقًا له، فهو العبارة، وإلا فالإشارة، والثاني: إن كان الحكم مفهومًا من اللفظ لغة فهو الدلالة، أو شرعًا فهو الاقتضاء؛ فدلالة النّص عبارة عمّا ثَبُتَ بمعنى النّص لغة لا اجتهادًا))[1]؛ أي بسماع اللفظ يُفهمُ المعنى لا اجتهاداً.

فالدلالة يَمكنُ عَدّها ((إجراء عملي للوصول إلى تحديد المعنى وعلاقةٌ بين الدال والمدلول))[2]؛ ولذا برز ((الدرس الدلالي الحديث يهدف اساساً إلى التعرف على القوانين التي تشرف على النظام اللغوي ، وذلك بتحليل نصوص لغوية بقصد ضبط المعاني المختلفة بأدوات محددة وفي هذا سعي إلى تنويع التراكيب اللغوية لأداء وظائف دلالية معينة))[3] . فالدرس الدلالي يمثل مجموعة من القوانين والإجراءات التي تقوم بتحليل النصوص اللغوية لضبط المعاني المختلفة ، ومن هنا ظهرت في الدرس الدلالي الحديث عِدّة نظريات تهتمُّ بدراسة المعنى، من نحو: اشارية أوجدن ورتتشاردز ، وسلوكية بلومفيلد ، وسياقية فيرث، وغيرها من النظريات الدلالية التي أولت المعنى اهتماماً ،ومن مجمل الاتجاهات اللغوية الحديثة التي تهتمُّ بدراسة المعنى - بغض النظر عن المنهج الذي تدرس فيه الموضوع - يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الدلالة **هي: الدلالة المعجمية، والدلالة التركيبية، ودلالة النّص**[4]، **ويمكن إيضاح كلّ نوعٍ بما يأتي:**

أولاً: الدلالة المعجميّة: وهي التي تَدلُّكَ على معاني الألفاظ المفردة المدوّنة في المعجم، ولمّا كان المُعْجَمُ عبارة عن مُؤَلَفٍ يَجمعُ بين دفتيه الألفاظ المفردة في لغة من اللغات ، ويقوم بذكر استعمالات الأفراد لهذه المفردات على مُخْتَلَفِ ثقافاتهم وبيئاتهم، ويقوم بشرح هذه الاستعمالات أو الشواهد ليُعطي معاني المفردات، وهذه العملية يترتب عليها أن يكون المعنى متعدد وفضفاض ، ومن هنا فرّق علماء الدلالة بين أنواع المعنى للألفاظ المفردة، والتي يمكن اجمالها على النحو الآتي[5]:

---

[1] التعريفات : 104.
[2] الآيات المتعلقة بالإمام علي (عليه السلام) : 24.
[3] علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل : 53.
[4] ينظر: أثر الوقف على الدلالة التركيبية، د. محمد يوسف حبلص :65 .
[5] ينظر: علم الدلالة ،أحمد مختار عمر: 36-41، وأثر الوقف على الدلالة التركيبة : 65-67.

1- المعنى الأساسي أو الأولي أو المركزي، أو التصوري، أوالمفهومي، أو الإدراكي : وهو المعنى المتبادر إلى الذهن ، فبمجرد سماع اللفظ يتبارد إلى الذهن المعنى ، نحو لفظة (صبي) فأي عربي يسمعها يتبادر إلى ذهنه أنها تعني : إنسان ذكر غير بالغ .

2- المعنى العرضي أو الإضافي أو الثانوي أو التضمّني: وهو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التصوري الخالص. فهو معنى زائد على المعنى الأساسي ، لا يتّسم بالثبوت والشمول ، وإنّما يتغير بتغير الزمن أو الثقافة أو بنظرة البيئة لِمَا يشير إليه هذا اللفظ ، فينظر إليه من رؤية خاصة أو موقف معين. فإذا كان لفظ (امرأة) يدلّ في المعنى الأساسي على (+إنسان – ذكر +بالغ) ، فهذه الملامح الثلاثة تقدّم المعيار الصحيح لاستعمال هذه المفردة، في حين توجد معانٍ إضافية اخرى ، وهي صفات غير معيارية ؛ لأنها متغيرة من زمن إلى زمن ، ومن بيئة إلى بيئة، تعكس نظرة المجتمع ، أو جماعة معينة للفظ (امرأة) ، من نحو (الثرثرة ، أو إجادة الطبخ، أو العاطفية،...إلخ).

3- المعنى الأسلوبي: وهو المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة بالنسبة للظروف الاجتماعية لمستعملها والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها . فهي تعكس الطبقة الاجتماعية أو الثقافية أو البيئية أو الاقتصادية المختصة بمستعمل المفردة، كما تكشف عن درجة العلاقة بين المتكلم والمُخاطَب ، ورتبة اللغة ، ونوع اللغة ، والواسطة . مثلاً لفظة (داد) تدلّ على أن مستعملها من الطبقة الأرستقراطية ، ولفظ (والد) تدلّ على أنّ مستعملها من المثقفين ، ولفظ (أبويا) تدلّ على أنّ مستعملها من العوام ، مع أنّ هذه الألفاظ جميعها تدلّ على معنى لغوي أساسي هو (الأب).

4-المعنى الإيحائي: وهو ذلك النوع من المعنى الذي يتعلق بألفاظ ذات مقدرة خاصة على الإيحاء لشفافيتها ، مثل لفظ (صَدَّ) التي تدلّ على القوة والمنعة والصلابة ، وهي دلالة أوحى بها التركيب الصوتي لهذه الكلمة، في حين لا تجد هذه الدلالة مع لفظة (سد) التي تشاركها المعنى الأساسي. والتأثيرات التي تؤثر في هذا النوع من المعنى هي : (التأثير الصوتي، والتأثير الصرفي، والتأثير الدلالي).

5-المعنى النفسي: وهو ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد ، فهو معنى فردي ذاتي يعكس حالة الفرد النفسية ، فهو لا يتسم بالشمول أو التداول بين جماعة لغوية معينة. وغالباً ما يظهر هذا المعنى في أشعار الشعراء حيث تنعكس المعاناة الذاتية بصورة جلية تجاه استعمال ألفاظ معينة تبرز المعاناة النفسيّة لدى الفرد.

ويُمكن إضافة معنى آخر إلى هذه المعاني ، يمكن تلمّسهُ عند ابن فارس(ت:395هـ) في معجمه مقاييس اللغة الذي طالما سعى فيه إلى ردِّ أصول الألفاظ واستعمالاتها إلى معنى عامٍ يجمعها وهو المعنى الذي يدلّ عليه جذر اللفظ أو ما يُشتقُ منه ، وضمن هذا المعنى يمكن استعمال اللفظ في مجالات مختلفة ، معنوية أو مادية. من نحو : لفظ (بحر) و ((البَحر سُمِّيَ به لاستِبحاره، وهو انبِساطُه وسَعَتُه. وتقول: استَبْحَرَ في العلم. وتَبَحَّر الراعي: وقع في رعْيٍ كثير))[1]. فَكثرة الشيء وسعته ، يمكن أن يُعَدّ المعنى العام للفظ (بحر) مثلاً ، وضمن هذا المعنى يمكن استعمال اللفظ في المعنويات والماديات ، فإطلاق لفظ (بحر) على الأرض المملوءة بالماء ، ليس لأن لفظ (بحر) وضِعَ لها ، بل لأنّ هذه الحالة استوجبت هذا المعنى ؛ لسعته وكثرة الماء فيه ،((قَالَ بَعْضُهُمْ: الْبَحْرَةُ الْفَجْوَةُ مِنَ الْأَرْضِ تَتَّسِعُ))[2]، وقولك للعالِمِ : بحر ، لكثرةِ علمهِ وسعتهِ ، ويمكن إطلاق هذا المعنى على مكانٍ قد امتلأ بالدّم جرّاء معركة عظيمة ، فتقول: بحر من الدّم: لكثرة الدّم وسعته ، وقولك : بحر من الجود ، أي واسع العطاء، فكثرة العطاء وسعته هي التي استوجبت لفظ (بحر) ،وهكذا المفردات الأخرى .

فمثلاً لفظ (شعل) الذي يأتي بمعنى : انتشار سريع وعشوائي ، يُقال:((جراد مُشْعِلٌ: متفرق كثير))[3] ، فهو ((يَدُلُّ عَلَى انْتِشَارٍ وَتَفَرُّقٍ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ مِنْ جَوَانِبِهِ))[4]، فيُقال: اشتعل البيت ناراً : أي انتشرت فيه النار بصورة سريعة وعشوائية، وقوله تعالى: ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾[مريم:4]، أي انتشر الشيب في الرأس بصورة سريعة وعشوائية ،ويُقال : اشتعل الرأس أفكاراً: إذا انتشرت فيه الأفكار بصورة غير منظّمة، و يقال :اشتعلت الفتنة : أي انتشرت ولا بدّ أن يكون هذا الانتشار سريعاً وعشوائياً ، أي جاءتْ الأخبار من هنا وهناك لإشعال الفتنة.

فلفظ (شَعَلَ) لم يُوضَعْ ليُسْتَعْمَل مع النّار فقط فيكون الكلام حقيقياً ، ومع غيرها يكون مجازاً ، فالقرآن الكريم لم يستعمل مادة (ش ع ل) مع النّار قط.

وكذلك لفظ (وجه) الذي يدلّ على ما يُعْرَفُ به الشّيء فهو ((يَدُلُّ عَلَى مُقَابَلَةٍ لِشَيْءٍ. وَالْوَجْهُ مُسْتَقْبِلُ لِكُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ وَجْهُ الرَّجُلِ وَغَيْرُهُ))[5]. فمِن هذا المعنى العام يمكن استعمال اللفظ في المعنويات والماديات ، نحو (وجهاء القوم ،وواجهة

---

[1] العين : (بحر).
[2] معجم مقاييس اللغة : (بحر).
[3] العين : (شعل)
[4] المصدر نفسه : (شعل).
[5] العين: (وجه).

البيت ،ووجه الإنسان ، وواجهة الكتاب ، وكلام وجيه... إلخ) . ودقّة التأمّل في استعمالات اللفظ تُعطيه معنىً أدق ، فكلّما كان التفكير سليماً ، والتأمّل دقيقاً في استعمالات اللفظ كان المعنى العام له أكثر دقة ، مع مراعاة الدّلالة الصرفيّة للألفاظ ؛ أي أنّ المعنى العام لا يمثل الدلالة الصرفيّة للألفاظ، بل يمثل ما تشترك به مشتقات الألفاظ ، مثلاً : لفظ (كَسَرَ) لا يساوي في الدلالة لفظ (كَسَّر) ، لكنه يشترك معه في معنى عام. فللفظ المفرد معنىً عام يُمَكِّنه من الاستعمال في أمور مختلفة، وعلى هذا المعنى عوّلَ الباحث في هذه الدراسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم عام لكلِّ لأزمنة والأمكنة والطّبقات .

ثانياً : الدلالة التركيبية :

تُطلق الدلالة التركيبة على ((الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب أو المستمدة من ترتيب وحداته على نحو ما . ووحدات التركيب تشمل : المورفيمات[1] والكلمات والفونيمات[2] فوق المقطعية))[3]. فهي سلسلة من الوحدات المترابطة تقوم بينها مجموعة من العلاقات النحوية ، فالتركيب اللغوي يحوي طائفة من العلاقات النحوية، من نحو (الأسمية ، والفعلية ، والفاعلية ، والمفعولية ، والحالية، وغيرها). وهذه العلاقات النحوية هي التي تُبرز الدلالة التركيبية ، وأي تغيير في الترتيب يؤدي إلى تغيّرٍ في الدلالة.

ولمّا ((كانت الكلمات تمثل الأجزاء التي تتكوّن منها الجملة فإن معنى الجملة يعتمد أساساً على معنى مكوناتها أي معنى الكلمات . ولمّا كانت الجملة وحدة نحوية تعتمد على تنظيم الكلمات وتحديد وظيفة هذه الكلمات في الجملة ، فإن هذه الوظائف النحوية تسهم هي الأخرى في تحديد معنى الجملة))[4] فمعنى الجملة مستمد من معنى مكوناتها وهي الكلمات ، ولكن الدلالة النحوية ناشئة عن علاقة وحدات التركيب وكيفية ترتيبها، فمثلاً : قتل الزبون البائع ، وقتل البائع الزبون . فالمعنى النحوي اختلف باختلاف موقع الكلمات[5]، ((ولكن المعنى العام للجملة لا يتأتّى من المعنى النحوي وحده وإنّما هو ثمرة ربط المعنى بعلم الدلالة، لأن المعنى الدلالي

---

[1] المورفيم : هو ((أصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى أو وظيفة نحوية في بنية الكلمة)) ينظر:علم اللغة ، د. حاتم صالح الضامن :58.

[2] عرَّف دانيال جونز الفونيم: بأنّه ((عائلة أو أسرة من الأصوات في لغة معينة ، متشابهة في الخصائص ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد من أعضائها أن يقع في كلمة من الكلمات في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها)) علم الأصوات العربية :132.

[3] أثر الوقف على الدلالة التركيبية: 68.

[4] الدلالة والنحو ، د. صلاح الدين صالح حسنين : 54

[5] ينظر: المرجع نفسه:54.

يشمل المعنى النحوي وطريقة التركيب وعلى هذا فإن الدلالة النحوية هي التي تحصل على نتيجة التفاعل بين الوظائف النحوية والمفردات المختارة لشغلها في بناء الجملة الواحدة ، وتتآزر القرائن اللفظية والمعنوية ودلالات السياق المختلفة ، وطريقة التركيب اللغوي ، ويكون للنحو النصيب الأكبر فيها لبلوغ المعنى الدلالي العام وفهمه وتحليله إلى عناصره تحليلاً دقيقاً))[1]. فالدلالة النحوية يكون لها الحظ الأكبر في تحليل الجملة وفهم وحداتها ، ومعرفة درجة الترابط فيما بينها وبين الجمل السابقة لها أو اللاحقة بها .

ثالثاً : دلالة النَّص:

شَهَدَ الدّرس اللغوي المعاصر تطوراً كبيراً ، فبرزت النظريات ، والاتجاهات ، والمناهج التي تهتمُّ بدراسة اللغة ، نظامها وخصائصها . ومن العلوم التي تعنى بدراسة اللغة (علم النّص)، أو(علم دلالة النّص) ، أو(نحو النّص)، أو (علم اللغة النّصي)، أو (نظرية النّص) ، وغيرها من التسميات التي أُطلِقتْ على هذا العلم[2].

ومصطلح (النّص) مصطلح قديم حديث ، استُعْمِلَ قديماً في العبارات الآتية: النّص القرآني ، والنّص الأدبي أو اللغوي...إلخ . دون أن تَجِدَ له تحديداً علمياً يُفيد بأنّ هذا التحديد يُقابل التحديد العلمي لِمَا يُفيدهُ هذا المصطلح في الدراسات اللغوية الحديثة . فالقرآن الكريم عندهم نصٌ ، والقصيدة الشعرية عندهم نصٌ، وكتاب مثل (يتيمة الدّهر) يُعَدُّ نصّاً نثرياً ، دون تحديد لِمَا يقصدونهُ بالنّص[3].

في حين تَجِدُ هذا المصطلح في الدراسات اللغوية الحديثة أصبح علماً واعداً له أبعاده ومعاييره ، وتحديداته يُساعدُ ((في فكِّ شفرة الرسالة اللغوية والانطلاق على أبعادٍ أوسع ترى في النّص (علامة) تحمل دلالات أكثر تكثيفاً وتحتاج في فهمها إلى وضعها في الإطار السيميولوجي[4] الواسع الذي تُفَسَّر به العلامة))[5]. فيلحظ أن النّص متكون من وحدات متماسكة ومترابطة تحمل دلالات متقاطعة كُتِبَتْ عن خبرة سابقة، أي :إنّ الوحدات السابقة مرتبطة ودالة على الوحدات اللاحقة بها ، ((فهو دراسة للأدوات اللغوية للتماسك الشكلي والدلالي للنص، بالإضافة إلى أهمية السياق

---

(1) الدلالة النحوية بين القدامى والمحدثين ،د. زينب النعيمي :10.
(2) ينظر : الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم على ضوء التحليل اللساني ، مجيب سعد:26.
(3) ينظر : أثر الوقف على الدلالة التركيبية : 70-71.
(4) أي علم الدوال اللغوية وغير اللغوية من (اشارات وعلامات ، ورموز...).
(5) أثر الوقف على الدلالة التركيبية:71.

، ودور الكفاءة المعرفية للمتلقي في ممارسته لتحليل النص))[1]. فالنصُّ هو البُنية الكبرى في اللغة المكتفي بذاته والمكتمل دلالياً .

المعايير النَّصية[2]:

1-الاتساق ويسمى بالسَّبك، أو الربط النحوي: ويراد به الإجراءات المستعملة في ربط الجمل بعضها ببعض المتمثلة بالأدوات الشكلية أو الدلالية من ضمائر وغيرها ، التي تساعد القارئ على فهم النّص ومتابعة خيوطه المتحركة ، والاتساق على نوعين : أولهما الاتساق النحوي ، ويشمل : الاحالة المتبادلة (الداخلية ،والخارجية) – والاستبدال – والحذف – والربط). وثانيهما الاتساق المعجمي، المتمثل : بعلاقة التكرار – وعلاقة المصاحبات المعجمية .

2-الانسجام ويسمى بالحبك، أو الربط الفكروي أو التماسك الدلالي: يُعَدُّ الانسجام من المعايير المهمة التي تضمن للنص ترابطه الفكري أو الدلالي ، والانسجام : ((علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير هذا النّص ، وهذا العنصر الآخر يوجد في النص غير أنه لا يمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسكية))[3] فيلحظ أن الانسجام يمثل مفاتيح تساعد المتلقي على فهم النص ، ومن وسائل الانسجام : (علاقة الإضافة- وعلاقة السببية- وعلاقة النشاط المتماثل – وعلاقة الإجمال والتفصيل- وعلاقة الوصف-وعلاقة الترتيب الزمني بين الأحداث – وعلاقة التضاد أو المقابلة).

3- القصديّة: في العادة تساهم المنتوجات اللغوية في عملية التفاعل والتواصل الاجتماعي ، فالقصدية هي موقف المُنْتِج من انتاج نصٍ متماسكٍ ومترابطٍ ، لكي يتم الوصول إلى هدفٍ منشود وفق خطة محددة[4]. وقصدية النّص قد لا تمثل قصدية المُنْتِج الحتمية، وإنّما تمثل ما ظهر للمتلقي من النص .

---

[1] علم النص : تحريات في دلالة النص وتداوله ، أ. فهيمة لحلوحي : 213.

[2] ينظر: علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض : 49-51 ، وعلم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً) : 7-9. و الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :29-50.

[3] النص والخطاب والأجراء ، روبرت دي بوجراند : 103.

[4] ينظر : المصدر نفسه : 103-104.

4- المقبوليّة: وتتضمن ((موقف مُسْتَقبِل النّص إزاء كونه صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام))[1] ، فمقبولية النّص متعلقة بالمتلقي ؛لأنه هو الذي يحاول الكشف عن النص وفكِّ شفرته.

5- الاعلاميّة أو الإخباريّة: وهي ما يحمله النّص من أخبار أو معلومات تهم المتقلي أو السامع ، ولكلّ نص درجة من الاعلامية ، كلما ارتفع مقدار الاعلامية زاد اهتمام المتلقي بالنص .

6-المقامية أو الموقفية: في كثيرٍ من الأحيان لا يمكن فهم النّص إلّا بعد معرفة الموقف الذي قيل فيه أو من أجله فالموقفية : ((تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه))[2]. فسياق الموقف يُعدُّ من المعايير النصية المهمة التي تُساعد في ربط الموقف الحالي بموقف سابق يمكن استرجاعه.

7- التناص: ويراد به العلاقة أو الارتباط أو الالتقاء (اللفظي أو المعنوي) بين نصٍّ ما ونصوصٍ أخرى تم التعرّف عليها بخبرة سابقة . ووفق هذا المفهوم لمصطلح التناص لا يمكن إسقاطه على النَّص القرآني؛ فالقرآن الكريم نصٌّ إلهيٌّ مقدسٌ ، ومُنْتِجهُ هو فيض الوجود ، فكيف يتناص النص القرآني مع نصوصٍ أخرى تم التعرف عليها بخبرة سابقة؟. ولكن لمّا كان القرآن الكريم بَيِّنٌ ومُبين، لنفسه ولغيره ، كان من الممكن أن نَعُدّ الاستعمال القرآني لنصٍ ما مرتبط (لفظياً أو معنوياً) بنصوص قرآنية أخرى بالتناص القرآني ، وبعبارة أخرى يتم تتبع دلالة اللفظ أو المركب اللفظي أو التركيب أو النص ككل في الاستعمال القرآني له ؛((لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره))[3]. وهذه الطريقة ليست ببعيدة عن تفسير القرآن بالقرآن.

وعلى هذا المسار اتكأ الباحث في تحليل الآيات القرآنية مُستنطقاً ألفاظها ومُتَتَبعاً دلالاتها عِبْرَ سياقاتها المختلفة ، مُستأنساً بالمعلومة الجديدة التي أثارتها الروايات الشّريفة ، وجرتْ عملية التحليل كإجراءٍ منهجي في أربع مراحل:

المرحلة الأولى: يتمُّ فيها ذكر الدلالات المعجمية لألفاظ الآية المبحوث فيها ،ولاسيّما تلك الألفاظ التي صرَّحت بها أو أشارت إليها الروايات المتعلقة بالآية الكريمة، مُلْتَمِساً من تلك الدلالات المعجمية المعنى العام للفظ الذي يمكن أن يُستعمل فيه .

---

[1] النص والخطاب والأجراء: 104.
[2] المصدر نفسه :104.
[3] التفسير والمفسرون ، د. محمد السيد حسين الذهبي : (31/1).

المرحلة الثانية: النظر في التوجيهات النحويّة ودلالاتها للآية المبحوث فيها مُحاولاً ترجيح بعضها على بعض بما يَتسقُ ويَنسجمُ مع المعنى المعجمي للمفردات التي تم التوصل إليها سابقاً ، بُغية إظهار السِّمات النحويّة للتركيب الذي وردت فيه اللفظة أو المركب المراد بحثه .

المرحلة الثالثة: يتمُّ فيها تحليل اللفظة المعيّنة أو المركّب المراد بحثه وما يقترن به من ألفاظٍ في سياق الآية موضوع البحث ،ومن ثم الانفتاح على السياقات القرآنية الأخرى التي وردت فيها هذه اللفظة أو المركب ، ليتسنى للباحث رصد السّمات والملامح التي يرسمها الاستعمال القرآني لهذه اللفظة أو المركب - أي كيف استعملهما القرآن الكريم؟- فكلّ سياق من هذه السياقات يُعطي سمة أو خصيصة دلالية تميزها عن غيرها من الاستعمالات القرآنية ، ومن جميع هذه الاستعمالات يمكن رسم صورة دلالية نهائية لهذه اللفظة أو المركب المراد تحديد معناه.

وعملية تحليل اللفظة أو المركب عِبرَ الاستعمال القرآني لهما ولمصاحباتهما اللفظيّة أتاحت للباحث اختيار بعض الآيات المتعلقة بالإمام المهدي(عليه السلام) والانطلاق منها إلى الآيات الأخرى المرتبطة بعنوان الدراسة ، لكي يستطيع الباحث تحليل أكبر عدد من الآيات في مساحة تتناسب ورقعة البحث .

المرحلة الرابعة : يتم فيها عرض الأحاديث و الروايات التي أكّدتْ على أنّ هذه اللفظة أو المركب أو التركيب متعلّق بالإمام المهدي (عليه السلام) أو بأحداثه وقضيته ، مع شيءٍ من التحليل ؛ لكي تكون هذه المرحلة دليلاً على اختيار الآيات ، ومعضّداً لنتائج البحث.

الفصل الأول

الألفاظ المفردة في الآيات المتعلقة بالإمام المهدي (عليه السلام)

المبحث الأول

الألفاظ المعرّفة بـ(أل)

المبحث الثاني

الألفاظ غير المعرّفة بـ(أل)

الفصل الأول

الألفاظ المفردة في الآيات المتعلِّقة بالإمام المهدي (عليه السلام).

توطئة:

تضمّن هذا الفصل دراسة الآيات المتعلقة بالإمام المهدي (عليه السلام)، على مستوى الألفاظ المفردة، وتمّ اختيار الألفاظ استناداً إلى مجموعة من الروايات التي أكَّدتْ محورية التعلّق عِبرَ هذه الألفاظ.

واللفظ المُفرد: ((هُوَ الْمَذْكُور وَحده من اسْم وَفعل وحرف))[1]، وهذا لا يمكن دراسته نحويّاً إلّا عند وروده في تركيبٍ ما ؛ لذا اقتضتْ منهجيّة البحث دراسة اللفظة المفردة في الآية التي ذكرتها الروايات وأكدّت محورية التعلق عِبر هذه المفردة ، لِتَكونَ مُنطلقاً أساساً في تحليل بقيّة ألفاظ الآيّة، وجعلها قناةً تنفتح على بقيّة الآيات التي استعملت فيها اللفظة المفردة نفسها أو ما يُشتق مِنها مع مصاحباتها اللفظية.

فَتَرشّحَ نتيجة لذلك مبحثان لدراسةِ هذه الألفاظ في ضوءِ الهيأة التي وردتْ عليها:

الأول: اختصّ ببيان السّمات الدلالية للألفاظ المفردة التي وردت معرّفة بـ (أل)، والثاني: اهتمّ بالألفاظ المفردة غير المعرّفة بـ(أل).

ويرى الباحث أنّ لهذا التقسيم أثراً في إبراز خصوصيّة الاستعمال القرآني للفظ المعرّف من عموميّة غيّر المعرّف، مع بيان أثره الواضح في ابراز الملامح والسِّمات الدلاليّة للمفردة وإلى مَنْ تُشير في الواقع الخارجي كما سيأتي لاحقاً.

---

[1] رسالة الحدود، لأبي الحسن الرماني المعتزلي (ت: 384هـ)، تحق: إبراهيم السامرائي، الناشر: دار الفكر – عمان: (68/1).

المبحث الأول

الألفاظ المعرفة بـ (أل)

المطلب الأوّل: لفظ (السّاعة) في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ [مريم :75].

الدّلالة المعجميّة للفظ (السّاعة):

جاءت لفظة (ساعة) في اللغة تحت الجذر (سوع)، وذكر الصاحب ابن عباد(ت: 385هـ) في محيطه للمادة جذرين بالواو، وبالياء (سوع) و (سيع)[1]، وقد اشترك الجذران بمعنى: الترك والإهمال والتضييع، فقال مع الجذر(سيع): ((الإسَاعَةُ: سُوْءُ القِيَام على المال. وتَضْيِيْعُ الشيء، هو مِسْيَاعُ مالٍ ومِضْيَاعُه، ومَالٌ ضائعٌ سائعٌ، والجَميعُ: السَّوَائع. وناقَةٌ مِسْيَاعٌ - أيضاً - : أي ذاهِبَةٌ في الرَّعْي))[2] وهذا وافق المعنى الذي جاء مع الجذر (سوع) وهو ((وأَسَعْتُ الإبلَ: أهملتُها، فساعَتْ هي تَسوعُ سَوْعاً. ومنه قيل ضائعٌ سائِعٌ. وناقةٌ مِسْياعٌ: تذهب في المرعى. ورجلٌ مضياعٌ مِسْياعٌ للمال، وهو مُضيعٌ مُسيعٌ))[3]،وهذا يدل على أن للفظة (ساعة) جذراً آخر، وهو (سيع) إذا قُلِبت الياء الفاً، حسب ما يقتضيه الإعلال وتكون التاء في (ساعة) للتأنيث.

وذكر اللغويون عِدَّة معانٍ للفظة (ساعة) منها: ((السّاعةُ: الوقتُ الحاضرُ، والجمع الساع والساعاتُ))[4]، و((السّاعة: الوقت الذى تقوم فيه القيامة، سّميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخَلقُ كلُّهم عند الصيحة الأولى التي ذكرها الله))[5]، و((الساعة: جزء من آخر الليل والنهار، وتُجمع ساعات وساعاً. وتصغّر سُويعة. والليل والنهار معا أربع وعشرون ساعة))[6]، و((ساعَةٌ سَوْعاءُ، أي شديدةٌ. كما يقال ليلةٌ ليلاءُ ... وجاءنا بعد سَوْعٍ من الليل، وبعد سُواعٍ، أي بعد هَدْءٍ منه))[7]،

---

(1) ينظر:المحيط في اللغة :(212/1) (سوع) و(سيع).
(2) المصدر نفسه:(212/1) (سيع) .
(3) الصحاح في اللغة: (1234/3) (سوع).
(4) المصدر نفسه: (1233/3)(سوع).
(5) تهذيب اللغة:(57/3) (سوع).
(6) المصدر نفسه: (57/3) (سوع).
(7) الصحاح في اللغة: (1233/3) (سوع).

و قال ابن فارس: ((السين والواو والعين يدلُّ على استمرار الشّيء ومُضيّه. من ذلك السَّاعة سمِّيت بذلك. يقال جاءنا بعد سَوْعٍ من الليل وسُوَاعٍ، أي بعد هَدْءٍ منه. وذلك أنَّه شيءٌ يمضي ويستمرّ))[1]. فيلحظ أنّ ابن فارس يرجع أصل الساعة إلى استمرار الشيء ومضيه، وهو ملحظ دقيق للغاية، فقد ربط بين أصلها ودلالتها الزمنية .

قال الدكتور حسن الأسدي : ((ويبدو أن المضي وإهمال الإبل في مرعاها هو المسار الذي منه تطوّر استعمال هذه المادة ؛ ومنه انتقل في لفظة (ساعة) للدلالة الزمنية على جزءٍ محدد من الليل والنَّهار))[2]، مستنداً الى ما جاء في معناها في كتب اللغة من قبيل ما جاء في لسان العرب: ((ساعَتِ الإبلُ سَوْعاً ذهبت في المَرْعَى وانهملت وأَسَعْتُها أَنا وناقة مِسْياعٌ ذاهبة في المرعى قلبوا الواو ياء طلباً للخفة مع قرب الكسرة حتى كأَنهم توهَّموها على السين وأَسَعْتُ الإبل أَي أَهْمَلْتُها فَساعَتْ هي تَسُوعُ سَوْعاً وساعَ الشيءُ سَوْعاً ضاعَ وهو ضائِعٌ سائِعٌ وأَساعَه أَضاعَه ورجل مُسِيعٌ مُضِيعٌ ورجل مِضْياعٌ مِسْياعٌ للمال))[3]. والذي يُسْتَشَف ممّا تقدم أن الدلالة الزمانية قد لازمت الدلالات اللغوية للفظة (ساعة) نحو: الوقت الحاضر، والوقت الدال على يوم القيامة، واستمرار الشيء ومضيه ،ومطلق الزمان، وغيرها.

الدلالة المعجميّة للفظ (وعد):

الوعد مصدر الفعل (وَعَدَ) و((الوَعْد والعِدة يكونان مصدراً واسماً، فأما العِدة فيجمع عِدات، والوَعْد لا يجمع، والمَوْعد: موضع التواعد وهو الميعاد))[4]. ويرى الأزهري(ت:370هـ) أن الوَعْدَ: مصدرٌ حقيقي والعِدَة اسم يوضع موضع المصدر وكذلك الموعدة[5]. في حين يأتي ابن سيدة (ت:458هـ) فيجعل: ((الوَعْد من المصادر المجموعة قالوا : الوعود...))[6]. فيلحظ أن (الوَعْد) عند الخليل لا يُجمع، وابن سيده يَعدّهُ من المصادر المجموعة على (وعود).

---

[1] معجم مقاييس اللغة : (116/3) (سوع).
[2] الساعة في القرآن الكريم :17.
[3] لسان العرب : (سوع).
[4] العين : (222/2) (وعد).
[5] ينظر :تهذيب اللغة:(85/3) (وعد).
[6] المحكم والمحيط الأعظم :(328/2) (وعد).

والوَعْد عند مجاهد(ت: 104هـ) في قوله تعالى : ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾[1] قال : الوعد : العهد. وكذلك في قوله : ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾[2] قال : عهدي [3]. والوعد يستعمل في الخير والشر. قال الفراء(ت:207هـ) يُقال: وَعَدتهُ خيراً و وعدتهُ شراً[4].

وأجاز الصرفيون بناء المصدر من الفعل (وَعَد) على (وَعْدٍ) أو (عِدَةٍ)[5]. يُقال: وَعَد: وعَدَه الأمر وبه عِدة ووعداً و مَوْعدا ومَوْعِدة ومَوْعوداً وموعودة ، فهو من المصادر التي جاءت على مفعول ومفعولة كالمحلوف والمرجوع والمصدوقة والمكذوبة [6].

وفرّق العرب بين (الوَعْد، والوعيد) بأن الوَعْد في اللغة يطلق على ما هو خير، والوعيد على ما هو شر، فيقال : وَعَدهُ وعداً وأوعَده وعيداً [7].

ومن الملاحظ ((أنّ (وَعَدَ) بحسب الوجدان ينطبق على كلِّ شيء موعود: خيّراً كان أوشّراً، رضيت به النفس الأمارة بالسوء أو لا، فرحت به أو حزنت له، وهكذا))[8]. والقرآن الكريم نفسه أطلق الوعد على العذاب الأليم للكافرين، فأطلقه على الشّر في غير موضع منه وكأنه عَدَّ الشّر خيراً ، كما هو كذلك في الحكمة والعدل الإلهي، إذ ليس هناك شر محض؛ لأنّ رحمة الله وسعت كلّ شيء [9].

والوَعْد ((كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَرْجِيَةٍ بِقَوْلٍ))[10] والترجي يدلّ على التأمل من الأمل [11]، وقولك : وَعَده بأمر أي :منّاه به [12].

---

[1] طه: 87.
[2] طه:86.
[3] تهذيب اللغة : (85/3) (وعد).
[4] ينظر: الصحاح في اللغة: (551/2) (وعد).
[5] ينظر: المنصف، لأبن جني: (184/1)، والعُمُد كتاب في التصريف، عبد القاهر الجرجاني: 118 ، والاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم: 173.
[6] ينظر: لسان العرب:(وعد).
[7] ينظر: المحكم والمحيط الأعظم : (328/2) (وعد).
[8] منة المنان في الدفاع عن القرآن، للشهيد محمد الصدر، ط1، تحق: مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر :2012م ، (244/3).
[9] ينظر: المصدر نفسه (244/3).
[10] معجم مقاييس اللغة: (125/6) (وعد).
[11] ينظر: المصدر نفسه: (140/1) (أمل).
[12] ينظر: المعجم الوسيط : 1043.

و((المنى تقدير شيء ونفاذ القضاء به، منّه قولهم : منّى له الماني ،أي : قدّر المقدّر))[1] يظهر من ذلك أن ((الوَعْد هو تقدير أمر ما والقضاء به من قِبَلِ الواعد، وترجي حصوله من قبل الموعود))[2] . فالوَعْد يمكن تمثيله بنقطة على المحور الزمني ، أي أن له وقتاً محدداً لوقوعه، قال تعالى:﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا**﴾[الاسراء:5].فهو مشروط ويتحقق جوابه في نقطة زمنية محددة ، في حين أن العهد : هو خط مستمر مع محور الزمن ﴿ **بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ** ﴾ [الأعراف:134] ، أي : بما استودعه عندك أو بما أوكلك عليه في الماضي ؛ ولربما لذلك اطلق على المدّة الزمنية الممتدة (عهد) فتقول:(عهد الراشدين) مثلاً .

الدلالة النحويّة :

قال تعالى :﴿**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا** ﴾ [مريم:75].

ذكرت كتب الحديث والرواية أكثر من آيةٍ وردتْ فيها لفظة (السّاعة) على أنّها متعلّقة بالإمام المهدي (عليه السلام)، واختار البحثُ هذه الآية؛ لأنّها الأكثر وروداً في الكتب المعتبرة [3]، ولتكون هذه الآية هي عيّنة البحث في الدلالة النحوية، ومنطلقاً لمعرفة دلالات لفظة (السّاعة) في باقي آيات القرآن الكريم، عن طريق الاستعمال القرآني لهذه اللفظة ومصاحباتها .

أولاً: قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾:

حتى: حرف غاية، ويكون حرف جر، فيكون ما بعده إمّا داخلاً في حكم ما قبله[4]، فتكون (حتى) بمعنى العاطفة [5]، وإمّا يكون غير داخل في حكم ما قبلها، أي

---

[1] معجم مقاييس اللغة : (276/5) (منى).
[2] وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية دراسة وتحليل، نور مهدي الساعدي، مطبعة مركز الدراسات التخصصية ط1، 2013م، ص :83.
[3] ينظر: أصول الكافي : (326/1)، تفسير الصافي : (291/3) ، بحار الأنوار : (49/51)، تفسير القمي :726، المحجة فيما نزل في القائم الحجة :132.
[4] ينظر :موضح اسرار النحو ، للفاضل الهندي (ت1135هـ): 481.
[5] ينظر : معاني النحو :(29/3).

عند مجرورها ينتهي الأمر[1]. و(حتى) في آية البّحث ((حرف غاية وجر متعلّق بالجواب وهو فسيعلمون، وقيل مستأنفة أي تبدأ بعدها الجمل ... و[قيل] حتى هنا حرف ابتداء أي تبدأ بعدها الجمل أي تستأنف فليست جارة ولا عاطفة،))[2]، وقال الزمخشري(ت:538هـ): ((فإن قلت: حتى هذه ما هي؟ قلت: هي التي تحكى بعدها الجمل. ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله ﴿**إذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ ...**﴾))[3]. فهي تفيد أنّ ما بعدها غير داخلٍ في حكم ما قبلها ؛ لأن السّياق يدلّ على أنها غير عاطفة؛ لذلك استعمل القرآن الكريم﴿**فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا**﴾ على اعتبار أن المدّ كان مستمراً، وقد انتهت مهلته وأمدّه عند الظرف (إذا) وما بعده؛ لأنّه غير داخل في حكم ما قبل (حتى).

و**(إذا)** في الغالب تكون ((ظرفاً للمستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص بِالدُّخُولِ على الْجُمْلَة الفعلية ...))[4]، والفعل(رأى) من ((أفعال اليقين بمعنى (علم)[5]، نحو (رأيت الحق منتصراً) فإن كان الفعل بصريّاً لا قلبياً تعدى إلى واحد، نحو (رأيت سعيداً)، ورأى الحلمية كالقلبية تتعدى إلى اثنين))[6]، وهذا يدلّ على أن الرؤية ستكون بصرية لهذا (العذاب) أو (السّاعة) وعند تحصّل هذه الرؤية البصريّة حتماً سيتحقق العلم لهذه المسألة المرتقبة ، وفي هذا ردٌّ على من جعل (رأى) بمعنى (علم) وذلك ؛ لأن الآية أوضحت أنّهم ﴿ **إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ..**﴾ ، والفاء أفادت التّعقيب المباشر ، دون أيّ تراخٍ.

وقال: ((رَأَوْا لأنّ لفظ " مَنْ" يصلح للواحد والجمع. و" إذا" مَعَ الْمَاضِي بِمَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ، أَيْ حَتَّى يَرَوْا مَا يُوعَدُونَ وَالْعَذَابُ))[7]، و يدلّ الفعل الماضي على المستقبل في عدّة مواطن منّها [8]:

---

[1] ينظر: معاني النحو :(29/3).
[2] اعراب القرآن وبيانه :(143/6).
[3] الكشاف :(38/3).
[4] مغني اللبيب:(127/1).
[5] ينظر :شرح قطر الندى : (170/1)،وشرح ابن عقيل :(28/2) وشرح الأشموني: (394/1).
[6] معاني النحو: (11/2-12).
[7] الجامع لأحكام القرآن:(144/11).
[8] ينظر: شرح الرضي :(12/4-13)، و معاني النحو : (272/3).

1- في الوعد والوعيد، ومن ذلك الإخبار عن الأحداث المستقبلية مع قصد القطع بوقوعها، والقصد من ذلك أن هذه الأحداث متحققة الوقوع (حتمية) مقطوع بحصولها بمنزلة الفعل الماضي.

2- إذا دخلت عليه أداة الشرط (إن) أو (إذا). فيظهر أنّهم سَيَرَوْنَ ما وعِدُوا عياناً ماثلاً أمام أعينهم .

و(ما) :اسم موصول وقع عليه الفعل وصلته (يوعدون)، و(ما) الموصولة : اسم مشترك لغير العاقل يستعمل في المفرد والمثنى والجمع ، وفي التذكير والتأنيث[1] وظيفتهُ : وصلية توضيحية[2]، وقد يستعمل للعاقل، لتعميم الحكم، أو في تغليب الصفة على الذات[3]. واسم الموصول اسم مبهم ، لذا فإن تحديد دلالته منوط بجملة الصلة وما يقع في حيزها من الألفاظ .

والجملة الفعلية (يوعدون) هي صلة الموصول ، ومن الملاحظ أن(((وَعَدَ) بحسب الوجدان ينطبق على كل شيء موعود: خيراً كان أوشراً، رضيت به النفس الأمارة بالسوء أو لا، فرحت به أو حزنت له، وهكذا))[4] فهي تقدير أمر ما من قبل الواعد سواء أكان خيراً أم شراً .

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾:

جاءت (إمّا) هنا على أنّها حرف تفصيل لِـ (ما يوعدون)[5]، والتفصيل للأشياء لابدَّ له من المغايرة بينها، بمعنى أن لفظ (العذاب) بما يحملهُ من دلالةٍ، لابدَّ له أن يغاير لفظ (الساعة) دلالياً، ويبدو أن ابن عاشور(ت : 1393هـ) تنبه إلى ذلك فقال : ((وإِمَّا حَرْفُ تَفْصِيلٍ لِـ (مَا يُوعَدُونَ)؛ أَيْ مَا أُوعِدُوا مِنَ الْعَذَابِ إِمَّا عَذَابُ الدُّنْيَا وَإِمَّا عَذَابُ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَا يَعْدُو أَنْ يَرَى أَحَدَ الْعَذَابَيْنِ أَوْ كِلَيْهِمَا))[6]. فهو جعل (العذاب) و (الساعة) كليهما عذاباً، وفرّق بينهما في الدلالة الزمنية، في حين دلّت الآية على أنّهما في ظرف واحد ، في زمن الرؤية لهذينِ المكانين ؛لأنّهما بدل من (ما) التي هي مفعول به لـ (رأوْا)، قال النّحاس: ((هذا على البدل من (ما)

---

[1] معاني النحو :(133/1)، واللغة والدلالة: 289.
[2] ينظر: اللغة والدلالة :289.
[3] ينظر المرجع نفسه.
[4] منّة المنّان في الدفاع عن القرآن، للشهيد محمد الصدر :(244/3).
[5] ينظر: التحرير والتنوير:(157/16)، واعراب القرآن وبيانه:(6 /143).
[6] التحرير والتنوير :(157/16).

والمعنى: حتّى إذا رأوا العذاب أو الساعة))[1] والبدل يكون هو المراد والمقصود بالحكم .

جاء في (المفصل) البدل: ((هو الذي يُعْتَمَدُ في الحديثِ ، وإنّما يُذكر لنحو من التوطئة ،وليُفاد بمجموعهما فَضل تأكيدٍ وتبيينٍ ،لا يكونَ في الافرادِ))[2]. فالمراد في الحكم هو العذاب والسّاعة .

وذكر الزركشي (ت:395هـ) أن (إمّا) جاءت هنا لمعنى الإبهام[3]، و دخول واو العطف على (إمّا) التفصيلية يفيد المغايرة في المعنى ، كما في قوله تعالى:﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة :106]، وقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الانسان:3]، وقوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف:115] ويلمح من مجيء (إمّا) التخيير بين (العذاب) أو الساعة). والكلام في مسألة (إمّا ، و واو العطف) طويل وعريض[4].

ثالثاً: قوله تعالى :﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾:

(الفاء) في قوله: ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ﴾ واقعة في جواب (إذا) وهذا ما يرجح جعل (إذا) للغاية[5]، ((وَحَرْفُ الِاسْتِقْبَالِ لِتَوْكِيدِ حُصُولِ الْعِلْمِ لَهُمْ حِينَئِذٍ وَلَيْسَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الِاسْتِقْبَالِ لِأَنَّ الِاسْتِقْبَالَ اسْتُفِيدَ مِنَ الْغَايَةِ))[6]، وقيل : للاستقبال[7] .

و (مَن) هُنا أُحتُمِلَتْ أن تكون موصولة مفعول به منصوب، ويجوز أن تكون استفهامية مبتدأ مرفوع [8]، وهي اسم مشترك (للواحد وغيره)، ويستعمل للعاقل

---

(1) اعراب القرآن للنحاس :(19/3)، وينظر: اعراب القرآن وبيانه: (143/6).
(2) شرح ابن يعيش :(262/2).
(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي :(245/4).
(4) ينظر: حرف الواو في القرآن الكريم (دراسة نحوية دلالية)، د. سهام جاسم :(274-284)
(5) ينظر: اعراب القرآن وبيانه :(143/6).
(6) التحرير والتنوير:(157/16).
(7) ينظر:إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم : (250/2).
(8) ينظر: اعراب القرآن وبيانه :(143/6).

غالباً، ومع غير العاقل قليلاً[1]. ففي كليهما أراد توضيح (التميز بعد اسم التفضيل) وهو قوله: ﴿شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾[مريم:75]،قال الدكتور فاضل السامرائي:((ومعنى التميز في النصب غير معناه في الجر؛ وذلك أن المعنى في النصب على إرادة التفصيل المقارن بمن، فـ (من) مقدّرة إن لم تذكر))[2]، ويخلص في القول أن معنى التمييز المنصوب يُخالف التمييز المجرور بأربعة نقاط هي[3]:

1- النصب يحتمل الحال والتمييز، بخلاف الجر.
2- النصب على إرادة التفصيل المقارن بمن، بخلاف الجر.
3- النصب يدل على أن المنصوب فاعل في المعنى، بخلاف الجر.
4- النصب يدل على أن التمييز مغاير للمفضل، بخلاف الجر.

فعلى هذا يكون التركيب قد عقد مقارنة بين المكانينِ، وبين الجُندينِ، والعلم بهذا التمييز يكون بعد رؤيتهم (ما يوعدون)، إمّا العذاب ، وهو سلباً لا يحوي على خصلة إيجابية بالنسبة للضّالين، وهذا العذاب هو عذاب دنيوي[4] وإمّا الساعة، التي تكون سلباً على الضّالين، ورحمة للمؤمنين، وكان لفظ (الساعة) قسيماً للفظ (العذاب) في الموقع الإعرابي، وفي التعلّق، وفي فعل الشرط، وفي الجزاء ،ودّلت الدلالة النحوية على أن الرؤية كانت بصريّة، إمّا العذاب وإمّا الساعة ، وكأنه يخيّر بينهما.

والذي يجّدر الإشارة إليه هو التعريف في لفظ (العذاب) و (السّاعة) وهذا تُرِكَ للبحث عنه في الاستعمال القرآني.

الاستعمال القرآني للفظ (السّاعة)ومصاحباته:

ذهب جلّ المفسّرين إلى أنّ لفظ (السّاعة) في القرآن الكريم مرادف لـ (يوم القيامة)[5]، ومن الدراسات المعاصرة مَن وافق رأي المفسِّرين على سبيل المثال ، الدكتور محمد بن عبد الرحمن العريفي في كتابه الموسوم ((نهاية العالم) اشراط الساعة الصغرى والكبرى).

---

[1] ينظر: في علم النحو، د. أمين علي السيد:(144/1).
[2] معاني النحو: (286/2).
[3] المصدر نفسه: (286/2).
[4] ينظر: فتح القدير :(410/3).
[5] ينظر:جامع البيان في تأويل آي القرآن: (353/11)، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (353/1)، و فتحُ البيان في مقاصد القرآن: (139/4).

والذي يتتبع أشراط الساعة الصغرى في كتابه هذا، يَجِدُ أنّه تحدَّث عن أمور دنيوية، وعن ظهور الفتن، وكثرة المنكرات والفواحش، وغيرها من العلامات، ارتبطت بالساعة عن طريق القرآن الكريم والسنة الشريفة، من نحو (انشقاق القمر في عهد رسول الله - فجعله إحدى أشراط الساعة الصغرى- ، ظهور الفحش، موت الفجأة، كثرة الصواعق عند اقتراب الساعة، تقارب الزمان، تداعي الأمم على الأمة الإسلامية، ظهور الخسف وغيرها) ويختمها بظهور الامام المهدي(عليه السلام) [1] . ويتحدث في اشراط الساعة الكبرى(عن المسيح الدجال، وعن نزول عيسى (عليه السلام)، وعن خروج يأجوج ومأجوج، وعن الخسوف الثلاثة، وعن الدخان، وعن الدّابة المذكورة في القرآن، وعن طلوع الشمس من مغربها، وأخيراً تحدث عن نار تسوق الناس إلى محشرهم)[2] .

ويُستَشفُ من كلامه أنه استند في كتابه المذكور أعلاه إلى أحاديث وروايات تكلّمتْ عن (السّاعة) وأشراطها وأهوالها وعلاماتها، دون ذكر (يوم القيامة) ؛ ولكنّه خلط بينها، فهو في الحقيقة تحدّث عن علامات ما قبل الظهور ، وأطلق عليها (أشراط الساعة الصغرى)، وتحدّث عن أحداث ما بعد الظهور وأطلق عليها (أشراط الساعة الكبرى)، وجعل هذه الأشراط كلّها تدلّ على يوم القيامّة، مع أنّ الأحاديث التي استند إليها تتحدث عن السّاعة، وليس يوم القيامّة، والآيات القرآنية والأحاديث لم تذكر تسميتين (أشراط الساعة الصغرى، وأشراط الساعة الكبرى)، بل المحدّثون والمفسِّرون هم مَن أطلقوا هذه التسمية، فقسّموا العلامات على أربع[3].

وهناك دراسات معاصرة خالفتْ رأي المفسِّرين، وهي دراسات لغويّة بحتة، اعتمدتْ الاستعمال القرآني للفظة ومصاحباتها، وعالجتها معالجة لغوية، بحيث يمكن للباحث أن يعتمدها، ويعوّل عليها؛ لأنها توافق المنهج الذي سار عليه البحث، وهو تتبع اللفظة في الاستعمال القرآني ورصد ملامحها عبر الألفاظ المصاحبة لها، وسيعرضُ البَّحثُ هذه الدراسات بصورة موجزة .

---

[1] ينظر: نهاية العالم، محمد بن عبد الرحمن العريفي: 373-379.

[2] ينظر: المرجع نفسه: 380-383.

[3] ينظر: علامات الساعة، جمع وترتيب / الشيخ أبي المنذر (عبد الحق بن عبد اللّطيف) ، مراجعة الأستاذ الدكتور :عمر بن عبد العزيز قريشي، دار روائع للنشر والتوزيع: 6.

الدلالة القرآنيّة للفظة (ساعة) مجردة من (أل):

استعمل القرآن الكريم لفظة (ساعة) مجردة من (أل) في ثمانية موارد، في حين استعملها معرفة بـ (أل) في ستٍّ وثلاثين آية، مكررة في أربعٍ منها [1] ، وهذه ((...الموارد أظهرت تبياناً دلالياً بين اللفظتين على الرغم من أن الفارق بينهما لفظاً هو (أل) التعريف الذي اتخذ في الاستعمال بعداً دلالياً أكثر اتساعاً من مجرد التغيير النحوي بين التنكير والتعريف))[2]؛ ويعود سبب ذلك إلى ((أن التأمل في مفهوم التعريف والتنكير في الفكر النحوي العربي يري أن تأسيسهما قائم في إطار تصنيفي بحت، وكأنه لم يعطِ الدلالة التي يحدثها التعريف أكثر من مجرد تحول الاسم من التنكير إلى التعريف، وميزات شكلية في الجملة، وتجعل التغير الدلالي الذي تحدثه أداة التعريف ضيقاً))[3] ؛ لذلك كان لابدّ من تتبع مواردها في القرآن الكريم لإظهار الملامح الدلالية لكل لفظة، ورصد مصاحباتها، وخصوصية استعمالها.

ومن هذه ((المواضع المهّمة التي تبيّن أن لكل من (ساعة والساعة) دلالتها الخاصة، هو ما جاء من استعمالهما معاً في قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ**﴾ [الروم:55].

فالساعة (المعرفة بأل) قد أسند إليها الفعل (تَقُوْمُ) ويتحقق ذلك في يوم خاص، وسِم بفعلها (يوم تقوم ..) .وهي تثير الرعب فالمجرمون يسارعون إلى القسم مدّعين أنهم لم يلبثوا قبلها، إلا نزراً من الوقت عبّروا عنه بـ (ساعة). وكأنهم أدركوا أن قيام الساعة حدّ فاصل لحياتهم السابقة))[4]، فَيُفَهمُ أنّ (السّاعة) المعرفة بـ (أل) تختلف دلالتها عن (ساعة) المجردة من (أل) الدالة على جزء من النهار (ساعة من النهار)[5].

ويبدو أن استعمال (ساعة) مجردة من (أل) جاء بدلالتها الزمنية بكونها جزء من أجزاء النهار؛ وذلك من جهتين[6]:

---

(1) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 470-471.
(2) الساعة في القرآن الكريم :17.
(3) المرجع نفسه :17.
(4) المرجع نفسه :17.
(5) ينظر: المرجع نفسه:17
(6) المرجع نفسه:17

الجهة الأولى : دلالة قصر مدّة العيش عند حلول الأجل .

الجهة الثانية : المدة الزمنية القصيرة التي لا يُسمح بها لتأخير الأجل . أو ما وعدت به الأمم، والجماعات، أو الأفراد، ((وبهذا فإن الدلالة الزمنية للفظة (ساعة) النكرة هي المدة القصيرة، وهنا تشترك بوضوح مع المعنى اللغوي الذي جاء في كلام العرب))[1]. والذي يبدو أن الدلالة الظرفية ملازمة للجهتين، وهذا يظهر واضحاً في طبيعة علاقاتها التركيبية (النحوية) بالألفاظ المصاحبة لها، فهي لم تظهر في موقع الفاعلية، أو المفعولية، أو الخبرية؛ لذلك حدّد الاستعمال دلالتها الظرفية، بخلاف الحال مع لفظة (الساعة)[2].

ويمكن لمح دلالة (ساعة) في مواردها الثمانية التي استعملها القرآن الكريم، وهي قوله تعالى:

1- ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:34].

2- ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: 117].

3- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس:45].

4- ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس:49].

5- ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل:61].

6- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾[الروم:55].

7- ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾[سبأ:30].

---

(1) الساعة في القرآن الكريم :17.
(2) ينظر : المرجع نفسه :17.

8- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف:35].

فقد استعمل القرآن الكريم لفظة (ساعة) النكرة في سبعة منها للدلالة على مدة قصيرة من الزمن[1]. واستعملها القرآن الكريم في مورد واحد مضافة وهي ﴿سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، في قوله تعالى:﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:117].

فـ (ساعة العسرة) التي وردت مرة واحدة مضافة ، هي أيضاً تدل على حقبة زمنية معينة حصلت في الدنيا ، ولكنّها كانت شديدة الوطأة على المسلمين ، ((وتتضح دلالة هذه اللفظة بنسبتها إلى (العسرة) فهي وقت الشدة ، فهي قطعة من الزمان قد تصل إلى يوم أو عدة أيام))[2]. فيظهر أن لفظ (ساعة) غير المعرّفة بـ (أل) وظِّفَتْ للدلالة على قطعة من الزمن غير محددة؛ لذلك جاءت نكرة .

الدلالة القرآنيّة للفظة (السّاعة) المعرَّفة بـ (أل):

ذكر القرآن الكريم لفظة (الساعة) معرفة بـ (أل) أربعين مرّة [3]، وهو عدد يتطلب مساحة واسعة للوقوف على مواردها جميعاً؛ لذلك سيذكر البحث أهم سماتها الدلاليّة التي تنماز بها لفظة (الساعة) في مواردها القرآنية ، ورصد السِّمات الدلاليّة للتركيب المُلقيّة بضلالها عليه المصاحبات اللفظيّة، **ويمكن إجمالها فيما يأتي[4]:**

---

[1] ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم :157.

[2] السّاعة في القرآن الكريم :19.

[3] ويبدو أنّ هذا الرقم ، أي (أربعين) في الاستعمال القرآني وظِّفَ للدلالة على تمام الأمر ، وبلوغ النضج، كما في قوله تعالى :﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة:51] ، وقوله:﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:26]، وقوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[الأعراف:142]،و قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً . . .﴾[الأحقاف:15]، فيبدو أنّ (السّاعة) ارتبطت بتمام أمر الدنيا ، ولا سيّما بعد أن تم ربطها قرآنياً بمواقف تنكشف فيها الأعداء ،ويبوؤون بالعقاب.(ينظر :هامش السّاعة في القرآن الكريم :19).

[4] ينظر الساعة في القرآن الكريم :19-23.

أولاً: السّاعة حتم لابدّ منها ، فهي ممّا لا ريب فيه[1] **و وعد حق .** وعَدَت به الرسل ،والأنبياء السابقين ،وأكّده القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾ [الحج:7].

ثانياً : أمر السّاعة حاسم. وهو أمر يثير الرهبة في قلوب المؤمنين قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ** ﴾[الأنبياء:49]، وقوله: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾[النساء :1-2]، وقوله: ﴿**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ** ﴾ [القمر:46] .

ثالثاً: يختص الله تعالى بعلم السّاعة: قال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾ [الأحزاب:63]، و قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان :34] .

رابعاً: جُعِلَ نزول المسيح عيسى (عليه السلام) علامة للسّاعة[2]، في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ [الزخرف:61] . وأرجع المفسرون ضمير الشأن في (إنّه) إلى نبي الله عيسى بن مريم (عليه السلام)،ذكر الرازي(ت: 606هـ): ((﴿**وإنَّهُ**﴾ أي عيسى ﴿**لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ** ﴾ شرط من أشراطها تعلم به فسمّي الشرط الدال

---

(1) ينظر : إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان، حمود بن عبد الله : 9 ، وعلامات الساعة، الشيخ أبي المنذر:7.

(2) الساعة في القرآن الكريم: 159.

على الشيء علماً لحصول العلم به))[1]، وجاء في الدر المنثور: ((﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ قَالَ: هُوَ خُرُوج عِيسَى بن مَرْيَم قبيل يَوْم الْقِيَامَة))[2]، فجملة ((﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ معطوف على جملة ﴿إِنْ هُوَ إِلا عَبْد﴾[3])) [4]، وقال الثعالبي (ت 875هـ): ((فمن قال: إنَّ الإشارة إلى عيسى حَسَنٌ مع تأويله (عِلْم) و (عَلَم) ، أي: هو إشعارٌ بالساعة، وشَرْطٌ من أَشراطها، يعني: خروجه في آخر الزمان))[5]. ومعلوم أنّ عيسى (عليه السلام) يصلّي خلف الإمام المهدي (عليه السلام)عند خروجه في آخر الزمان.

خامساً: وظيفة الفاعلية: عند تقصي الوظيفة النحوية للفظة (الساعة) في استعمالها القرآني، يَظهرُ أن الوظيفة الفاعلية قد غلبتْ على استعمالها ؛ وذلك بإسنادها إلى الأفعال: (تأتي، تقوم، أتت ، جاءت واقتربت) وهذا ما أكَّدهُ الزمخشري في معرض حديثه عن قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج:1]. قال : ((الزلزلة: شدّة التحريك والإزعاج، وأن يضاعف زليل الأشياء عن مقارّها ومراكزها ولا تخلو السَّاعَةِ من أن تكون على تقدير الفاعلة لها، كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي، فتكون الزلزلة مصدرا مضافا إلى فاعله...))[6]. وكذلك تظهر هذه السِّمة في وصفها : **قائمة ،آتية**. التي تظهر المعنى بفاعلية مع مباغتة غير متوقعة[7] .وهذه البيئة النحوية بخلاف البيئة النحوية مع (يوم القيامة) التي غلب عليها طابع الظرفية ؛ لنسبتها إلى لفظة (يوم) في جميع مواردها القرآنية، وكذلك لم يُسند للتركيب (يوم القيامة) فعل أو نحوه ممّا أُسند للسّاعة[8].

سادساً: الساعة تكون في الدنيا: كثير من الآيات القرآنية تؤكد ذلك، نحو قوله تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[سبأ:3]، وقوله : ﴿يَا

---

(1) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):(640/27).
(2) الدر المنثور :(385/7).
(3) الزخرف: 59.
(4) المجتبى من مشكل إعراب القرآن:(1159/3).
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن:(188/5).
(6) الكشاف:(141/3).
(7) ينظر: الساعة في القرآن الكريم: 20
(8) ينظر: المرجع نفسه:20.

﴿ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[الحج:1-2] .

فهي أحداث تربط الساعة في الدنيا ، وهذا ما أكده الشوكاني(ت: 1250هـ) في قوله : ((الزَّلْزَلَةُ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا تَكُونُ فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَمِنْ بَعْدِهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا)) [1]، والذين أكدوا هذه الحقيقة كثيرون[2].

وإنعام النظر في الآية التالية لها وهي قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ...﴾ تدل أحداثها أنها في دار التكليف وليس في (يوم القيامة) حيث أن في يوم القيامة لا توجد مرضعة، ولا حامل ؛ لكي تضع حملها. ولفظة (مرضعة) تعني أن المرأة في حالة الرضاعة وهي ملقمة ثديها إلى رضيعها، وهذا ما أكده غير واحد، وعلى سبيل المثال قول ابن عجيبة(ت:1224هـ) :((فالمرضعة، بالتاء، هي المباشرة الإرضاع بالفعل، والمرضع- بلا تاء- لمن شأنها ترضع، ولو لم تباشر الإرضاع))[3]. وذكرت الدّيانات السّابقة هذا الموضوع، فقد جاء في انجيل لوقا ((...ولكن الويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام، لأن ضيقة عظيمة سوف تقع على الأرض وغضباً شديداً سينزل بهذا الشعب، فيسقطون بحد السيف، ويساقون أسرى إلى جميع الأمم ...))[4]. فالنَّص يُعطي مسوّغاً للاحتمال أن أحداث (السّاعة) تكون في الدّنيا.

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:118].

---

[1] فتح القدير :(514/3).
[2] ينظر بحار الأنوار: (237/52-241)، والملاحم والفتن: 32، والعرف الوردي: 104.
[3] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:(510/3).
[4] لوقا (21:5 -37) نقلاً عن أنوار آخر الزمان: 808.

فقوله: ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ((يربطها بالدنيا بكونهما ظرف للساعة؛ وذلك لمكان ظرفية حرف الجر (في)، وهي من أعظم الأمور، فلم يُذكر لغير الساعة مثل هذا الوصف))[1]. فيظهر ممّا تقدّم أنّ أحداث (الساعة) تكون في الدنيا، وليس في يوم القيامة.

سابعاً: يوم الساعة يوم فرقة: وممّا يلاحظ في موارد (الساعة) أنّ في يومها يُبلس المجرمون ويكفرون بشركائهم، ويومئذ يتفرّقون. والفعل (يَبلسُ) من الجذر (بلس) وأَبْلَسَ الرجلُ قُطِعَ به ، ((وقيل: للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب قد أَبْلَسَ))[2]. وهذا ما جسّده قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ۞ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾[الروم:12-14] . ففعل التفرق قد أُسند إليهم، في حين تَجِدُ مع المركب (يوم القيامة) أن الناس سيُجمعون لغاية وهي (يوم القيامة) وفعل الجمع قد أسند إلى الله تعالى [3]، كما في قوله :﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. . . ﴾ [الروم: 87].

ثامناً: إخبار الأمم السّابقة بوقوع (السّاعة)[4]: جاء ذكر السّاعة في الأديان الأخرى لتُخبر عن وقوعها وأحداثها، ومن ذلك ما ورد في إنجيل مرقس لوصف بعض الأحداث التي تَسْبِقُ السّاعة : ((تُظلم الشمس ويحجب القمر ضوئه ... حينما ترون هذه الأمور تحدث، فاعلموا انه قريب، بل على الأبواب ... وأما ذلك اليوم وتلك السّاعة فلا يعرفهما أحد ...)) [5]. فيه اشارة إلى الخسوف والكسوف الموعودَيْنِ .

ولقد ربط القرآن الكريم هذه الحقيقة مع الحوادث التي وقعت في الأمم السابقة، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف :21]، و قوله : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾[الكهف:35-36] . قفد ذكر ظنّه بقيام

---

[1] الساعة في القرآن الكريم :21.
[2] لسان العرب:(بلس).
[3] ينظر الساعة في القرآن الكريم :21.
[4] ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :162.
[5] مرقس 13: 36-37.، نقلاً عن أنوار آخر الزمان: 802.

الساعة ، لأنّها ترجع كلّ شيء إلى نصابه ، ومن ثَمّ ذكر ردوده إلى ربّه ، فقد فصل بين قيام السّاعة ، وبين ردوده إلى ربّه .

وقد أجملّ الدكتور حسن الأسدي هذه النقاط بقوله: ((لا بدّ أنها ستأتي في يوم ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وهي من وعد الله القادم، وهي أمر الله الذي أخبر به الأمم السابقة، ومن سماتها الخاصة: كونها من أمور الدنيا، واتصافها بالحركة من الإتيان والقيام لإظهار أمرها، وهي ممّا يمكن أن ينظر إليها بالعين ، الأمر الذي يستلزم كونها مما له كيان مادي يمكن رؤيته ، فهي ليس زمناً كما هو حال (يوم القيامة))[1]. فيُلحظ أن الدكتور حسن جعل (السّاعة) علماً يُشار إليه، وليست وقتاً أو يوماً.

وفي دراسةٍ للباحث لواء العطيّة تحت عنوان **(المصاحبات المعجمية)** جعل من لفظة (الساعة) مثالاً لتطبيق هذا المنهج في القرآن الكريم، تتبع فيها مصاحبات لفظة (السّاعة)، وقدّم في ذلك جدولاً [2]، وتتبع مصاحبات (يوم القيامة) وقدّم فيه جدولاً أيضا [3]، وخَلُصَ بالقول أنّ: ((الساعة لا تعني يوم القيامة، وإنّما يوم آخر له أشراطه التي تميّزه من غيره من أيام الله عزّ وجل))[4]. دون أن يُحدد مَن الحاكم فيه، بل ترك الأمر هكذا.

وجاء بعده الباحث مجيب سعد مفيداً ممّن سبقه ليَخلُص القول فيها: ((وهذا يجعل قيام (الساعة) تحقيقاً للوعد الإلهي بسيادة العدل والقسط، ونصرة المظلومين والانتقام من الذين ظلموا ، وتملّك الذين استضعفوا الأرضَ وجعلهم الوارثين لها. أما إذا فهمنا من لفظة (السّاعة) أنها ترادف (القيامة) فهذا يعني أن آخر من يبقى حياً على هذه الأرض هم الأشرار ، وهذا يمثل نهاية مأساوية للمشروع الإلهي للدنيا...[و] إذا نظرنا إلى **(السّاعة)** على أنّها ليستْ القيامة بل هي السّاعة التي يظهر فيها الإمام المهدي (عجل الله فرجه) الذي سيتحقق على يديه الوعد الإلهي بنصرة المستضعفين، والانتقام من الظالمين))[5]. فهو يَعُدُّ (السّاعة) وقتاً معهوداً، وهو وقت قيام القائم المهدي (عليه السلام)، وليس يوم القيامة.

---

[1] الساعة في القرآن الكريم:23.
[2] ينظر: المصاحبات المعجمية: 156.
[3] ينظر: المرجع نفسه :163.
[4] المصاحبات المعجمية :164.
[5] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :170.

المعضدات:

يَظهرُ بعد إنعام النّظر في الروايات التي تحدَّثتْ عن **(السّاعة)** وأحدّاثها أنّ هذه الروايات جاءتْ في مسارين [1]:

الأوّل: روايات ذكرت الحوادث المستقبلية، والفتن والملاحم، والأحوال التي سيَصِلُ إليها المجتمع المسلم أو غيره من المجتمعات، ممّا عُدَّ من أشراط (السّاعة)، وعلامات اقتراب موعدها. من دون تحديدٍ أو تصريح بحقيقتها.

الثاني: روايات تُفسر الآيات التي ورد فيها ذكر (السّاعة)، وقد نصّتْ مجموعة من هذه الروايات على أنّ (السّاعة) هي القائم الموعود (عليه السلام).

ومن ذلك ما روي عن أبي بصير(ت:150هـ) بسنده ((عن أبي عبد الله(ت:148هـ) (عليه السلام) ... قلت : قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا** ﴾ [مريم :75] ؟ قال: أما قوله: ﴿ **حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ**﴾ فهو خروج القائم وهو الساعة ، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يديْ قائمه ، فذلك قوله :﴿ **مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا**﴾ يعني عند القائم ...))[2].

وعن المفضل بن عمر(من أعلام القرن الثاني الهجري) بسنده ((قال: سألت سيدي أبا عبد الله الصادق (عليه السلام): هل للمأمول المنتظر المهدي (عليه السلام) وقت مؤقت تعلمه الناس؟ فقال حاش لله أن يوقت له وقت أو توقت شيعتنا ،قال: قلت: يا مولاي ولِمَ ذلك؟ قال: لأنّه هو ﴿**السّاعة**﴾ التي قال الله تعالى فيها: ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:178]، وقوله :﴿ **عنده علم الساعة** ﴾ [لقمان :34]، ولم يقل عن أحد دونه، وقوله: ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها فَأَنَّى لَهُمْ إِذا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ**﴾[الزخرف:66]، وقوله: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ**

---

[1] ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 168.

[2] أصول الكافي: (326/1) ،وبحار الأنوار: (63/51)، المحجة : 132 ، ويوم الخلاص، كامل سليمان :273.

﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:1]، وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾[الشورى: 17-18]، قلت: يا مولاي ما معنى:﴿ يمارون﴾؟ قال: يقولون: متى ولد؟ ومن رآه؟ وأين هو؟ وأين يكون؟ ومتى يظهر؟ كل ذلك استعجالاً لأمره وشكاً في قضائه وقدرته ... قال المفضل: يا مولاي فلا توقِّت له وقتاً؟ قال: يا مفضل لا توقّت فإن من وقّت لمهدينا وقتاً فقد شارك الله في علمه وادّعى أنه أظهره على علمه وسره...))[1]. فالإمام ذَكَرَ أكثر من آيةٍ ذُكِرتْ فيها (السّاعة) على أنّها متعلقة بالإمام القائم (عليه السلام).

وذكر القمّي(ت:329هـ) في تفسيره في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[2] (قال: يعني خروج القائم (عليه السلام))[3]. وغيرها من الروايات والأحاديث التي أكّدت ونصّت على أنّ لفظ **(السّاعة)** استُعْمِل في القرآن الكريم للدلالة على المنتظر الموعود (عليه السلام)، ويبدو أنّ نَعْتُ القائم أو وقت خروجه بـ (السّاعة) ؛ لِمَا فيها من دلالة زمانية ، وأنّ القائم قد صاحب الزمان حتى لُقِّب بـ (صاحب الزمان) ،ولا يُعْلَم وقت خروجه ؛ لذا صار كالسّاعة التي تدقُّ في الأزمان، لا يُعلَمُ متى تَقفُ قائمةً بإذن ربّها، لتُغيّر مسار الحياة.

---

[1] الهداية الكبرى، الخصيبي (ت: 334هـ)، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط4(1411هـ-1991م): باب: (14/392-393).، ومختصر بصائر الدرجات : 179، والمحجة: 204-2-5.

[2] القمر:1.

[3] تفسير القمّي: 675، وبحار الأنوار: (51/40)، وعنه عوالم البيان في مهدي القرآن :255.

المطلب الثاني / لفظ (الدَّاعي):

قال تعالى :﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[القمر:6].

الدلالة المعجميّة: للفظ (الدَّاعي):

الداعي مأخوذ من ((الدَّعْو: مصدر دعا يدعو دَعْواً ودُعاءً))[1] .و((الدُّعاء، ممدود: معروف، دعوتُ أدعو دُعاءً فأنا داعٍ والمفعول مدعوّ))[2].

وجاء في لسان العرب: الدعاء بمعنى الاستغاثة، وقد يكون بمعنى العبادة[3]. والدعاء أيضاً: (((الرغبة الى الله تعالى) فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال ومنه قوله تعالى:﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[4] (دعا) يدعو (دعاء ودعوى) وألفها للتأنيث))[5]. وقال الزبيدي(ت: 1205هـ):((ويطلق الداعي (على المؤذن) أيضاً لأنّه يدعو لِمَا يُقرّب من الله وقد دعا فهو داعٍ والجمع دعاة وداعون كقضاة وقاضون))[6]، و((الدُعاة: قوم يَدْعون إلى بيعةِ هدىً أو ضلالةٍ، واحدهم داعٍ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة:))[7] . فهي عملية متكوّنة من عدّة عناصر، قال الأزهري: ((كما يدعو الرجل الناس إلى مَدْعاة أي مأدُبة يتَّخذها. وطّعام يدعو الناس إليه))[8]، فالمأدبة كانت هي المَدْعاة، والرّجل هو الدّاعي، والنّاس هم المدعوون ،والدّعوة تمتْ بطريقةٍ معينةٍ أي (بواسطة الكلام أو الحركة أو بطريقةٍ أخرى). و((العرب تقول: دعانا غيث وقع ببلدة فأمْرع، أي كان سببا لانتجاعنا إياه))[9]،فهي أيضاً لمْ تَخرجْ عن معناها العام ، فالغيث هو (الداعي) والنّاس هم (المدعوون) والبلدة ونباتها هما (المَدعاة أو المدعو له) عن طريق وقع الغيث. قال ابن فارس : (((دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحد، وهو أن تميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك. تقول: دعوت أدعُو دعاءً))[10]. فيكون المعنى

---

(1) جمهرة اللغة: (666/2) (دعو).
(2) جمهرة اللغة: (1059/2) .
(3) لسان العرب: (دعا)
(4) الأعراف:55.
(5) تاج العروس: فصل الدال (الدعاء)،
(6) المصدر نفسه.
(7) تهذيب اللغة: (78/3) (دعا)
(8) المصدر نفسه: (77/3) .
(9) المصدر نفسه: (77/3)
(10) معجم مقاييس اللغة : (279/2)(دعو)

(الداعي) هو الضمير المستتر في الفعل (تميل) و (المدعوّ) هو الشّيء و (المدعوّ له) كاف المخاطب في (إليك) و(الواسطة) هي الصّوت أو الكلام .

فلفظ (دعو) يمكن استعماله مع أمور معنويّة وماديّة ، دون الخروج عن المعنى العام لهذا اللفظ ، وهو أن تميل الشيء إليك بصوتٍ أو حركةٍ أو غيرهما ، فمثلاً :الحميّة تدعو الرجل إلى الدّفاع عن جارِه، والشيطان يدعو أوليائه إلى المنكراتِ ، و صوتٌ غريبٌ يدعوكَ إلى التنصّت، وغيرها ، فكلّ شيءٍ يَدْعوك (أو يُريدُ مِنكَ الميلَ) الى أمرٍ ما سلباً كان أو ايجاباً وبواسطة، يمكن تسميتهُ داعياً. فداعية الدين يُريد منك الميلَ نحو هذا الدين بواسطة الدلالات والبراهين والشروحات وغيرها . والشيطان يُريد من النّاس فعل المنكرات بواسطة تزيين الأعمال ، أو بتزييف الامور. فكلٌ منهما يسمى (داعٍ). فلو تطبّقتْ هذه العملية على رسالة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لكان الأمر هكذا (المُرْسِل، والمُرْسَل (الرسول)، والمُرْسَل إليه، والرسالة)، فالله تعالى هو (المدعوّ له)، والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)هو (الدّاعي)، والناس (المدعوون)، والرسالة هي (الدّعوة).

الدلالة النحويّة :

قال تعالى:﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾ [القمر:6].

أوّلاً: قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾:

في مثل هذا التركيب كثيراً ما يتوهم الباحث أن اللفظة هي من الأضداد أو تحملُ معنيين متضادين، كما في (التولية) فتكون للإقبال، وللإدبار والإعراض، جاء في تهذيب اللغة:((والتولية، تكون إقبالاً، ومنه قوله جل وعز:﴿ **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[1]، أي: وجه وجهك نحوه وتلقاءه. وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا**﴾[2]. قال الفرّاء: هو مستقبلها .والتَّولية، في هذا الموضع: إقبال. قال: والتّولية، تكون انصرافاً؛ قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ** ﴾[3]؛ وقال في موضع آخر: ﴿**يُوَلُّوكُمُ**

---

[1] لبقرة :144.
[2] البقرة :148.
[3] التوبة :25.

﴿الْأَدْبَارَ﴾[1].هي هاهنا: انصراف. وقال أبو معاذ النحوي: قد تكون " التولية " بمعنى: التَّوَلِّي. يقال: وَلّيت وتولّيت، بمعنى واحد... و " التولي " يكون بمعنى: الإعراض، ويكون بمعنى: الاتّباع؛ قال الله تعالى:﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[2] ، أي: تُعرضوا عن الإسلام. وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾[3]، معناه: من يَتَّبعهم ويَنْصرهم))[4].

والذي يُنعم النّظر يَجدُ أنّ اللفظةَ حافظتْ على معنّاها، ولكن الذي أثّر في معنى التّركيب ككل هو التّعدية ، ففي قوله تعالى :﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ التعدية كانت بالمفعول به (وجهَك) ففعل الأمر جاء لتولية وجه المأمور نحو شطر المسجد ، فأخذ معنى (ولّي) وهو توجيه الأمر نحوه[5] ، وحين قال عزّ وجلّ : ﴿ثم وَلَّيْتُم مُدْبِرِين﴾ فهنا أيضاً التعدية كانت بالمفعول به ، ولكن معنى المفردة المستعملة مع لفظ (ولّيتم) مُختلف ولها دلالتها الخاصة فهنا جاء التولي نحو (الدّبر) أي توجههم ومتابعتهم كانت نحو (الدّبر) فمعنى (التوّلي) لَمْ يأخذ معنى الاعراض ، بل هُم اتخذوا (الدّبر) وجهةً لهم .

فمن هذا المعنى يتضح أن قوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لو كان معنى (تولَّ) اعرض عنهم[6]، لاختلف المعنى ممّا لا شكّ فيه، ولكن تحصَّل المعنى (اعرض عنّهم) من التركيب ككل ،فمن فعل الأمر (تولّ) جاء الاتخاذ والقصد والمتابعة لـ (مجاوزتهم) المأخوذة من معنى حرف الجر (عن) الذي يفيد المجاوزة، جاء في معاني النحو: ((عن تفيد المجاوزة، ومعنى المجاوزة الابتعاد . تقول : انصرف عنه أي اتركه بخلاف انصرف إليه، فمعناه ذهب إليه))[7]،ولكن قول الطبري(ت:310هـ) : ((فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك))[8] ، ليس بدقيق، فهو جعل (فتَوَلّ) بمعنى فأعرض، في حين هذا تحصَّل من معنى حرف الجر (عن)، ولو

---

(1) آل عمران :111.
(2) محمد :38.
(3) المائدة :51.
(4) تهذيب اللغة : (325/15) (ولى).
(5) لسان العرب : (ولي) .
(6) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن:(573/22).
(7) معاني النحو: (46/3).
(8) جامع البيان في تأويل آي القرآن:(573/22).

استعمل حرف جر غيره لتغير المعنى وأخذ معنى الحرف الجديد ، جاء في جمهرة اللغة : ((والرَّغْبَة من قولهم: رَغِبْتُ في الشيء رَغَباً ورَغْبَةً ورُغْبَى، إذا ملت إليه. ورغبتُ عنه، إذا صددتَ عنه، وأنا راغب، فيهما جميعاً. والشيء مرغوب عنه: مكروه؛ ومرغوب فيه: مُراد. ولي في ذلك رَغْبَة ورُغْبَى، ولي عنه مَرْغب))[1] .

فمن هنا نَجِدُ أن المزاوجة بين المعنى اللغوي والمعنى النحوي تلعب دورها في ابراز معنى التركيب ، ويبقى المعنى للجذر (ولي) :هو توجيه الأمور نحو شيء معين. مع مراعاة الألفاظ المستعملة معها ، فحين تقول (وليتُ عنك) حتماً تختلف دلالتها عن قولك (وليتُ إليك)، وذلك يحصل في كيفية توجيه الأمور نحو هذا الشيء المعيّن .

ثانيا: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ :

أُختُلِفَ في الناصب للفظ ﴿يَوْمَ﴾ في هذا التركيب ، فقيل : العامل في ﴿يوم ﴾ فعل مضمّر تقديره (اذكر) أو (انتظر)[2]، وقيل: هو ظرف لـ ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾[3]، وغيرها من الاحتمالات ذكرها الآلوسي في قوله: ((يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ظرف- ليخرجون- أو مفعول به لاذكر مقدراً، وقيل: لانتظر، ويجوز أن يكون ظرفا لتغني، أو لمستقر وما بينهما اعتراض، أو ظرفاً- ليقول الكافر- أو- لتول- أي تول عن الشفاعة لهم يوم القيامة، أو هو معمول له بتقدير إلى، وعليه قول الحسن- فتول عنهم إلى يوم..))[4].

وهذا الاختلاف في الآراء يدلّ على أهمّية التوجيه النحوي للمعنى ، وبعد التدبّر للآيات يرجح الباحث احتمالاً واحداً وهو أن (يوم) ظرف لـ (يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ).

---

[1] جمهرة اللغة :(320/1) ب- ر- غ.
[2] ينظر : تفسير القرآن العظيم::476/7 ، والجامع لإحكام القرآن :129/17 ، و روح المعاني (79/14)، و البحر المديد (523/5)، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم :787، والمجتبى من مشكل اعراب القرآن :(1257/4)، والكشاف:(422/4).
[3] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج:86/5 ، والجامع لإحكام القرآن:129/17.
[4] روح المعاني (79/14).

والذي يقود القول الى هذا هو أن الوقف على ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ وقف التمام [1]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ ((كلام مفصول عمّا قبله لذكر الزواجر التي أُشير إليها سابقاً في مقام الجواب عن سؤال مقدَّر كأنّه لمّا قال: ﴿ فتولَّ عنهم ﴾ سُئل فقيل : فإلى مَ يؤول أمرهم ؟ فقيل : ﴿يوم يدع ﴾ إلخ، أي هذه حال آخرتهم وتلك عاقبة دنيا أشياعهم وأمثالهم من قوم نوح وثمود وغيرهم ... وعلى هذا فالظرف في ﴿يوم يدع﴾ إما متعلق بما سيأتي من قوله : ﴿يخرجون ﴾ والمعنى: يخرجون من الأجداث يوم يدعو الداعي إلى شيء نكر ...))[2] ، والذي يُنعم النظر في الآيات يَجدُ أنّ الضمير (هُم) في قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ عائداً الى نفسِ الاشخاص العائد إليهم الضمير في الألفاظ (يروا، يعرضوا، ويقولوا، وكذبوا واتبعوا أهوائهم، جاءهم، خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ...) .

فهذا يدل على أن قوله : ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ استئناف بياني ، وتقديم الظرف على معموله فيه دلالة على إجمالٍ يتبعه تفصيل ، قال ابن عاشور : ((فَإِذَا سَمِعَ السَّامِعُ هَذَا الظَّرْفَ عَلِمَ أَنَّهُ ظَرْفٌ لِأَهْوَالٍ تُذْكَرُ بَعْدَهُ هِيَ تَفْصِيلُ مَا أَجْمَلَهُ قَوْلُهُ: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ مِنَ الْوَعِيدِ بِحَيْثُ لَا يَحْسُنُ وَقْعُ شَيْءٍ مِمَّا فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ هَذَا الْمَوْقِعَ غَيْرِ هَذَا الظَّرْفِ، وَلَوْلَا تَقْدِيمُهُ لَجَاءَ الْكَلَامُ غَيْرَ مَوْثُوقِ الْعُرَى، وَانْظُرْ كَيْفَ جَمَعَ فِيمَا بَعْدُ قَوْلَهُ: يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ كَثِيرًا مِنَ الْأَهْوَالِ))[3]، فكأن المعنى (فتولّ عنهم -لأن مآل حالهم - خشّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث يوم يدعو الداعي الى شيء نكر).

---

[1] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج :(86/5).
[2] الميزان في تفسير القرآن :(59/19-60).
[3] التحرير والتنوير: (176/27).

ولفظ ﴿الدّاع﴾ جاء بصيغة اسم الفاعل واسم الفاعل ((يدل على أمرين معاً، هما المعنى المجرد الحادث، والذات التي فعلته أو التي ينسب إليها))[1]، وجاء اسم الفاعل هنا محلى بأل فهو عامل في جميع الأحوال[2]. جاء في المفصل: ((ويشترط في اعمال اسم الفاعل أن يكون في معنى الحال ، أو الاستقبال ...))[3]، ويُفهم من صيغة اسم الفاعل على تكرار الفعل ورسوخه في الفاعل، في حين صيغة الفعل لا يُفهم منها التكرار والرسوخ[4]، والله تعالى ذِكْرهُ لم يُسَمِّ هذا (الدّاعي) باسمه ، لكن أورده بـ (أل التعريف) وبصيغة اسم الفاعل، ليدلّل على أن هذا الداعي معروف بهذا الوصف وأن ذاته مترسخة في هذا الحدث.

ومهمّة هذا الدّاعي أنه ((يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ عَظِيمٍ لِأَنَّ مَا فِي لَفْظِ شَيْءٍ مِنَ الْإِبْهَامِ يُشْعِرُ بِأَنَّهُ مَهُولٌ، وَمَا فِي تَنْكِيرِهِ مِنَ التَّعْظِيمِ يُجَسِّمُ ذَلِكَ الْهَوْلَ))[5]. ووصف هذا الشيء العظيم بِأَنَّهُ نُكُرٍ، أي تُنْكِرُهُ النُّفُوسُ وَتَكْرَهُهُ[6] ،و((النُّكُرُ بِضَمَّتَيْنِ: صِفَةٌ، وَهَذَا الْوَزْنُ قَلِيلٌ فِي الصِّفَاتِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: رَوْضَةٌ أُنُفٌ، أَيْ جَدِيدَةٌ لَمْ تَرْعَهَا الْمَاشِيَةُ، وَرَجُلٌ شُلُلٌ، أَيْ خَفِيفٌ سَرِيعٌ فِي الْحَاجَاتِ...))[7]. فالدّاعي يدعو إلى شيء عظيم تنكرهُ النفوس وتكرههُ.

الاستعمال القرآني للفظ (الداعي) ومصاحباته:

اتضح في الدلالة اللغوية للفظ (الداعي) هو محاولة إمالة الشيء إليك، ويبدو أن لفظ (الداعي) المستعمل في القرآن ليس ببعيد عن هذا المعنى، وقد استعمل القرآن الكريم لفظ (الداعي) معرّفاً، وغير معرَف، قال تعالى:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الاحزاب :46].

---

(1) الأبنية الدالة على اسم الفاعل في القرآن الكريم (دراسة دلالية): افراح عبد علي كريم الخياط ، مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد، اشراف: الدكتورة هدى محمد صالح الحديثي(2003م)، صـ :13. (اطروحة).

(2) ينظر معاني النحو :(147/3).

(3) المفصّل:(99/4).

(4) ينظر: التفسير الكبير، للرازي: (29/25)، ومعاني النحو :(152/3).

(5) التحرير والتنوير :(177/27).

(6) ينظر: المصدر نفسه.

(7) المصدر نفسه.

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الاحقاف:31-32].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:186].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه:108].

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ [القمر:6].

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر: 8] .

ففي آية الأحزاب المراد من ﴿الدّاعي﴾ هو النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتؤكد ذلك كثير من القرائن في النص منّها : الضمير في ﴿وداعياً﴾ الذي يعود على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي سبق ذكره في قوله :﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الاحزاب: 45] ، مبشراً ونذيراً عطف على شاهداً ، ((وداعياً عطف أيضا على شاهدا والى الله متعلقان بداعيا))[1] ، ذكر السيوطي(ت: 911هـ) في تفسير هذه الآية : ((قَالَ: شَاهدا على أمتك وَمُبشرا بِالْجنَّةِ وَنَذِيرا من النَّار وداعياً إِلَى شَهَادَة لَا إِلَه إِلَّا الله ﴿بِإِذْنِهِ وسراجاً منيراً﴾ بِالْقُرْآنِ))[2].

وكذلك الحال في آية الأحقاف فـ ﴿ الداعي﴾ هو النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، قال تعالى : ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [

---

[1] إعراب القرآن وبيانه :(30/8).
[2] الدّر المنثور :(624/6).

الاحقاف:31-32].سياق الآيات يدلل على أن ﴿**داعيَ الله**﴾ في هذا التركيب هو النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك من الضمير (نا) في ﴿ **قَوْمَنَا** ﴾ الذي يُحيل إحالة قبلية إلى الجنّ الذين صرفهم الله الى النبي حينما كان يتلو القرآن الكريم ، فقال تعالى :﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۞ قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الاحقاف:29-30] . فقد عبَّرَ الجنّ عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)المحال إليه بالضمير (الكاف) في ﴿إليك﴾ بـ ﴿ داعي الله ﴾ وهذا ما أكده الطبري : ((قالوا: أجيبوا رسول الله محمدا إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله (وَآمِنُوا بِهِ)))[1]، من هذا يفهم أن المراد بـ (الداعي) في الآية التي تليها وهي قوله تعالى : ﴿**وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ**﴾[الاحقاف : 32] . ايضاً هو رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا ما ذكره المراغي، والشوكاني[2].

وممّا تقدم يتضح أن ﴿**الدّاعي**﴾ هو بشر يدعو إلى الله في الأرض، لأنّ دلالة (دعو) اللغوية هي محاولة إمالة المقابل إليك، وهذا يكون في الدّنيا لأنّها دار عمل أمّا في القيامّة فلا يَحتاج الله داعياً يدعو له، لأنّها دار حساب، فإلى مَ يدعوهم ؟؛ بل هناك إمّا يزفّ الى الجنّة، أو يساق إلى النّار.

أمّا قوله تعالى : ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة:186] .

فهذه الآية الكريمة تتحدث عن دعوّة العباد لله وهنا العبد يحاول إمالة عطف الخالق إليه ليشمله برحمته ويحقق له أمانيّه، جاء في روح البيان : ((روى أن أعرابياً قال لرسول الله (ﷺ): أقريب ربّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فقال تعالى ايماء إلى سرعة إجابة الدعاء منهم إذا سألك عبادي عنى فَإِنِّي قَرِيبٌ أي فقل لهم أني قريب

[1] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (141/22).
[2] ينظر : تفسير المراغي :(35/26)، و فتح القدير :(31/5).

بالعلم والإحاطة فهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم ...))[1].فالداعي هنا أيضاً بشر حسب سياق الآية والدعوة في دار التكليف وهذا واضح من قوله:﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

وهذا البحث يَجرُّنا إلى نَقْدِ مَنْ جَعلَ دلالة ﴿**الدّاعي**﴾ في آية البحث هو اسرافيل (عليه السلام)، فَهُمْ لمّا وجدوا أن لفظ (الدّاعي) في باقي الآيات لا يدلُّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، جعلوا (الدّاعي) هو اسرافيل (عليه السلام)، ففي قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا** ﴾ [طه:108] . فلمّا وجدوا الآية تتحدث عن يوم مستقبلي فيه تخشع الأصوات ، وتنسف الجبال، وتكون الأرض قاعاً صفصفا ، قالوا :(الداعي) هنا هو اسرافيل (عليه السلام)، وهذا يحصل في يوم القيامة ، وهذا ما مذهب إليه الفرّاء والطبري والزمخشري وغيرهم[2].

لقد تتبع أحد الباحثين المعاصرين مصاحبات (الدّاعي) في هذه الآية الكريمة على وفق المعايير النَّصية ، فخرج بنتيجة مغايرة لِمَا ذهب إليه المفسّرون ، **ويمكن ايجاز ذلك بما يأتي:**[3]

1- أن لفظ (تبع) وظِّفَ في اللغة للتعبير عن انقياد التابع للمتبوع ، والتسليم لأوامره ونواهيه. واستعمل القرآن هذا الفعل (تبع) وما يشتق منه للتعبير عن الطاعة والتسليم والانقياد كما في قوله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الانفال:64] ، وقوله : ﴿ **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ**﴾ [يونس : 35]، وقوله : ﴿**قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [يس:20]. وغيرها من الموارد التي تبيّن مدى تسليم التابعين لقائدهم، وانقيادهم لأوامره، ونواهيه، وجميع ذلك في الدنيا .

2- لفظة (الدّاعي) استعملت في القرآن الكريم على من يدعو إلى عبادة الله وحده ونبذ ما سواه في دار التكليف، أمّا حاشر يوم القيامة، فلا يوصف بكونه داعياً.

---

[1] روح البيان :(296/1).
[2] ينظر: معاني القرآن ، الفراء :(187/2)، جامع البيان في تأويل آي القرآن : (373/18)، والكشاف :(88/3).
[3] ينظر :الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم: 190-204.

3- (لا عوج له) يستبعد أن تكون صفة لـ (اسرافيل) (عليه السلام)؛ لأنّه ليس من البشر لكي يُخطئ، أو يَميل، فهو من ملائكة الله العظام ... وكذلك لو كانت صفة للتابعين لقال تعالى (لا عوج عنه)... لكن يبدو أنّها جاءت في مقام ذكر أحداث مستقبلية ستقع على الأرض في زمن التكليف وعلى يد رجل أُخْتِير ليكون مختصاً بهذه النسبة العظيمة، ولمّا كان الأنسان عُرضَةً للخطأ و الانحراف ...اقتضى السياق أن يوصف هذا الرجل ﴿ **الداعي**﴾ بجملة ﴿**لا عوج له**﴾ التي احتوت الأداة (لا) النافية للجنس لتنفي عنه كل نوع من أنواع الاعوجاج، وما يؤكد هذا الأمر مجيء لفظة ﴿**عِوَجَ**﴾ نكرة ؛ لتعمَّ جميع أنواع الاعوجاج.

واستعمل القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا** ﴾ [الكهف:1].

فالملاحظ في تفسير هذه الآية عدم قول أحد من المفسرين أنّ جملة ﴿ **وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**﴾ تعني (لم يجعل عنه عوجاً) ، ومن ثَمَّ فإنّ الضمير ﴿**له**﴾ إن كان راجعاً إلى ﴿**الكتاب**﴾ فإنه يدل على أنه (لم يجعل له عوجاً قط). والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان [1]. وإن كان يعود على ﴿**عبده**﴾ فإنه يدل على نفي الاعوجاج عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وعلى كلا الرأيين فإنّ ﴿**الداعي** ﴾ كالقرآن كلاهما لاعوج له، وكيف لا وهو القسيم للقرآن الكريم كما نص رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك بقوله: ((**أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ " فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»**))[2]. وممّا لا خلاف فيه أن الأمام المهدي (عليه السلام) من العترة الطاهرة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**أبشركم بالمهدي رجل من قريش من عترتي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلزال فيملأ**

[1] ينظر: الكشاف :702/2، والجامع لأحكام القرآن :346/10.
[2] صحيح مسلم :(1837/4)، رقم الحديث : 2408، و سنن الدارمي: (2090/4).

الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً...))[1]، فكما إنَ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لاعوج له، والقرآن الكريم لا عوج له، فكذلك هذا (الداعي) لا عوج له .

4- (الهمس) يَدلُّ على الكلامِ الذي يكون بين أثنين أو بين واحد ومجموعة أو بين الشخص ونفسه على نحو لا يكون واضحاً وضوحاً كافياً وهذا يكون في الدنيا ، ولا يحدث في يوم القيامة؛ لأنه تختم فيه الأفواه. قال تعال : ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ**﴾ [يس: 65]. فأنت يوم القيامة لا تسمع همساً؛ بل ﴿ **لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾ [النبأ:38].

ويَخلص في القول إنّ هذه الآية لا تتحدث عن يوم القيامة؛ بل عن يوم مستقبلي يحدث في الدنيا على يد هذا (الداعي)[2].

وممّا تقدم يتضح أنّ (الدّاعي) تكون دعوته في الأرض لإمالة المقابل إليه . وهذا يُعْطينا مسوّغاً أنْ نَحتمِلَ دعوة ﴿**الدّاعِ**﴾ في آية البحث ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ**﴾ [القمر:6] تكون في دار التكليف، وليس في يوم القيامة ؛ ولكن الذي جَرَّ القول بأنّ هذا الداعي هو اسرافيل (عليه السلام)، وأنّ دعوته تكون في يوم القيامة هو تَعَلُّقُ قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ**﴾ بقوله: ﴿**يَخْرِجُونَ**﴾ والمعنى: (يخرجون من الأجداث يوم يدعو الداعي إلى شيء نكر ...) فتكون هذه تصويراً لحالهم في ذلك الظرف العسر بالنسبة للكافرين .

فمِنْ ذا قالوا (الدّاع) هنا هو اسرافيل (عليه السلام)، أو جبريل (عليه السلام)، أو ملك موكّل بذلك، وأن هذا اليوم هو يوم القيامة [3]، قال الرازي في تفسير هذه الآية : ((وَفِي الدَّاعِي وُجُوهٌ أَحَدُهَا: أَنَّهُ إِسْرَافِيلُ وَثَانِيهَا: أَنَّهُ جِبْرِيلُ وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِذَلِكَ...))[4]، وقال أبو بكر الجزائري :((أي يَدع الدّاع إلى موقف القيامة))[5]، فتَعَلّقُ (يومَ يدع) بـ (يخرجون من الأجداث) ، والجَدَثُ في اللغةِ بمعنى (القبر)[6]،

---

[1] مسند أحمد:(37/3)، و مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي :(313/7)، وكنز العمال، المتقي الهندي :(261/14-262).

[2] ينظر : الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم :194-205.

[3] ينظر:جامع البيان في تأويل آي القرآن:(523/22)،والنكت والعيون، للماوردي:(411/5).

[4] التفسير الكبير، الرازي:(292/29).

[5] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير:(205/5).

[6] ينظر: لسان العرب: (جدث).

دفعهم بالقول أنّ هذه الأحداث هي أحداث يوم القيامة، وكأنّ الله سبحانه لَمْ يُرجعْ مَيّتاً من قبرِهِ إلى الدّنيا ؟! وكأنّ الله سُبحانَه لَمْ يَذكر في كتابه آيات فيها دلالات على أن في الدّنيا عذاب وحساب، وكذلك جنّة ونعيم ؟، فإذا أُغْفِلَتْ هذه الحقيقة، ضاع المراد من الخطاب .

فالبحث يَحتملُ أنّ هناك عذاب دنيوي يكون على يد وليّ من أولياء الله ، وجنّة نعيمٍ ومأوى في الدّنيا ، وهذا ليس بغريب؛ لأنّ القرآن صَرّحَ بأنّ(ذا القرنين) عَذَّبَ وأثاب في الدّنيا كما في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۞ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۞وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا** ﴾[الكهف:86-88] . فقد أباحه الله هذين الحكمين، وهذا المعنى حصل أيضاً مع نبي الله سليمان (عليه السلام) فقال تعالى: ﴿ **هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [ص:39].

وهناك آيات أُخر تُنبئ عن عذاب دنيوي، وثواب دنيوي، كما في قوله : ﴿ **وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا** ﴾ [الاسراء: 58]. وقال تعالى:﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ [التوبة:101]، وقال تعالى:﴿**لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [فصلت:16] وَقَرَنَ تعالى الجنّة مع وراثة الأرض في قوله :﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾[الزمر:74] ، وقال تعالى :﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾[الرحمن:46]، وقال :﴿ **وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ** ﴾[الرحمن:62]، وقال: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞**

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: 106-107]، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود :108] والخلود هنا ليس أبدياً، بل مادامت السموات والأرض، في حين يوم القيامة تطوى السماء، والخلود فيها أبداً. وجعل تعالى ذكره لكلِّ جنّة مُمَيّزات عن الأخرى، لا تسع رقعة البحث لذكر مواردها ، وبيان فروقاتها .

وبعد النّظر والتدبّر لآيات سورة القمر بالكامل ظهر أن السورة تتحدث عن أحدث مستقبلية تحدث في دار التكليف ، ولقد بدأت السورة بذكر الأحداث الكونية وهي قوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۞وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[القمر :1-2].

وأوضحت السورةُ مُشَابهة تَكذيب الكافرين، وتَكذيب الامم السابقة من قبلهم لأنبيائهم، من نحو قوله:﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:3] ، وقال عزَّ من قائل:﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ [القمر:9]، وكلُّ ما ذكرتّه السورة من أحداث الأمم السابقة حصل في الدنيا، وليس في يوم القيامة.

وبعد سرد أحداث الأمم السابقة ،قال تعالى:﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[القمر:46]. فقد بدأت السورة بقرب السّاعة، وفي أواخرها جعلت السّاعة هي موعدهم، ولفظة **(السّاعة)** كما تبيَّن في البحث سابقاً، هي أيضاً ليستْ من مختصّات يوم القيامّة، بل يُحْتَمَل أن تكون أحداثها دنيوية، على يد وليّ من أولياء الله [1].

المعضّدات :

ذكرتْ سورة القمر سلسلة من الأحداث المستقبلية وقد صرّحت بذلك طائفة من الروايات ، من نحو ما ذكره القمّي في تفسيره في قوله تعالى: **﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾**[2]

---

[1] يراجع لفظ (السّاعة) من هذه الرسالة:26-37 .
[2] القمر :1.

((قال : يعني خروج القائم عليه السلام))[1]. فأشارت السورة في أوّلها إلى اقتراب الساعة ((ومجيء الآيات وذكر السحر ونزول الأمر ووصول الأنباء واختلاف حركة القمر ورؤية العذاب وكلّ ذلك من العلامات الكونية للطور المهدوي ...))[2] فهي سلسلة من الأحداث التي أشارت إليها الأحاديث والروايات الشريفة.

ومنه أيضاً ما ذكره العلامّة النعماني(ت:360هـ) في غيبته، عن عبدالله بن سنان بأسانيد تقدّمت في حديث طويل عن الإمام الصادق عليه السلام نذكر منه محلّ الشاهد ((... ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتنا. فعند ذلك يبرأون منا ويتناولونا، فيقولون: إنّ المنادي الأول سحر من أهل هذا البيت، ثمّ تلا أبو عبدالله (عليه السلام) قول الله عزّ وجل : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[3]))[4]. فهم حين يسمعون صوت المنادي من السماء وهو آية من آيات الله يقولون: سحر مستمر، اشارة إلى رسول الله الذي اتهموه من قبل بالسحر.

أمّا لفظ ﴿ الدّاعِ﴾ في آية البحث فقد صرّحتْ الروايات على أنّه الإمام الموعود من نحو ما ذكره القمّي في قوله تعالى :﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[5]، قال: ((الإمام إذا خرج يدعوهم إلى ما ينكرون))[6] .

وقد يَسألُ سائلٌ لقد ظَهرَ في الدلالة النحويّة من هذا البحث أنّ ﴿الدّاعِ﴾ متعلّق بقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾[7] والجَدَثُ هو القبر، فكيف يُوَفِّقُ الباحث بين الدلالة النحويّة ونتيجة الاستعمال القرآني للفظ (الدّاع) ؟! الجواب هو أنّ الباحث قد استفهم عن هذا كثيراً ، على الرغم من أنّ الطائفة الشيعية تُؤمنُ بأنّ هناك كَرَّة إلى الدّنيا بعد الممات ، يرجع فيها مَنْ مَحَضَ الإيمانَ محضاً ، ومَنْ مَحَضَ الكُفْرَ محضاً

---

[1] تفسير القمّي : 675، وبحار الأنوار : (40/51) ، وعنه عوالم البيان في مهدي القرآن :255.
[2] الطور المهدوي :93.
[3] القمر :2.
[4] الغيبة، النعماني : 268، والمحجة: 215، وموسوعة الإمام المهدي ، عرفان محمود: (569/1)، وعوالم البيان في مهدي القرآن : 254.
[5] القمر: 6.
[6] تفسير القمّي :676، ونهاية أحدث التاريخ البشري : (471/3)، وعوالم البيان في مهدي القرآن : 255.
[7] القمر:7.

، إلّا أن الباحث وجد ضالته في دعاء العهد المرويّ عن الإمام الصادق(عليه السلام)، إذ جاء فيه: ((**اللّهُمَّ إنْ حالَ بيني وبينه الموتُ الّذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني من قبري مُؤْتَزِراً كَفَنِي شاهراً سيفي مُجَرِّداً قناتي مُلَبّياً دعوة الدّاعي في الحاضر والبادي**))[1] فهذا النّص قد بيَّنَ المسألة بوضوح، فليس بغريب أنْ يخرجوا من الأجداث مهطعين إلى الدّاعِ، وسيكون الأمر أكثر وضوحاً في الفصل الثاني في بحث المركب الوصفي (كَرّةٌ خاسرةٌ) .

فممّا تقدَّم يحتملُ الباحث أنّ لفظ ﴿**الدّاعِ**﴾ في آية البَّحث لا يَدلّ على إسْرَافِيل (عليه السلام) بقدر ما يدلّ على داعٍ تكون دعوته في دار التكليف؛ ليجزيّ المُلَبين المؤمنين، ويُحاسب المكذّبين المعاندين. [والله أعلم].

[1] المنتخب الحسيني في الأدعية والزيارات ، إعداد مكتبة الألفين(11/صفر /1430هـ) :32.

المبحث الثاني

الألفاظ غير المعرّفة بـ(أل)

المطلب الأوّل/ لفظ (عذاباً):

قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[الانعام:65].

الدلالة المعجميّة: للألفاظ (عذاب، لبس، شِيعَ، ذاق):

أولاً / لفظ (عذاب):

ذكرت المعجمات العربية لفظ (عذاب) تحت الجذر (عَذَبَ) والذي يتتبع مادة (عذب) وما يشتق منها ، يَجِدُها تدلّ على أوجهٍ مختلفةٍ، منها: **استساغ الشيء وعدم التمنّع منه**، كقولهم:((عَذُبَ الماءُ عُذوبةً فهو عَذْبٌ طيب، وأَعْذبتُه إعذاباً، واستعذبته، أي: أسقيته وشربته عَذْباً))[1]. فهو أمر مستساغ، وهذا ما أكّده ابن دريد (ت: 321هـ) في قوله: ((عذب المَاء وَغَيره إِذا استساغ. والعذب: ضد الْملح وكل مستسيغ من طَعَام أَو شراب وَجمعه عَذَاب))[2]، وقال الفيروز آبادي(ت: 817هـ) : ((العَذْبُ من الطَّعامِ والشَّرابِ: كل مُسْتَساغٍ))[3]. فالوجه الأول: يستعمل في الأمور المستساغة والطيبّة.

ووجه آخر عكس الأوّل يدلُّ على: **الكفّ والمنع**، كقولهم: ((عَذَبَ الحمار يَعْذِبُ عَذْباً وعُذوباً فهو عاذِبٌ عَذوبٌ لا يأكل من شدّة العطش. ويقال للفرس وغيره: عَذوبٌ إذا بات لا يأكل ولا يشرب، لأنّه ممتنع من ذلك. ويَعْذِبُ الرّجل فهو عاذِبٌ عن الأكل، لا صائم ولا مُفْطِرٌ... وتقول: أعذبتُه إعذاباً، وعذّبتُه تعذيباً، كقولك: فطّمته عن هذا الأمر، وكلّ من مَنَعْتَهُ شيئاً فقد أعْذَبْتَهُ))[4]. و ((بَات الرجل عاذباً

---

[1] العين : (102/2) (عذب) ، تهذيب اللغة: (193/2)(عذب).
[2] جمهرة اللغة: (304/1) (عذب).
[3] القاموس المحيط (عذب).
[4] العين: (103/2) (عذب) ، تهذيب اللغة: (193/2) (عذب).

وعذوباً إذا كَانَ مُمْتَنعاً عَن النّوم جائعاً. وأعذب عَن الشَّيْء إذا امْتنع عَنهُ... وَفِي الحَدِيث: فأعذبوا عَن النِّسَاء أَي امْتَنعُوا عَن ذكرهن))[1]. والذي ليس بينَه وبين السّماء سِتْر يقال له : عَذوب وعاذب[2]؛ لأنّه يُقاسي الحرارة أو البرد ، أو يقاسي السّهر لأنّه منع النوم[3] .

والمُعَذَّبُ لفظٌ يطلق على العاشق[4]،على اعتباره يقاسي عقبات عشقه ومشغولاً بها.

وقال ابن فارس: (((عَذَبَ) الْعَيْنُ وَالذَّالُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، لَكِنَّ كَلِمَاتِهِ لَا تَكَادُ تَنْقَاسُ، وَلَا يُمْكِنُ جَمْعُهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ ... فَمِنَ الْبَابِ: عَذُبَ الْمَاءُ يَعْذُبُ عُذُوبَةً، فَهُوَ عَذْبٌ: طَيِّبٌ ... وَبَابٌ آخَرُ لَا يُشْبِهُ الَّذِي قَبْلَهُ، يُقَالُ: عَذَبَ الْحِمَارُ يَعْذِبُ عَذْبًا وَعُذُوبًا فَهُوَ عَاذِبٌ و عَذُوبٌ: لَا يَأْكُلُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ. وَيُقَالُ: أَعْذَبَ عَنِ الشَّيْءِ، إِذَا لَهَا عَنْهُ وَتَرَكَهُ ...وَيُقَالُ لِلْفَرَسِ وَغَيْرِهِ عَذُوبٌ، إِذَا بَاتَ لَا يَأْكُلُ شَيْئًا وَلَا يَشْرَبُ، لِأَنَّهُ مُمْتَنِعٌ مِنْ ذَلِكَ... وَبَابٌ آخَرُ لَا يُشْبِهُ الَّذِي قَبْلَهُ: الْعَذَابُ، يُقَالُ مِنْهُ: عَذَّبَ تَعْذِيبًا. وَنَاسٌ يَقُولُونَ: أَصْلُ الْعَذَابِ الضَّرْبُ))[5]. **فالوجه الثالث :هو التَّعذيبُ ، ويُراد به الضّرب** أو ((النَّكالُ: أَعْذِبَةٌ وقد عَذَّبَهُ تَعْذيباً))[6]. فـ(العذاب)اسم مصدر، من أعذب يُعذَّبُ عذاباً ، والمصدر تَعْذِيبًا[7].

وأرجع أبو هلال العسكري(ت: نحو395هـ) أصل العذاب إلى (الاستمرار) عند تفريقه بين (العذاب ، والألم) في قوله :((أَن الْعَذَاب أخص من الْأَلَم وَذَلِكَ أَن الْعَذَاب هُوَ الْأَلَم المستمر والألم يكون مستمراً وَغير مُسْتَمر أَلا ترى أَن قرصة البعوض ألم وَلَيْسَ بِعَذَاب فَإِن اسْتمرّ ذَلِك قلت :عذبني البعوض اللَّيْلَة فَكل عَذَاب ألم وَلَيْسَ كل ألم عذَابا وأصل الْكَلِمَة الِاسْتِمْرَار وَمِنْه يُقَال: مَاء عذب لاستمرائه فِي الْحلق))[8]. فالألم إذا استمرّ كان عذاباً ؛ لذلك تَجِدُ بعضهم يقول : ((والعذاب: ما يُصيب النّفس من ألمٍ، ومنه عذاب النار ونحوها))[9] . ويلحظ أنّ الوجه الثالث: **وهو الضّرب** ، يمكن ردّهُ إلى المعنى الثاني : وهو الكفّ والمنع عن الشيء؛

---

[1] جمهرة اللغة: (304/1) (عذب).
[2] ينظر: العين: (103/2) (عذب).
[3] ينظر: جمهرة اللغة: (304/1) (عذب)، ومقاييس اللغة: (259/4) (عذب).
[4] ينظر: جمهرة اللغة : (304/1)(عذب).
[5] مقاييس اللغة : (259/4-260) (عذب). (عذب).
[6] القاموس المحيط : (113/1)(عذب).
[7] ينظر: البارع في اللغة: (227/1) (عذب).
[8] الفروق اللغوية :(239/1).
[9] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: (4434/7).

فـ(الضرب) يأتي بمعنى الكفّ والمنع عن الشيء ومنه قولهم:((أَضْرَبَ فُلَانٌ عَنِ الْأَمْرِ، إِذَا كَفَّ، وَهُوَ مِنَ الْكَفِّ، كَأَنَّهُ أَرَادَ التَّبَسُّطَ فِيهِ ثُمَّ أَضْرَبَ، أَيْ أَوْقَعَ بِنَفْسِهِ ضَرْبًا فَكَفَّهَا عَمَّا أَرَادَتْ))[1].ومن ذا يمكن القول: أن مادة(عَذَبَ) استعملت في معنيين :الأوّل استساغة الشّيء، والثاني : الكفُّ والمَنْعُ عن الشّيء.

ثانياً / لفظ (لبس):

ذكر الخليل(ت:170هـ) في مادة (لبس) :((اللِّباسُ: ما وارَيْتَ به جَسَدَك، ولباسُ التَّقْوى: الحَياءُ، ولَبِسَ يَلْبَس. واللَّبْسُ: خَلط الأمور بعضِها ببعضٍ إذا التَبَسَتْ. واللَّبُوسُ: الدِّرْع، وكلُّ ما تَحَصَّنْتَ به...))[2] ،وجاء في جمهرة اللغة ((لبستُ الْأَمر على فلَان ألبسهُ لبساً ولبستُه تلبيساً إِذا عميته عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ فسّر فِي التَّنْزِيل: ﴿**وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ**﴾[3] . وَفِي أَمر فلَان لبسة ،أَي لَيْسَ بواضح. وَيُقَال: لابست الرجل مُلَابسَة إِذا عرفت دَخلته))[4]. فاللّبْسُ: هو خلط الأمور بعضها ببعض وتداخلها. وهذا ما أكّده ابن فارس في قوله: ((اللَّامُ وَالْبَاءُ وَالسِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى مُخَالَطَةٍ وَمُدَاخَلَةٍ. مِنْ ذَلِكَ لَبِسْتُ الثَّوْبَ أَلْبَسُهُ، وَهُوَ الْأَصْلُ، وَمِنْهُ تَتَفَرَّعُ الْفُرُوعُ. وَاللَّبْسُ: اخْتِلَاطُ الْأَمْرِ؛ يُقَالُ لَبَسْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ أُلْبِسُهُ بِكَسْرِهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ**﴾ [الأنعام: 9] . وَفِي الْأَمْرِ لَبْسَةٌ، أَيْ لَيْسَ بِوَاضِحٍ وَاللَّبْسُ: اخْتِلَاطُ الظَّلَامِ ...))[5]. فلفظ (لبس) يدلّ على تداخلٍ للأشياء ومخالطةٍ، فَلَبْسُ الثوبِ فيه تداخل لأعضاء الأنسان مع أجزاء الثوب، وتداخل الأمور فيما بينها يُسمّى التباساً، وهكذا.

ثالثا / لفظ (شَيَعَ):

ذكر الفراهيدي في معجمه ((الشَّيْعُ: مقدارٌ من العَدَد. أقمت شهراً أو شيْعَ شهرٍ، .... وشاعَ الشّيءُ يَشِيعُ مَشاعاً وشَيْعُوعَةً فهو شائعٌ، إذا ظهر وأشعْتُهُ وشعْتُ به: أذعته. وفي لغة: أشعت به. ورجلٌ مِشْياعٌ مِذْياعٌ، وهو الذي لا يكْتُمُ شيئاً. والمُشايَعةُ: متابعتُك إنساناً على أمرٍ. وشَيَّعتُ النارَ في الحَطَبِ: أضرمتُه إضراماً شديداً،

---

[1] معجم مقاييس اللغة: (399/3) (ضرب).
[2] العين: (7 /262) (لبس).
[3] الانعام: 9.
[4] جمهرة اللغة : (341/1) (لبس).
[5] مقاييس اللغة: (230/5) (لبس).

والشِّيعةُ: قوم يتشيّعون، أي: يهوون أهواء قوم ويتابعونهم. وشيعةُ الرّجلِ: أصحابه وأتباعه. وكلّ قومٍ اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة وأصنافهم: شِيَع ... وشَيَّعْتَ فلاناً إذا خرجت معَه لتُودِّعَه وتُبْلِغَه منزِلَهُ. والشِّياعُ: دعاءُ الإبل إذا استأخرت))[1].فيظهر أنّ (شَيع) يدلّ على متابعة الشيء ومعاضدته أو بثّه ونشره.

والجذر(شَيعَ) عند ابن فارس يدلّ على أصلين، في قوله: ((الشِّينُ وَالْيَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى مُعَاضَدَةٍ وَمُسَاعَفَةٍ، وَالْآخَرُ عَلَى بَثٍّ وَإِشَادَةٍ. فَالْأَوَّلُ: قَوْلُهُمْ شَيَّعَ فُلَانٌ فُلَانًا عِنْدَ شُخُوصِهِ. وَيُقَالُ آتِيكَ غَدًا أَوْ شَيْعَهُ، أَيِ الْيَوْمَ الَّذِي بَعْدَهُ، كَأَنَّ الثَّانِيَ مُشَيِّعٌ لِلْأَوَّلِ فِي الْمُضِيِّ. ... وَالشِّيعَةُ: الْأَعْوَانُ وَالْأَنْصَارُ. وَأَمَّا الْآخَرُ [فَقَوْلُهُمْ]: شَاعَ الْحَدِيثُ، إِذَا ذَاعَ وَانْتَشَرَ. وَيُقَالُ شَيَّعَ الرَّاعِي إِبِلَهُ، إِذَا صَاحَ فِيهَا...))[2]. فـ(شَيعَ) وما اشْتُقَّ منه يَدلُّ على متابعةٍ وارتباطٍ بفكرةٍ ما أو بشيءٍ معيّن، ويدلُّ على بثُّ الشّيء ونشره.

رابعاً / لفظ (ذاق):

الذوق مصدر الفعل ((ذاقَ يذوقُ ذَوْقاً ومَذاقة ومَذاقاً وذَواقاً))[3]. ويُقال عند الاحساس في طعم المَذاق : ((ذَواقُه ومَذاقُه طيب أي طعمه))[4]. ويقال: ((ذُقْتُ فلاناً وذُقْتُ ما عنده، وما نزل بك مكروه فقد ذُقْتَه))[5] ،وهو الاحساس بحقيقة المكروه.

وتأتي (ذاق) بمعنى (خَبَر) فيقال: ((ذُقتُ فلَانا، أَي: خَبَرْتُه وَبُرْتُه واستَذَقْتُ فلَاناً إذا خَبَرْتَه فلَم تَحمد مَخْبَرتَه...وَقَالَ الله ﷻ: ﴿ **فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا**﴾ [الطَّلَاق: 9] ، أَي: خَبَرت. والذَّوْق يكون فِيمَا يُكرَه ويُحمَد))[6].

وجاء في مقاييس اللغة: (((ذَوَقَ) الذَّالُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ اخْتِبَارُ الشَّيْءِ مِنْ جِهَةِ تَطَعُّمٍ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ مَجَازًا فَيُقَالُ: ذُقْتُ الْمَأْكُولَ أَذُوقُهُ ذَوْقًا. وَذُقْتُ مَا عِنْدَ فُلَانٍ: اخْتَبَرْتُهُ))[7]. وفرّق أبو هلال بين الذوق وّإدراك الطعم في قوله: ((أَن الذَّوْق مُلَابسَة يُحسن بهَا الطّعْم. وإِدْرَاك الطّعْم يتَبَيَّن بِهِ من ذَلِك الْوَجْه وَغير تضمين

---

[1] العين: (192-190/2)(شيع ،وشوع).
[2] معجم مقاييس اللغة: (235/3)(شَيَعَ).
[3] العين: (201/5)(ذوق)، وتهذيب اللغة: (203/9) (ذوق).
[4] المصدر نفسه : (201/5)(ذوق).
[5] المصدر نفسه: (201/5)(ذوق)
[6] تهذيب اللغة: (203/9) (ذوق).
[7] معجم مقاييس اللغة: (364/2)(ذوق).

مُلَابسَة الْحَبل وَكَذَلِكَ يُقَال ذقته فَلم أجد لَهُ طعماً))[1] . فالذوق احساس بالطّعم بعد ملابسة يُحسن بها الطعم.

وتتبع أحد الباحثين لفظ (ذاق) في مواردها القرآنيّة ، فأعطى تعريفاً عاماً لهذا اللفظ في قوله : ((فالذوق هو(حصول الإحساس بالشيء إحساساً حقيقياً) سواء كان موتاً أو يأساً أو خزياً أو عذاباً أو غير ذلك))[2] . فالإحساس التام بالطعام وبجميع مؤثراته هو (ذوق الطعام) ، والإحساس التام بالعذاب وبجميع مؤثراته يطلق عليه (ذوق العذاب) ، وهكذا [3].

الدّلالة النحويّة:

أولاً/ قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾:

بدأت الآية الكريمة بجملة اسمية مَعْرِفيّة وهو قوله:﴿ هُوَ الْقَادِرُ﴾ ،و((تَعْرِيفُ الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ أَفَادَ الْقَصْرَ، فَأَفَادَ اخْتِصَاصَهُ تَعَالَى بِالْقُدْرَةِ عَلَى بَعْثِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ وَأَنَّ غَيْرَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ))[4]؛ لأنّ هذه الآية مرتبطة بالآيات التي قبلها، منها قوله تعالى :﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الانعام:40-41] .

فهم((لم يكونوا ينكرون قدرته إنّما كانوا يدّعون المشاركة التي نفاها بالتخصيص))[5]. وجملة ﴿ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا... ﴾ جملة خبرية لِمَا سَتُنْزِلُ بهم أعمالُهم من عذابٍ مستقبلي ؛ لذا استعمل المصدر المؤول ﴿ أَنْ يَبْعَثَ﴾ الدال على المستقبل ، وكذلك الأداة ﴿أو﴾،التي أفادت هذا المعنى.

---

[1] الفروق اللغوية: (309/1).
[2] النظام القرآني: 118.
[3] ينظر أصل الخلق، وأمر السجود: 103.
[4] التحرير والتنوير: (284/7).
[5] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (143/7).

التوجيهات النحوية لـ (أو):

ذكر النحاة أنّ **(أو)** هي لأحد شيئين، أو أشياء، وقيل: إنّها تأتي للـ (شكّ ،و الإبهام ،والتّخيير ،والإباحة ،والإضراب كـ(بل) ، والتّقسيم ، وتكون بمعنى الواو)[1].

واختلف البصريون والكوفيون في دلالة (أو) اختلافاً تاماً ، فقد ذهب الكوفيون إلى أنّ (أو) تأتي بمعنى الواو ، وبمعنى (بل) ، وقال : البصريون أنّ (أو) لا تأتي بمعنى الواو ولا بمعنى (بل) [2].

واحتج الكوفيون بشواهد من القرآن الكريم ومن كلام العرب ، ومنها قوله تعالى :﴿ **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**﴾ [الصافات: 147]، ((فقيل في التفسير: إنها بمعنى بل، أي: بل يزيدون، وقيل: إنها بمعنى الواو، أي: ويزيدون))[3].

وقال البصريون : ((الأصل في "أو" أن تكون لأحد الشيئين على الإبهام، بخلاف الواو وبل؛ لأن الواو معناها الجمع بين الشيئين، وبل معناها الإضراب، وكلاهما مخالف لمعنى أو ...))[4]. فـ (أو) عندهم هي لأحد الشيئين على الإبهام.

وردّوا على احتجاج الكوفيين في قوله تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**﴾ [الصافات: 174] ، بقولهم : ((فلا حجة لهم فيه، وذلك من وجهين؛ أحدهما: أن يكون للتخيير، والمعنى أنهم إذا رآهم الرائي تخيّر في أن يقدرهم مائة ألف، أو يزيدون على ذلك، والوجه الثاني: أن يكون بمعنى الشك، والمعنى أن الرائي إذا رآهم شكّ في عِدَّتِهِم لكثرتهم، أي: أن حالهم حال من يُشَك في عدتهم لكثرتهم؛ فالشك يرجع إلى الرائي، لا إلى الحق تعالى))[5].

قال البصريون في دلالة الحروف قولاً حسناً وليتهم ألتزموا به في باقي الحروف ، فقد قالوا عند كلامهم عن (أو) :((...والأصل في كل حرف أن لا يَدلّ إلا على ما وُضِعَ له، ولا يدلّ على معنى حرف آخر؛ فنحن تمسّكنا بالأصل، ومن تمسّك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل، ومن عدل عن الأصل بقي مُرْتَهَنًا بإقامة الدليل،

---

[1] ينظر: معاني النحو : (3/217-220).
[2] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، كمال الدين الأنباري ، المسألة:67، ص: (2/391).
[3] ينظر: معاني القرآن، للفراء: (2/393)، وجامع البيان في تأويل آي القرآن: (21/115)، والإنصاف في مسائل الخلاف: (2/391).
[4] الإنصاف في مسائل الخلاف: (2/393).
[5] المصدر نفسه: (2/393).

ولا دليل لهم يدل على صحة ما ادّعوه))[1]. فالبصريون يجعلون دلالة (أو) هي التخيير، أو الشكّ في عدّتهم من قبل الرائي. فسألهم أين الرائي في هذه الآية؟ وأين ظنّه؟ وكيف يستطيع رؤيتهم وهم في مساكنهم وبهذا العدد؟ فهذا وهمٌ من تقديراتهم، فلا وجود للرائي في الآية الكريمة إلا المتكلم وحده وهو الله سبحانه وتعالى.

فـ (أو) هنّا لا تصحُّ للتخيير؛ لأنّ الله سبحانّه يعلم العدد الحقيقي، ولا تصحُّ أن تكون بمعنى (الواو) ؛ لأنّ ذلك يجعل تزايدهم محتوماً ، ولا تصح أن تكون بمعنى (بل) فتصبح الزيادة محتومةً أيضاً [2]. ((فقوله :﴿مِائَةِ أَلْفٍ﴾ هو العدد الحقيقي عند إرساله))[3]. وأما قوله : ﴿أو يزيدون﴾ فالزيادة هنا تكون في فترة إرساله ، وليس عند إرساله ؛ وهذا مفهوم من استمرارية الفعل المضارع (يزيدون)، ولكنّه قال (أو) ؛ ((لأنّ العذاب قد يأتي في أي وقت فلا يعلمهُ أحدٌ ، ونقص الذراري منه . ولو قال (أو ينقصون) لكان المعنى أنّه أخذهم بنقص الذرية قبل اتمام الحجة عليهم، وهو محال. ...[فـ] (أو) هنا يعمل كدلالة واضحة على بقاء حريّة الاختيار للجماعة المُرسَل إليها...))[4]. وكذلك دلالة (أو) في آية البحث ، جعلتْ بعثُ العذابِ ونوعه منوطاً بأعمالهم وعلى استحقاق ذنوبهم ، فـ ((عن مجاهد قال: عذاب هذه الأمة أهل الإقرار، بالسيف﴿أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ وعذاب أهل التكذيب، الصيحة والزلزلة))[5]. فالعذاب منوط بأعمالهم.

ثانياً/ قوله تعالى :﴿ مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: (فوق ، وتحت)ظرفان دالان على المكان ، مُخْتَصَّانِ بالمخاطبين، جاء في معاني النحو((إنّ هذه الظروف إذا لم تضف كانت نكرة لا تدلّ على زمان أو مكان معيّن ، وإن أضفتها كانت مقيّدة بذلك المضاف إليه تخصيصاً أو تعريفاً ، وإنْ بَنَيْتَها على الضّم كان المعنى أنك قصدت بها زماناً معيّناً أو مكاناً معيّناً فأشرت إليه))[6] . فموقعهما الإعرابي يُفيد التخصيص.

---

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف: (393/2).
[2] ينظر: النظام القرآني: 230.
[3] المرجع نفسه: 229-230.
[4] المرجع نفسه :230.
[5] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (421/11).
[6] معاني النحو: (122/3).

واختُلِفَ في دلالة (مِن)الداخلة على الظروف ، فقيل :(أنّها لابتداء الغاية ، وأنها بمعنى (في)، وأنها زائدة للتوكيد)[1] . وقد رجّح الدكتور فاضل السامرائي المعنى الأول وهو ابتداء الغاية ، بقوله: ((والذي يبدو لي أنّ الأول هو الراجح، وليست بمعنى(في)، لأن الأصل عدم النيابة ،وليست بزائدة لأن الأصل عدم الزيادة، وإذا أمكن عدم اخراجها من معناها الذي وضِعَتْ له فهو الأولى ، ولا تصرف عن معناها الأساسي إلا إذا تعذّر ابقاؤها عليه ... ولكن قد يتضح معنى الابتداء نحو قوله تعالى :﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[المائدة:66] ... فإنه لا يصح في نحو ذلك أن تكون بمعنى (في) ، ولا زائدة لأن المعنى يكون على ذلك (لأكلوا فوقهم وتحت أرجلهم) وهو ممتنع...))[2] .فممّا تقدّم يمكن القول أن (مِن) الداخلة على الظروف في آية البحث هي لابتداء الغاية ، وأنّ فوقيّة العذاب وتحتيته أفادت التخصيص ، لأن هذه الظروف تتقيد بالمضاف إلية تخصيصاً أو تعريفاً.

ثالثاً /قوله تعالى :﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ :

أداة العطف ﴿أو﴾ فصلت بين ثلاثة أنواع من العذاب، وهو قوله تعالى : ﴿...عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ...﴾ ، و**(الواو)** جمعتْ بين عذابين ، وهما قوله: ﴿ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ ؛ وذلك لأنّ العذاب الرابع هو نتيجة العذاب الثالث فجمعهما معاً على اعتبارهما عذاباً واحداً؛ حيث أن لفظ **(شيعة)** في القرآن الكريم يُجمع على **(شيعٍ)** عند الاختلاف بالفكر ، وعلى **(أشياع)** عند الاختلاف في الفكر والزمان، وهذا الاختلاف يسبب الاقتتال فيما بينهم ، ذكر الطبري(ت: 310هـ) ((عن مجاهد:﴿**أو يلبسكم شيعًا**﴾،قال: ما كان منكم من الفتن والاختلاف))[3].

وعلى هذا التحليل يكون المعنى (يخلطكم مجموعات مختلفين بالفكر والأهواء، تتقاتلون فيما بينكم). وهذا ما أكده الزمخشري بقوله: ((يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى، كل فرقة منكم مشايعة لإمام. ومعنى خلطهم: أن ينشب القتال بينهم

---

[1] ينظر: شرح الرضي على الكافية: (202/1)، ولسان العرب: (من)، ومعاني النحو: (167/2-168).
[2] معاني النحو: (168/2).
[3] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (419/11).

فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال))[1]. فهو اختلاف في الفكر في زمان واحد ينتج عنّه التقاتل بين المجموعات.

الاستعمال القرآني للفظ (عذاب) ومصاحباته :

استعمل القرآن الكريم لفظ **(عذاب)** في موارد كثيرة، وبصيغٍ شتى، وأصناف متعددة ، فتارة يكون مركباً اضافياً، نحو(أشدّ العذاب) ،و(شديد العذاب) ، وتارة يكون مركباً وصفياً، نحو(عذاباً شديداً) ،(عذاباً أليماً) ، وأخرى يكون فيها معرفاً بـ(أل) ...إلخ . والاتيان على كلِّ استعمالاته وصيغه المتعددة، ليس بالعمل السهل ؛بل يحتاج إلى جهدٍ مضاعف ، مع بُطُئٍ شديدٍ وحذرٍ أشدّ ؛ لأنّه ليس من المعقول أن تكون هذه الاستعمالات كلّها مترادفة ، ومختصة في يوم واحد ، وهو (يوم القيامة)؛ بل هناك مفارقات جعلها الاستعمال القرآني للفرز بين هذه الصيغة وتلك ، وبين هذا النوع من العذاب وذاك وهكذا ، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[النساء:138]. يقول أحد الباحثين ((وجدنا في النظام القرآني أنّ (العذاب الأليم) وهو أحد ثمانية وثلاثين نوعاً من العذاب (المختلف الألفاظ) مرتبط قرآنياً بالطور المهدوي بالاقتران البسيط ، فهو أوّل أنواع عذاب هذا الطور؛ ولذلك لا تعثر على أي اقتران لفظي بين (عذاب جهنّم) مثلاً وبين لفظ (البشارة) بالرغم من تعدد مواردها))[2] في حين أنّ (العذاب الأليم) اقترن بـ (البشارة).

فيمكن للباحثين أن يتتبعوا خصائص صيغتين مختلفتين أو أكثر، أو نوعين من العذاب ، ليخرجوا بمفارقات ونتائج جيّدة وجديدة.

لذا سيركّز البّحث على ارتباطات ومصاحبات لفظ ﴿**عذاباً**﴾ في آية البّحث ، مع استعمالات أخرى ترفد البّحث.

الذي يتتبع سورة الأنعام يَجدُها بصورة عامة تتحدث عن قدرة الله (عزّ وجلّ) ووحدانيّته، وعن إتيان آياته و اعراض الناس عنها واستهزائهم بها ، وعن عاقبة الذين كذّبوا بها وأعرضوا عنها من قبلهم ، وعن بعث الموتى ، وعن بعض الأحكام الشرعيّة ،وغيرها من الأمور، وتُختم السورة بخلافة الأرض في قوله تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ . . . ﴾[الانعام:165] .

---

[1] الكشاف: (33/2).
[2] الطور المهدوي:197.

فقوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[الأنعام:65]، **فيه عدّة أمور وسماتٍ يمكن رصدها ومنها ما يأتي:**

أولاً: يُحيل ضمير المخاطب في (عليكم، فوقكم ، أرجلكم ، يلبسكم ،بعضكم) إحالة قبلية على آيات سبق ذكرها، منها قوله تعالى :﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۞ ... قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الانعام:37-40].

فآية البحث مرتبطة بذكر الاحتجاج عن تنزيل آية على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ،((وإنما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه، كأنّه لم يُنَزَّل عليه شيء من الآيات عناداً منّهم قُلْ إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً تضطرهم إلى الإيمان.... كنتق الجبل على بنى إسرائيل ونحوه، أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ))[1]. فهم يطلبون آية يرونها عياناً.

والمصاحبة التي يمكن رصدها في هذه الآيات هي لفظ (السّاعة) المعرفة بـ (أل)، والتي تُعَدُّ هنا قسيماً لـ (عذاب الله) في قوله :﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ ، ولفظة (السّاعة) كما تقدّم في البّحث متعلّقة بالموعود المنتظر(عليه السلام) ووقت ظهوره ، وليس بيوم القيامة[2] .

قال أحد الباحثين عند متابعته لمصاحبات (السّاعة) في الموارد القرآنية :((إنّ القرآن الكريم يجعلُ (السّاعة) قسيماً لمفردة (العذاب) في أربعة سياقات، باستعمال الأداة (أو)، وكأنّه يُخيّر بينهما، ومن هذه السياقات ما ورد في قوله تعالى:﴿ قُلْ مَنْ كَانَ

---

(1) الكشاف: (20/2).
(2) ينظر: لفظ (الساعة)من هذا البحث:26-37 .

فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ [مريم:75].

فالمصاحبة القرآنية التي يُبَيّنُها هذا السّياق هي (إمّا العذاب وإمّا الساعة)، وتعدُّ هذه المصاحبة من نمط (المصاحبات المقَّيدة)؛ لتلازم عناصرها، وعدم قبولها للاستبدال بعنصر آخر، فلا يرد في النّص القرآني مفردة أخرى (غير السّاعة) جُعِلت خياراً في قِبال "العذاب"))[1]. وهذا هو حال التشابك اللفظي في المصاحبات القرآنية التي يدلّ بعضها على بعض بترابط لفظيّ محكم .

ومن الألفاظ التي ارتبطت بلفظ (**العذاب**)ارتباطاً وطيداً في هذه السورة ، وفي باقي سور القرآن هي لفظة (**بغتة**) ، كما في قوله :﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۞ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ۞ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾[الأنعام :44-47] .

ذكر القمّي في تفسيره عن أبي جعفر(ت:114هـ) عليه السلام ((... وأمّا قوله :﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ يعني بذلك قيام القائم ، حتى كأنّهم لم يكن لهم سلطان قط ، **فذلك قوله بغتة** ، فنزلت بخبره هذه الآية على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)))[2].

ولفظة (**بغتة**) تُعيدُنا إلى لفظة (**السّاعة**) ؛ لأنّها من مصاحباتها الوطيدة، ((إذ وردت مفردة (بغتة) حالاً للسّاعة في ستة موارد[3]، في حين أنّها وردت حالاً لغيرها

---

(1) المصاحبات المعجمية :155.
(2) تفسير القمي: 190.
(3) الأنعام: 31، والأعراف:187،ويوسف :107، والحج:55،والزخرف:66، محمد: 18.

في موردين[1]، هما: (عذاب الله)، و (العذاب) ؛ لذا يمكن أن تعدُّ هذه المصاحبة من نمط (المصاحبات الوطيدة) بلحاظ قوة التنبّؤ، إذ تكون درجة التوقع فيها عالية؛ فإذا سمع شخص (جاءتهم... بغتةً) أو (تأتيهم... بغتةً) يتوقع- على الفور- مفردة (السّاعة)، لقوة الالتحام بين هذين العنصرين المتصاحبين))[2]. وكذلك الحال مع المركب (عذاب الله) ولفظ (العذاب)؛ لأنّهما من مصاحباتها الوطيدة.

ثانياً: وصف العذاب:

استعملتْ الآية الكريمة في وصف العذاب ظرفين متعاكسين في الاتجاه دالّين على المكان وهما **(فوق ، وتحت)** في قوله : ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾ ، وقد أُختُلِف في معنى هذه الآية ((فقال بعضهم: أما العذاب الذي توعدهم به أن يبعثه عليهم من فوقهم، فالرجم. وأما الذي توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم، فالخسف ... وقال آخرون: عنى بالعذاب من فوقكم، أئمةَ السوء ﴿**أو من تحت أرجلكم**﴾، الخدم وسِفلة الناس))[3]. ويبدو أنّ العذاب الذي من فوقهم ، هو الرجم والطوفان وما أشبهه ، ممّا ينزل عليهم من فوقهم، ومن تحت أرجلهم ، الخسف ، والزلزلة وما أشبهه[4]. وإلى هذا ذهب الواحدي(ت: 468هـ) في قوله: ((كالصَّيحة والحجارة والماء ﴿**أو من تحت أرجلكم**﴾ كالخسف والزَّلزلة))[5].

وأكّده الرازي في قوله :((الْعَذَابُ النَّازِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقُ مِثْلُ الْمَطَرِ النَّازِلِ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقُ، كَمَا فِي قِصَّةِ نُوحٍ وَالصَّاعِقَةُ النَّازِلَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقُ. وَكَذَا الصَّيْحَةُ النَّازِلَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقُ. كَمَا حُصِبَ قَوْمُ لُوطٍ، وَكَمَا رُمِيَ أَصْحَابُ الْفِيلِ، وَأَمَّا الْعَذَابُ الَّذِي ظَهَرَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ. فَمِثْلُ الرَّجْفَةِ، وَمِثْلُ خَسْفِ قَارُونَ. وَقِيلَ: هُوَ حَبْسُ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ الْآيَةُ تَتَنَاوَلُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الَّتِي يُمْكِنُ نُزُولُهَا مِنْ فَوْقُ، وَظُهُورُهَا مِنْ أَسْفَلُ))[6]. فأكثر الرواة والمفسِّرين ذهبوا إلى أنّه عنى بالعذاب من فوقهم (الرجم أو الطوفان أو الصيحة أو الدخان أو الصاعقة وما شابه ذلك ممّا ينزل

---

(1) الأنعام:47، والعنكبوت :53.
(2) المصاحبات المعجمية: 154.
(3) جامع البيان في تأويل آي القرآن: (416/11)، وتفسير الماتريدي ، (تأويلات أهل السنة) :(113/4).
(4) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن. (418/11).
(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (359/1).
(6) مفاتيح الغيب: (20/13).

عليهم من فوق)، والعذاب الذي من تحت أرجلهم هو (الخسف أو الزلزلة أو الرجفة وما شابه ذلك).

ودلالة الاستعمال القرآني لهذين الصيغتين ليست ببعيدة عن هذا المعنى ، من نحو قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ... ﴾[المائدة:66]. فالأكل من فوقهم أيضاً مرتبط بما علاهم، من نحو(قطر السماء أو الطير وما أشبهه)، أما الأكل من تحت أرجلهم فهو مرتبط بالأرض[1]. قال الواحدي(ت:468هـ) في معنى هذه الآية :((لأنزلتُ عليهم القطر وأخرجتُ لهم من نبات الأرض كلَّما أرادوا))[2]، وقد تكون هذه الظرفية عبارة عن التوسعة ذكر الفراء: ((وقد يقال: إن هَذَا عَلَى وجه التوسعة كما تَقُولُ: هُوَ فِي خير من قَرْنه إلى قَدَمه))[3].

فممّا تقدم يمكن القول إنّ قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾[الانعام :65] ، فيه دلالة على أن انبعاث هذا العذاب يكون في المستقبل وقبل يوم القيامة ، وقد جاء وصف العذاب دالاً على الصيحة والدّخان من فوقهم ، وعلى الخسف من تحت أرجلهم ، وهذا **ما** ذكره القمّي في تفسيره عن أبي الجارود ((عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ هو الدخان والصيحة ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾وهو الخسف ...))[4]. و((معلوم أن الدخان والصيحة تكون قبل قيام القائم من آل محمد(عليهم السلام)))[5]، وأنّ الخسف يكون في جيش السفياني والأحاديث في ذلك مستفيضة .

ولو عرضنا قول الباقر عليه السلام هذا على كتاب الله العزيز لَلَمَسْنا مصداقه في قوله تعالى : ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا

---

(1) ينظر: معاني القرآن ، الفراء : (315/1)،و معاني القرآن ، للزجاج : (191/2).
(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (328/1).
(3) معاني القرآن ، للفراء : (315/1) ، وينظر معاني القرآن ،للزجاج : (191/2) ، وينظر : الكشاف : (658/1).
(4)تفسير القمي : 193،وعنه عوالم البيان في مهدي القرآن :184.
(5)عوالم البيان في مهدي القرآن :184.

يَشْعُرُونَ﴾ [النحل :45] ،وفي قوله تعالى : ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۞ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾[الدخان:10-12].

فلو تتبعنا ألفاظ هذه الآيات ومصاحباتها في الاستعمال القرآني ،من نحو ﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴾، وعبارة ﴿يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ، وجملة ﴿فَارْتَقِبْ﴾ ، والمركب ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، لخرج البحث بنتيجة ليستْ ببعيدة عن دلالة آية البحث. وممّا يَجدرُ الإشارة إليه أنّ هذه الآيات نصّتْ عليها طائفة من روايات أهل البيت (عليهم السلام) ، بأنّها متعلّقة بالموعود المنتظر عليه السلام .

قوله :﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بعض﴾ ، هذا هو الوصف الثالث لنوع العذاب الذي ذكرته الآية الكريمة، وهو أن يكون حالهم **(شِيَعاً)** ، ولقد جمع القرآن الكريم لفظ (شِيعَة) على (شِيَعٍ) وعلى (أشياع)، وهذان الجمعان حسب القواعد النحوية هما من جموع التكسير، فـ (شِيَع) جمع كثرة ، و(أشياع) جمع قلّة على وزن (أفعال) ، والاستعمال القرآني لهذين الجمعين يُعطي دلالة أخرى غير الدلالة العددية، وهي أنّ جمع (شِيَع) تفيد الاختلاف بالفكر، أمّا جمع (أشياع) فهو الاختلاف بالفكر والزمان ؛ لأنّه جمع لـ(شِيَعٍ) فهو جمع للجمع الأوّل أي جمع الجمع[1] .

قال تعالى في جمع (شِيَعٍ) :﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الانعام : 65].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الانعام :159].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾[القصص: 4].

وقوله تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:32].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر :10].

---

[1] ينظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن: (431/20).

فتلاحظ أنّ جمع (شيعٍ) يدلّ على مجموعات مختلفة بالفكر في نفس الزمان.

أمّا استعمال جمع (أشياع) فورد في قوله تعالى:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[سبأ:54].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[القمر :51].

فيدلّ على مجموعات مختلفة بالفكر والزمان أيضاً، وهذا واضح من احالة الضمائر في قوله: ﴿ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ ،و ﴿أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ﴾، أي: الذين سبقوكم في الزمان.

فجمع (شِيَعٍ) أو (أشياع) ليس بمجموعة واحدة مختلفة ؛ بل مجموعات مختلفة ، واحدها (شِيعَة) ،وهي مجموعة فرعيّة من مجموعات الطائفة التابعة بدورها إلى الفرقة ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [التوبة:122]، ولفظ شِيعَة : يفيد شدّة التمسك والارتباط بفكرةٍ أو شخصٍ إن كان خيراً فخيراً أو شراً فشراً [1].

فممّا تقدّم يمكن فَهْم مدى خطورة هذا النوع من العذاب الذي (يلبسهم شِيَعاً): أي مجموعات مختلفين بالفكر في زمان واحد فـ (يذيق بعضهم بأس بعض)، وهذا ما نلمسهُ في حاضرنا، فقد أصبح الناس شِيَعاً يذيق بعضهم بأس بعض.

ولقد ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام((... ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾وهو اختلاف في الدين وطعن بعضكم على بعض ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بعض﴾وهوأن يقتل بعضكم بعضاً ، فكل هذا في أهل القبلة ...))[2].

فيُلحظ قدرة الله تعالى في بعث العذاب عليهم من فوقهم ، والذي يمكن تسميتهُ بالحدث الكونيّ السّماوي، أمّا العذاب الذي من تحت أرجلهم ، فهو الحدث الكونيّ الأرضي، وقوله : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الانعام : 65]، هو النوع الثالث الذي يكون فيما بينهم يقتل بعضهم بعضاً.

---

[1] ينظر: نظام المجموعات : 96.

[2] تفسير القمّي :193، و تفسير الميزان:(154/7) ، وعوالم البيان في مهدي القرآن :184.

المعضدات:

ذكرت كتب الحديث والرواية مدى خطورة العذاب المذكور في آية البحث ، وعدّتُه من الفتن التي تكون بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكذلك أشارت بعض الروايات على نوع العذاب الذي حلَّ وعلى الذي بقى ، ومنهُ ما ذكره نعيم بن حمّاد المروزي (ت: 228هـ) ،عَنْ ضِرَارِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ(ت:57هـ):((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: 65] قَالَ: «أَرْبَعُ فِتَنٍ تَأْتِي الْفِئَةُ الْأُولَى فَيُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالثَّانِيَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالثَّالِثَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالْفُرُوجُ، وَالرَّابِعَةُ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ، تَمُورُ مَوْرَ الْبَحْرِ، تَنْتَشِرُ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ»))[1].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ(ت:30هـ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: 65] ، قَالَ: ((هِيَ أَرْبَعٌ وَكُلُّهُنَّ عَذَابٌ، فَجَاءَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَأُلْبِسُوا شِيَعًا، وَأُذِيقَ بَعْضُهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، وَبَقِيَتِ اثْنَتَانِ وَهُمَا لَا بُدَّ وَاقِعَتَانِ: الْخَسْفُ وَالْقَذْفُ))[2] .

وجاء في بحار الأنوار((عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال: هو الدّجال والصّيحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ وهو الخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ وهو اختلاف في الدين ، وطعن بعضكم على بعض ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ وهو أن يقتل بعضكم بعضاً وكلّ هذا في أهل القبلة))[3] .

والروايات التي تحدّثت عن الخسف الذي يكون في جيش السفياني كثيرة ومتواترة ، ومن ذلك ما ذكره العلاّمة المجلسي(ت:1111هـ) في بحار الأنوار ، في حديث طويل يذكر فيه بداية الحركة المباركة للموعود المنتظر (عليه السلام)،و تحركات الجيش السفياني ، نذكر منها محلّ الشاهد، عن جابر الجعفي(ت:128هـ) ، عن أبي جعفر(عليه السلام)((...ويخرج المهدي منها على سنّة موسى خائفاً يترقب حتى يَقدم مكّة ،

---

[1] الفتن، نعيم بن حماد : (59/1) ، رقم الحديث :90.
[2] المصدر نفسه : (616/2) رقم الحديث: 1717.
[3] بحار الأنوار : (181/52-182).

ويقبل الجيش حتى إذا نزلوا البيداء ، وهو جيش الهملات[1] خسف بهم فلا يفلت منهم إلّا مخبر ... فإذا خرج رجل منهم معه ثلاث مائة عشر رجلاً ، ومعه راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عامداً إلى المدينة حتى يمر بالبيداء يقول : هذا مكان القوم الذين يُخسف بهم وهي الآية التي قال الله : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾...))[2].

واشارت بعض الروايات إلى عذاب الدّخان وربطته بأحداث الموعود المنتظر(عليه السلام) ، من نحو شروق الشمس من مشرقها ، ونزول عيسى (عليه السلام) ، وغيرها من علامات الظهور الشريف.

ومن ذلك ما أخرجه الطبري،عن رِبْعِيّ بن حَرَاش بسنده((قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) :"أوَّلُ الآيات الدَّجالُ، وَنزول عِيسى بن مَرْيَمَ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ أَبْيَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إلى المَحْشَر تَقِيلُ مَعَهُمْ إذَا قالوا، والدُّخان"، قال حُذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) الآية ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۞ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] يَمْلأ ما بَينَ المَشْرقِ والمَغْرِب يَمْكُثُ أرْبَعِينَ يَوْما وَلَيْلَةً أمَّا المُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكامِ. وأمَّا الكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنزلَةِ السَّكْرانِ يَخْرُجُ مِنْ مَنْخِريْهِ وأُذُنَيْهِ ودُبُرِهِ"))[4]. فالدخان من الآيات المنتظرة التي تكون قبل يوم القيامة .

فعن علي بن أبي طالب(ت:40هـ) (عليه السلام): ((أنّه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة، حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيذ ، ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه

---

[1] (الهلاك) ، ينظر :بحار الأنوار: (223/52) هامش رقم (1).

[2] النحل:[45-46] ، بحار الأنوار : (223/52-224)، وينظر: تفسير العياشي : (165/1) ، وعنه عوالم البيان في مهدي القرآن : 172،وينظر: يوم الخلاص في ظل القائم (عج) ، كامل سليمان : 257.

[3] الدخان: 10-11.

[4] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (17/22)، والكشاف : (272/4)، ومفاتيح الغيب: (657/27).

خصاص))[1]. والقرآن الكريم ذكر أنّ هذا الدّخان يظهر واضحاً مبيناً يراه كلّ أحد[2] .

وأخرج أبن كثير(ت: 774هـ)، عن((حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)مِنْ غُرْفَةٍ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانُ، وَالدَّابَّةُ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَالدَّجَّالُ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمُشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ))[3].

فيبدو أنّ هذا الدّخان هو من الآيات المنتظرة التي تكون قبل يوم القيامة ، فهو أحد العلامات المتعلقة بقيام الموعود المنتظر(عليه السلام)، بدليل أنّ خروجه الشريف متعلّق بطلوع الشّمس من مغربها ، ونزول عيسى (عليه السلام) ، ومعلوم أنّ عيسى (عليه السلام) سوف يُصلّي خلف القائم(عليه السلام)، كما أنّ خروج الدّجال والخسوف الثلاثة ، هي من علامات الخروج الشريف.

---

[1] الكشاف: (272/4).
[2] ينظر: نهاية العالم: 347.
[3] تفسير القرآن العظيم: (247/7).

المطلب الثاني : لفظ (دابّة):

قال تعالى :﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النمل:82].

الدلالة المعجميّة : للفظ (دابّة):

كثيراً ما تحدّثت كتب الدلالة عن التغيّر الدلالي أو ما يسمى بـ (التطور الدلالي) ، وعن المعجم العربي وصلته بالتطور الدلالي[1] ، وغيرها من الأمور، فقد ((يَجدُ الناظر في المعجم العربي الكثير من الحقائق التي لم تكن في خلدهِ ، ويكتشف حقائق تُغاير ما هو المشهور))[2]، فيقال له : أنّ دلالة هذه اللفظة قد أصابها التطور الدلالي ، فهي هنا قد ارتقت ، أو انحطت في دلالتها ، أو انتقلت دلالتها من مجال إلى أخر، وهذا ما نَلْمِسَهُ في لفظة (دابّة).

فقد ذَكَرتْ كُتُب المعاجم هذه اللفظة تحت الجذر (دبب) فيقال :((دَبَّ النَّمْل يدِبُّ دَبيباً، والمَدِبُّ موضع دَبيب النَّمْل. ودَبَّ القومُ يَدِبُّون دَبيباً إلى العَدُوّ أي مَشَوا على هَيْئَتِهم ولم يسرعوا. ... وكلُّ شيءٍ مما خَلَقَ اللهُ يُسَمَّى دابّة، والاسمُ العامُّ الدابَّةُ لِما يُرْكَبُ، وتصغيرها دُوَيبَّة))[3] ، ويقال : ((دبّ الشَّرَاب فِي شَاربه دبيباً؛ ودب الْقَوْم إِلَى الْعَدو دبيباً، أَي مَشَوْا على هِينتهم لم يسرعوا... وَقَالَ الزّجّاج فِي قَول الله جلّ وعزّ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النُّور: 45] الدَّابةُ اسمٌ لكلّ حَيَوَان مميّز وغيرِه))[4] ، وقولهم: ((هو أحسنُ مَنْ دَبَّ ودَرَجَ ...))[5] ، أي : مشى.

ويُعمِّمُ الفارابي (ت: 350هـ) معنى الدابة أيضاً بقوله :((الدّابَّةُ: كلُّ شَيْء دَبَّ على وجْه الأرضِ))[6]، وقريب منه قول الجوهري: ((دبَّ على الأرض يَدِبُّ دبيباً . وكلّ ماشٍ على الارض دابَّةٌ ودبيبٌ. والدابة: التي تُرْكَبُ. ودابَّةُ الأرض: أحد

---

(1) ينظر: علم الدلالة ،د. أحمد مختار عمر:235، وعلم الدلالة العربي، فايزالدايه:204، وعلم الدلالة ، منقور عبد الجليل :69.
(2) الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 220.
(3) العين : (12/8-13) (دبّ).
(4) تهذيب اللغة : (55/14) (دب).
(5) الزاهر في معاني كلمات الناس ، أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ) : (212/1).
(6) معجم ديوان الأدب، للفارابي (ت: 350هـ) : (59/3).

أَشراطِ الساعةِ. وقولهم " أَكْذَبُ مَنْ دَبَّ ودَرَجَ " أي أكذب الأحياء والأموات. ودَبَّ الشيخ، أي مشى مشياً رويداً. وأدببت الصبى، أي حملته على الدبيب))[1].

وقال ابن فارس :((دَبَّ) الدَّالُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ حَرَكَةٌ عَلَى الْأَرْضِ أَخَفُّ مِنَ الْمَشْيِ. تَقُولُ: دَبَّ دَبِيبًا. وَكُلُّ مَا مَشَى عَلَى الْأَرْضِ فَهُوَ دَابَّةٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دَيْبُوبٌ، وَلَا قَلَّاعٌ ". يُرَادُ بِالدَّيْبُوبِ النَّمَّامُ الَّذِي يَدِبُّ بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمَائِمِ))[2]. والذي يُستَشَفُّ ممّا تقدّم ((أنّ للفظة (دبَّ) وما يشتق منها دلالة عامة في كلّ ما من شأنه أن يتحرك وينتقل من مكان إلى آخر))[3] بحركة بطيئة ، أي رويداً وعلى هيّنةٍ.

وأنّ لفظ (دابّة) فاعلة من (دبّ) ، فهو يدبّ ، وهو دابٌّ ، وهي دابّةٌ ، وعليه يكون من الطبيعي اطلاق هذا اللفظ على الإنسان وغيره ممّن يقوم بهذه الحركة والوظيفة.

والذي يبدو أنّ لفظة(دابّة) في اللغة قد حصل لها تطور دلالي ((ضيّق في مدلولها فصارت مختصّة بالدلالة على الحيوان المعد للركب كـ "الفرس، والبغل ... والحيوان المُعد للأكل كـ "الجاموس... وأضحى من نتيجة هذا التطور الدلالي أنّه صار من المُعيب أن تطلق لفظة "دابّة" على الإنسان))[4] ، ولكن حين يكون الكلام في كتاب واحد ، وصادر من عند الواحد ، كما في القرآن الكريم ، فهل يُقال :أنّ هذه اللفظة قد تطورت دلالتها من هذه الآية إلى هذه الآية ، كما يقال في اللغة؟! كلا فهذا ليس منطقياً ، فالقرآن الكريم جاء بالدلالة العامّة للفظة التي يمكن أن تطلق على كلِّ ما من شأنه أنْ يقوم بهذه الحركة أو الوظيفة، وهذا ما سنلمسهُ في الاستعمال القرآني لهذه اللفظة إنْ شاء الله .

الدلالة النحوية:

أولاً: دلالة (إذا) في قوله تعالى:﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾:

تصدّرت الآية الكريمة بـ الأداة ﴿إذا﴾، و(إذا) ((فالغالب أَن تكون ظرفاً للمستقبل مضمنة معنى الشَّرْط وتختص بِالدُّخُولِ على الْجُمْلَة الفعلية...))[5]، فهذه

---

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (124/1)(دب).
[2] معجم مقاييس اللغة:(263/2) (دب).
[3] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 221.
[4] المرجع نفسه: 221 .
[5] مغني اللبيب: (127/1) ، ومعاني النحو:(178/2).

الأداة في بادئ أمرها تدلّ على الظرف غير أنّها تتمخض للشرط إذا تضمنت معنى الجزاء[1]، فهذه الأداة تُثير ((مشكلاً نوعياً تنفرد به عن بقيّة الأدوات ويتمثل في ثنائية دلالتها ، إذ هي تندرج في نفس الوقت ضمن أدوات التلازم الشرطي وأدوات التلازم الظرفي))[2]، وعلى هذا تُحْتَمَل ﴿إذا﴾ في هذه الآية أن تكون شرطية ، وتُحْتمل أن تكون ظرفية .

واستخلص **عبد السلام المسدّي** ، والدكتور **محمد الهادي الطرابلسي** من استطرادات النحاة أنّ((شحنة الظرف ملازمة إطلاقاً " إذا " إلا أنّ الشحنة كثيراً ما تمتزج باقتضاء شرطي ، وعندئذ يمكن أن نمَّيز في استعمال **إذا** بين سياقين : سياق ظرفي صِرف وسياق شرطي لا يخلو من ظرفية، أمّا مقاييس التمييز فتبقى في مجملها دلالية عامّة تتدفق أحياناً بمعطيات تركيبية))[3]، وجاء في المقتضب أنّ ((معنى الشرط أن يَقع الشيء لوقوع غيره))[4] أي: إنّ وقوع الثاني متوقف على وقوع الأول[5].

وذكر **المسدّي** ،و**الطرابلسي** عِدّة نقاط للتمييز بين (إذا) الشرطية ، و(إذا) الظرفية منها قَوْلِهما : ((تعتبر " إذا" متضمنة للشرط كلّما كان محتوى الجواب موقوفاً وقفاً مبدئياً مطلقاً على محتوى الشرط ؛ معنى ذلك أن فعل الجواب لا يُتَصور تحققه إلا بتحقق مضمون الشرط))[6] ، ولمّا كان (اخراج الدابة) متوقفاً على (وقوع القول)، أي: ((لمّا كان محتوى قوله تعالى : ﴿أَخْرَجْنَا لهم﴾ موقوفاً مَبْدَئياً مطلقاً على محتوى قوله تعالى : ﴿إذا وقع القول﴾ عُدّتْ ﴿إذا﴾ شرطية ...))[7] ، فإخراج الدّابة مشروط وموقوف بوقوع القول.

ويؤتى بالفعل الماضي مع الشرط للدلالة على وقوع الحدث جملة واحدة ، في حين يؤتى بالفعل المضارع للدلالة على الاستمرارية بالحدث[8]. وفي أية البحث جيء بالشرط ماضياً وهذا يدلّ على أنّه عند (وقوع القول) مباشرة يكون (إخراج

---

(1) ينظر : شرح المفصل: (124/3).
(2) الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية :68.
(3) المرجع نفسه :69.
(4) المقتضب : (46/2) ، ومعاني النحو : (45/4).
(5) ينظر: معاني النحو : (45/4).
(6) الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية :69
(7) الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 229.
(8) ينظر: معاني النحو : (53/4).

الدابة) ، أي: إنّ الأحداث تكون دفعة واحدة كنظام الخرز يتبع بعضه بعض ، دون أي تقطع.

وذكر الدكتور فاضل السامرائي أن ((استعمال الفعل الماضي في الشرط للدلالة على المستقبل ،ليس مختصاً بالعربية وحدها بل هو كثير في اللغات السامية أيضاً ، كالاكدية ، والعبرية ، والحبشية، وأكثر اللغات السامية تستعمل الماضي في الشرط والحاضر أو المستقبل في الجزاء[1] ، غير أن العربية الماضي والمضارع للشرط والجواب))[2] ، فـ ﴿إذا﴾ هنا أخلصت دلالة الماضي إلى المستقبل .

ويرى الدكتور فاضل السامرائي((أن القصد من مجيء الشرط ماضياً ، وإن كان معناه الاستقبال ، هو إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن ، وغير الواقع منزلة الواقع وهذا ما فسَّروا به التعبير عن الاحداث المستقبلة بأفعال ماضية في غير الشرط أيضاً))[3] فهي بمنزلة الفعل الماضي في التحقق .

وابتداء آية البحث بالأداة ﴿إذا﴾ ؛ ذلك أن (إذا) ((موضوع للأمر المقطوع بوجوده في اعتقاد المتكلم في المستقبل، لم يكن للمفروض وجوده ،لتنافي القطع والفرض في الظاهر))[4] ولمّا كان إخراج دابّة من الأرض((أمراً مقطوعاً بحصوله ، جاء استعمال ﴿إذا﴾في محلّه))[5]، فهذا الأمر من المحتوم .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ هي جملة الشرط ، أي : ((معناهُ إذَا وجب السَّخط عليهم))[6]، فـ ﴿وقع﴾ :((عبارة عن الثبوت واللزوم))[7]. قال الزمخشري(ت:538هـ) :((سمّى معنى القول ومؤداه بالقول، وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب، ووقوعه: حصوله. والمراد: مشارفة السّاعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة))[8] ، وقريب منه قول الرازي: ((فَالْمُرَادُ مِنَ الْقَوْلِ مُتَعَلِّقُهُ

---

[1] ينظر: التطور النحوي للغة العربية، محاضرات براجشتراسر :198.
[2] معاني النحو : (47/4).
[3] المصدر نفسه: (47/4).
[4] شرح الرضي على الكافية : (186/3).
[5] الخطاب الأخروي في القرآن الكريم : 84 ، والاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :229.
[6] معاني القرآن ، للفراء : (300/2) ، و معاني القرآن ، للزجاج : (129/4).
[7] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (270/4).
[8] الكشاف: (385/3).

وَهُوَ مَا وُعِدُوا بِهِ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ وَوُقُوعُهُ حُصُولُهُ، وَالْمُرَادُ مُشَارَفَةُ السَّاعَةِ وَظُهُورُ أَشْرَاطِهَا...))[1]. فـ ﴿القول﴾ لفظٌ معرّف بـ (أل) العهدية فهو موعود به .

ثانياً / قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾:

جملة جواب الشرط ﴿ **أَخْرَجْنَا** ﴾ تُحيل إحالة قبليّة على ربِّ العزَّة في قوله: **﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل:79].** وهذه الإحالة إن دلّت على شيء فهي تدلّ على مدى عظمّة هذه (الدابّة)، ومدى منزلتها عند الله ، حيث أنّ ربَّ العزة((ادّخرها لزمن معين ، يحدث فيه أمر عظيم ...))[2]، فهي من خواص خلق الله.

ومجيء لفظ ﴿ **دَابَّةً**﴾ نكرة بهيأة اسم الفاعل المنوّن بتنوين الفتح يتلاءم مع عظمّة هذه (الدابة) ومع أحداثها المستقبلية ، فَمِن ((القرائن اللفظية التي تجعل زمن الجملة دالاً على المستقبل هو تنوين اسم الفاعل في الجملة ، غير أن هذا المستقبل لا يعرف تحديد زمنه))[3]. والذي يبدو من السياق أنّ مجيء لفظ**﴿دابّة﴾** نكرة ليس للجنس ، بل لإرادة الوحدة ؛ لأنّ هذه (الدابة) لها خصوصيتها وأنّها تُكلّم الناس، وتنكيرها جاء للتعظيم أيضاً.

وعبارة ﴿ **تُكَلِّمُهُمْ**﴾ فيها قراءتان: القراءة الأولى: **﴿تَكْلِمهم﴾**بفتح التاء و سكون الكاف ،أي من (الكلم) وهو الجرح[4].

والقراءة الثانية:**﴿تُكَلّمُهم﴾** بالتشديد ، من (الكلام)[5] ، قال الفراء: ((اجتمعَ القراء

عَلَى تشديد (تكلّمهم) وهو من الكلام. وَحَدَّثَنِي بعضُ المحدثين أَنَّهُ قَالَ (تُكَلِّمهم) و (تَكْلِمُهم) وقوله (أن الناسَ) تفتح وتكسر. فمن فَتَحها أوقع عليها الكلام: تكلمهم بأن الناس، وموضعها نصب. وَفِي حرف عبد الله (بأن الناس) وَفِي حرف أبي (تُنَبِّئهم أن الناس) وهما حُجّة لمن فتح وأهل المدينة (تكلِّمُهُم إنّ الناسَ) فتكون (إنّ) خبرًا

---

[1] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: (572/24).
[2] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور : 227.
[3] الدلالة الزمنية في الجملة العربية، أ. د. علي جابر المنصوري:87.
[4] ينظر : السبعة في القراءات ، ابن مجاهد (ت324هـ):486.
[5] ينظر : معاني القرآن ، للفراء : (300/2) ، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإضاح عنها ، ابن جني: (143/2).

مسْتأنفًا ولكنه معنى وقوع الكلام))[1]. وذكر صاحب(**معجم القراءات القرآنية**) أربعة أوجه في (تُكَلّمهم)هي(تُنَبئهم، تُحَدّثهم ، تَجرحهم، تُكَلّمهم)[2] .

فسواء أكانت القراءة بفتح التاء وسكون الكاف ﴿**تَكْلِمهم**﴾ ، أي تجرحهم، أم كانت بالتشديد ﴿**تُكَلّمهم**﴾ من الكلام ، ((فإنها تدلّ على شخص عاقل حقيقي يقوم بالجرح ، والخطم ، ويقوم بالكلام ، والخطاب أيضاً))[3]، وهذا ما أثبته القرطبي في قوله: ((وَقَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ" تُكَلِّمُهُمْ" أو" تكلمهم"؟ فقال: هي والله تُكلمهم وتَكلمهم، تُكَلِّمُ الْمُؤْمِنَ وَتَكْلِمُ الْكَافِرَ وَالْفَاجِرَ أَيْ تَجْرَحُهُ))[4].

ومن الألفاظ التي تساعد على فهم دلالة **(الدابّة)** في هذا التركيب ،وعلى مدى خصوصيتها وعظمّتها قوله تعالى: ﴿**بِآيَاتِنَا**﴾ ، فقد أضافت الدابّةُ في كلامها الآيات إلى نفسها ، وهذا يدلّ على مدى انتساب الدابّة واختصاصها بالله ، وهذا ما أثبته الزمخشري في قوله : ((فإن قلت: إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول: ﴿**بآياتنا**﴾ قلت: قولها حكاية لقول الله تعالى. أو على معنى بآيات ربّنا. أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده، وأنّها من خواص خلقه: أضافت آيات الله إلى نفسها، كما يقول بعض خاصة الملك: خيلنا وبلادنا، وإنما هي خيل مولاه وبلاده))[5].فهي من خواصِ خَلْق الله تُكَلِّمُ المؤمن وتَكْلِمُ الكافر.

الاستعمال القرآني للفظ (دابّة) ومصاحباته:

اتضح في الدلالة المعجميّة أنّ لفظ (دبّ) وما يشتق منه وظِّفَ للدلالة على كلّ من يقوم بالحركة والانتقال من مكانٍ إلى آخر.

والذي يتتبّع لفظة(دبَّ) ومشتقاتها في الاستعمال القرآني يَجِدُ دلالتها ليستْ ببعيدة عن دلالتها المعجمية ، فهي لا تختص بوصف جنس من الخلق دون غيره ، بل دلالتها عامة تصف كلّ ما من شأنه أن ينتقل من مكان إلى آخر بحركة بطيئة ومتروّية ، وبهذا المعنى وردتْ في الآيات القرآنية دالّة على الإنسان وعلى غيره .

---

[1] معاني القرآن ، للفراء : (300/2)
[2] ينظر : معجم القراءات القرآنية ،أحمد مختار عمر ،و عبد العال سالم : (370/4-371).
[3] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور : 228.
[4] الجامع لأحكام القرآن : (238/13).
[5] الكشاف : (385/3).

فمن الآيات التي وردت فيها لفظة ﴿**دابّة**﴾ دالّة على الإنسان وغيره معاً ، قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[النور :45].

فقد أُستُدِلَّ بهذه الآية الكريمة على أنّ لفظة ﴿ **دابّة**﴾ تدلّ على الإنسان وغيره معاً، فهذا الفراء يَستفهمُ عن كيفيّة استعمال ﴿**مَنْ يَمْشِي**﴾هنا ، إذ يقول: ((يُقال :كيف قَالَ (مَنْ يَمْشِي) وإنما تكون (مَن) للناس وقد جعلها هاهنا للبهائم؟ قلت: لَمَّا قَالَ (خالق كل دابَّة) فدخل فيهم النّاسُ كنّى عنهم فقال (مِنهم) لِمخالطتهم النّاس، ثم فسّرهم بِمن لَمّا كنّى عنهم كناية الناس خاصة، وأنت قائل فِي الكلام: من هذان المقبلان لرجل ودابَّته، أو رجل وبعيره. فتَقوله بِمن وبِما لاختلاطهما))[1] . وهذا ما أكّده الطبري في قوله : ((فإن قال قائل: فكيف قيل: (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي) ، و"مَنْ" للناس، وكلّ هذه الأجناس أو أكثرها لغيرهم؟ قيل: لأنه تفريق ما هو داخلٌ في قوله: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ) وكان داخلا في ذلك الناس وغيرهم، ثم قال: (فمنهم) ، لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم...))[2]. وذكره البغوي(ت: 510هـ)في قوله:((وَإِنَّمَا قَالَ: "مَنْ يَمْشِي" وَ"مَنْ" إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ فِيمَنْ يَعْقِلُ دُونَ مَنْ لَا يَعْقِلُ مِنَ الْحَيَّاتِ وَالْبَهَائِمِ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ كُلَّ دَابَّةٍ، فَدَخَلَ فِيهِ النَّاسُ وَغَيْرُهُمْ))[3]. فهي تدّل على الإنسان وغيره .

ومن الآيات التي ورد فيها لفظة **(دابّة)** تدلّ على الأنسان قوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[الانفال :20-23].

فالآيات الكريمة هنا واضحة تتكلم عن الإنسان وليس عن جنسٍ آخر ، ذكر الطبري في تفسيره أنّه ((اختلف فيمن عني بهذه الآية. فقال بعضهم: عُني بها نفرٌ من المشركين...عن مجاهد قال، قال ابن عباس: "الصم البكم الذين لا يعقلون"، نفرٌ

---

[1] معاني القرآن ، للفراء : (257/2).
[2] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (203/19-204).
[3] معالم التنزيل في تفسير القرآن : (55/6).

من بني عبد الدار، لا يتبعون الحق... وقال آخرون: عُني بها المنافقون))[1]. وفي مورد آخر قال تعالى :﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانفال:55].

فهذا وصف من الله عزّ وجلّ للذين كفروا ، قال القرطبي(ت: 671هـ): ((أَيْ مَنْ يَدِبُّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ نَظِيرُهُ ﴿الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [2] ... ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾[3] أَيْ لَا يَخَافُونَ الِانْتِقَامَ... وَالْمَعْنِيُّ بِهِمْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ...))[4]، فالدّواب هنا هم الناس .

وفي بعض الآيات وردت لفظة (دابّة) تدلّ دلالة عامّة على الإنسان وغيره من حيوان أو نبات ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[النحل:61]. وقال تعالى :﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر :45] . جاء في الكشّاف((بما كَسَبُوا بما اقترفوا من معاصيهم عَلى ظَهْرِها على ظهر الأرض مِنْ دَابَّةٍ من نسمة تدب عليها، يريد بنى آدم. وقيل: ما ترك بنى آدم وغيرهم من سائر الدّواب بشؤم ذنوبهم))[5].

فهذه الآيات وغيرها واضحة وصريحة بأنّ استعمال لفظ (دابّة) على الإنسان المفكر ليس بالشيء العجيب أو الخطأ ، ولا غرابة في ذلك ، بل الغرابة والعجب ((من اصرار جمع كبير من المفسّرين ، ورواة الحديث على استبعاد دلالة "دابة" على الإنسان وتأويلهم قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ

---

[1] جامع البيان في تأويل آي القرآن : (13/460-461).
[2] الأنفال:22.
[3] الانفال:56.
[4] الجامع لأحكام القرآن: (8/30).
[5] الكشاف: (3/619).

﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:82]، بتأويلات غريبة لا دليل قوي عليها))[1] . فقد وصفوا (الدابة) بأنّها حيوان ضخم عجيب ،ذكر الطبري في وصفها بأنّها: ((دابة ذات زغب وريش، ولها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة... فيمسّ رأسها السحاب، ورجلاها في الأرض ما خرجتا...))[2]، وغيرها من الأوصاف العجيبة التي دخلها الخلط والإسرائيليات ،حتى أنّ ابن حيان الأندلسي أعرض عن ذكرها ،وقال: ((.... وَاخْتَلَفُوا فِي مَاهِيَّتِهَا، وَشَكْلِهَا، وَمَحَلِّ خُرُوجِهَا، وَعَدَدِ خُرُوجِهَا، وَمِقْدَارِ مَا تَخْرُجُ مِنْهَا، وَمَا تَفْعَلُ بِالنَّاسِ، وَمَا الَّذِي تَخْرُجُ بِهِ، اخْتِلَافًا مُضْطَرِبًا مُعَارِضًا بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَاطَّرَحْنَا ذِكْرَهُ، لِأَنَّ نَقْلَهُ تَسْوِيدٌ لِلْوَرَقِ بِمَا لَا يَصِحُّ، وَتَضْيِيعٌ لِزَمَانِ نَقْلِهِ....))[3] كلّ ذلك لَبْسٌ للأوراقِ ومضيعة للحقيقة.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الذي يتتبع لفظة (دابّة) في مواردها القرآنيّة يَجدها ((مأخوذة على نحو لغوي استعمالي متصل بالخلق والمنّ والاحتجاج من الله وشبه ذلك))[4] . من نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ . . . لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:164] .وقوله تعالى :﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[العنكبوت:60] .

فهي في آية البّحث سواء كانت تدلّ على البشريّة أم على غير البشريّة فإنّ وظيفتها ((احتجاجية تصنيفية ذات بعد دقيق يتناسب وآخر الزمان وختام الأرض وبداية مرحلة وجودية جديدة))[5] .

وعدّها جمع من المفسرين والروّاة بأنّها من اشراط الساعة التي تكون في آخر الزمان ، وعند خروجها لا تنفع التوبة ، قال الزمخشري: ((وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب، ووقوعه: حصوله. والمراد: مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة))[6]. وذكر القرطبي ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

---

[1] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 224.
[2] جامع البيان في تأويل آي القرآن : (499/19).
[3] البحر المحيط في التفسير:(268/8-269).
[4] نهاية أحداث التاريخ البشري : (588/1)
[5] نهاية أحداث التاريخ البشري : (588/1).
[6] الكشاف: (385/3).

اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[1] طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ))[2] . وانغلاق باب التوبة إنّما يكون في دار التكليف ؛ وذلك عند انتهاء مدّة الإنظار والامتحان ، ومجيء نصر الله والفتح المعهود ، وهذا المعنى تَجدَهُ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[السجدة :29-30]. فيوم الفتح هو فتح الدنيا على يدِ الموعود المنتظر (عليه السلام) ، وهذا ما أشارت إليه طائفة من روايات أهل البيت (عليهم السلام) كما سيأتي في البحث لاحقاً إن شاء الله.

وخروج الدابّة جعلهُ أحد الباحثين المعاصرين من أشراط الساعة الكبرى ، ويكون ذلك ((في آخر الزمان مع انتشار الفساد وظهور المنكرات واعتياد الناس عليها ، ويختلط الحابل بالنابل ، والمؤمن بالمنافق ، بل المسلم بالكافر ، عندها يأذن الله بخروج الدابّة))[3]. وقال في وصفها : ((أنها دابّة حقيقية ، أنها تتكلم مع الناس ، أنها تخرج من الأرض))[4] .

ووصفها الدكتور **محمد علي الصلابي** بـ ((أنها دابة تعقل وتنطق))[5].وقال باحث آخر بعد تفحصه للروايات في شأن الدابّة : ((وما يمكن أن نطمئنّ له من هذه الروايات أنّ "الدابّة" هي واحدة من أشراط الساعة التي تحدث قبل قيام القيامة ربما بدهر طويل ، وأنّ المقصود بها كائن مفكر ، عاقل ، له القدرة على النطق))[6] .

والذي يبدو مما تقدّم أنّ هذه (الدابّة) : تدلّ على انسان مفكر عاقل ناطق ،وهو من خواص خلق الله ،يخرج في آخر الزمان بعد خراب الأرض والعباد ، فيناظر الناس بآيات الله . [والله أعلم].

---

[1] الأنعام : 158.
[2] الجامع لأحكام القرآن : (235/13).
[3] نهاية العالم (أشراط الساعة الصغرى والكبرى) ، د .محمد العريفي: 351.
[4] المرجع نفسه : 352.
[5] الإيمان باليوم الآخر : 81، والاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور : 226.
[6] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :226.

المعضدات :

ذكرت طائفة من الأحاديث والروايات أنّ (الدابّة) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النمل :82] .

تدلّ على الإمام علي عليه السلام فهو الذي يفرز المنكرين لآيات الله ، وبه يُعرَف المؤمن من الكافر ، ومن ذلك ما ذُكِرَ أنّه ((قال رجل لعمّار بن ياسر : يا أبا يقضان آية في كتاب الله قد أفسدت قلبي ، وشككتني ، قال عمّار: وأي آية هي؟ قال: قول الله :﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ فأي دابة هي؟ قال عمّار : والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكاها ، فجاء عمّار مع الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل تمراً وزبداً ، فقال له: يا أبا يقضان هلّم ، فجلس عمّار وأقبل يأكل معه ، فتعجب الرجل منه ، فلما قام عمّار قال له الرجل : سبحان الله يا أبا يقضان ، حلفت إنك لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى تُرينها ! قال عمّار : قد أريتُكها إن كنت تعقلُ))[1] . وغيرها من الروايات التي تدلّ على أنّ هذه الدابة متمثلة بعلي بن أبي طالب عليه السلام[2].

ويرى الباحث أنّه لا تعارض في أن يكون خروج الدابّة متعلّقا بخروج القائم عليه السلام، فهو امتداد لأمير المؤمنين عليه السلام وعلى اعتبار أنّهم واحد في المصدر والهدف ،وكلّهم مهديون .

فقد ربطت طائفة من الروايات خروج (**الدابّة**) مع شروق الشمس من مغربها ، ومع خروج الدجال ،وهذه من العلامات الحتمية للموعود المنتظر عليه السلام،وبعض الأحاديث والروايات نوّهت على غلق باب التوبة عند خروجها ، واشارت بعض الروايات بأنّ هذه (**الدابّة**) تأتي بخاتم سليمان وعصا موسى عليه السلام وأنّها تَسِمُ الكافر باسمه وتَسِمُ المؤمن باسمه ، وهذه الأمور كلّها متعلقة بالمهدي المنتظر عليه السلام ، ومن ذلك ما ذكره **الطبري** عن محمد بن إسحاق، أنّه بلغه عن عبد الله بن عمرو بسنده

---

[1] تفسير القمي : 489 ، والبرهان في تفسير القرآن ، البحراني : (37/6) ، و نهاية أحداث التاريخ البشري : (590/1).

[2] ينظر : تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، علي حسني الاسترابادي الغروي : 252، و ينظر مختصر بصائر الدرجات:206.

قال: ((تخرج دابة الأرض ومعها خاتم سليمان وعصا موسى، فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمان، وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيض))[1].

وذكر **الزجاج**(ت: 311هـ) في معانيه ((... ويروى أن أول أشراط الساعة خروجُ الدابةِ وطلوعُ الشمسِ مِنْ مَغْرِبها ... وجاء في التفسير تنكت في وَجْهِ الكَافِرِ نكتة سوداء وفي وجه المؤمن نكتة بيضاء، فتفشو نكتة الكافر حتى يسودَّ منها وجهه أجمع وتفشو نكتة المؤمن حتى يَبْيَضَّ منها وَجْهَهُ فتجتمع الجماعة على المائِدَةِ، فَيُعْرَفُ المؤمِنُ مِن الكافِرِ))[2].

وذكر الطبرسي في الاحتجاج ، عن علقمة بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام بأسانيد تقدمت كلام طويل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نذكر منه محلّ الشاهد أنّه قال: ((... ألا إنّ خاتم الأئمة منا القائم المهدي . ألا إنّه الظاهر على الدين. ألا إنّه المنتقم من الظالمين. ... ألا إنّه يَسِمُ[3] كل ذي فضل بفضله ، وكل ذي جهل بجهله. ...))[4] فهو الذي يضع العلامة للخلق ليعرفوا بها .

ومنه ما رواه الشيخ الصدوق(ت:381هـ) بأسانيد تقدمت، عن النزال بن سبرة في كلام طويل، قال: ((خطبنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه وصلى على محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم قال: سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني –ثلاثاً- فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال : يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجال ؟ فقال له علي عليه السلام: اقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت ... يقتله الله عزّ وجلّ بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد مَن يصلي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام خلفه ألا إنّ بعد ذلك الطامة الكبرى.

قلنا : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال خروج دابة [من] الأرض عند الصفا ، ومعها خاتم سليمان بن داود ، وعصى موسى عليه السلام يضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع فيه : هذا مؤمن حقاً ، ويضعه على وجه كلّ كافر ... ثم ترفع الدّابة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله جلّ جلاله وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة ، فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ ... فقال صعصعة : يا ابن سبرة إنّ الذي يصلي خلفه

---

[1] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (499/19).
[2] معاني القرآن ، للزجاج : (129/4).
[3] يَسم الشيء : يجعل له علامة يعرف بها .
[4] الاحتجاج ، للطبرسي ، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر ، بيروت –لبنان ، ط1(1425هـ-2004م) : (66/1-77).

عيسى بن مريم عليه السلام هو الثاني عشر من العترة ، التاسع من ولد الحسين بن علي عليه السلام، وهو الشمس الطالعة من مغربها يظهر عند الركن والمقام فيطهر الأرض ، ويضع ميزان العدل فلا يظلم أحدٌ أحداً ...))[1].

وذكر **البغوي** عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بسنده ((قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى أَثْرِهَا قَرِيبًا"))[2].

وذكر **القرطبي** ((حَكَى الْمَاوَرْدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الدَّابَّةِ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا لَهَا ذَنَبٌ وَإِنَّ لَهَا لَلِحْيَةً. قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: وَفِي هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا مِنَ الْإِنْسِ وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ. قُلْتُ: وَلِهَذَا- وَاللَّهُ أَعْلَمُ- قَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ الْأَقْرَبَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الدَّابَّةُ إِنْسَانًا مُتَكَلِّمًا يُنَاظِرُ أَهْلَ الْبِدَعِ وَالْكُفْرِ وَيُجَادِلُهُمْ لِيَنْقَطِعُوا، فَيَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ: وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ))[3] .

---

[1] كمال الدين وتمام النعمة : (2/ 476-478) ، وبحار الأنوار : (52/192-194)، و مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم (عج) :(1/ 214-217).

[2] معالم التنزيل في تفسير القرآن : (6/ 178).

[3] المصدر نفسه : (13/236).

الفصل الثاني

المركباتُ اللفظيةُ في الآياتِ المتعلِّقة بالإمام المهديّ (عليه السلام)

المبحث الأوّل

المركب الإضافي

المبحث الثاني

المركب الوصفي

الفصل الثاني

المركّباتُ اللفظيّةُ في الآياتِ المتعلّقة بالإمامِ المهديّ عليه السلام

توطئة:

ينتقلُ البَّحثُ هنا من الألفاظِ المفردة إلى المركّباتِ اللفظيّة في الآياتِ المتعلّقة بالإمامِ المهدي (عليه السلام) التي أثارتها الرّواياتُ الشّريفةُ ؛ فالبَّحثُ لَمْ يَعُدْ مُكْتَفياً باللفظ المفرد، بل تجاوزه إلى المركّب اللفظي ،و((الْمركب هُوَ الْمركب من كَلِمَتَيْنِ بِمَنْزِلَة اسْم وَاحِد فِي شدَّة الِانْعِقَاد))[1].

ويندرج تحت لفظ (المركَّب) أنواع عديدة من المركَّبات بيَّنها الشريف الجرجاني في قوله: ((المركب: هو ما أريد بجزء لفظه الدلالة على جزء معناه، وهي خمسة: مركب إسنادي، كقام زيد، ومركب إضافي، كغلام زيد، ومركب تعدادي، كخمسة عشر، ومركب مزجي، كبعلبك، ومركب صوتي، كسيبويه. [و] المركب التام: ما يصح السكوت عليه، أي لا يحتاج في الإفادة إلى لفظ آخر ينتظره السامع، مثل احتياج المحكوم عليه إلى المحكوم به، وبالعكس سواء، أفاد إفادة جديدة، كقولنا: السماء فوقنا. [و] المركب الغير[2]التام: ما لا يصح السكوت عليه؛ والمركب الغير التام إمّا تقييدي، إن كان الثاني قيدًا للأول، كالحيوان الناطق، وإمّا غير تقييدي، كالمركب من اسم وأداة، نحو: في الدار، أو كلمة وأداة، نحو: قد قام، من: قد قام زيد))[3].

وليس مُراد الباحث هنا من لفظ (المركّب) معنى (المركب النحوي) الذي يتحقق فيه الإسناد ويحسن السكوت عليه ، كما في قولنا: (قام زيد)أو(السماء فوقنا) ، بل المراد منه إسناد لفظ إلى لفظ وانعقادهما معاً بمنزلة اللفظ الواحد من مجموع الإضافة . وقد نبّه على ذلك الرضيّ الأستربادي (ت: 688هـ) في قوله : ((ولفظ المركّب يطلق على شيئين: على أحد الجزأين أو الأجزاء بالنظر إلى الجزء الآخر ، كما يُقال في : ضربَ زيدٌ: مثلاً ، إنّ زيداً مركب إلى ضرب ، وضرب مركب إلى زيدٍ ، فهما مركبان ، ويُطلق على المجموع فيقال : ضربَ زيدٌ ، مركب من ضرب ومن زيد . وهذا كما تقول : لأحد الخفَّين هو زوج للآخر، وتقول لهما معاً زوج ، ومُراد المصنِّف[4] :المعنى الأوّل ؛ وليس بمرضيّ ، لأنّ المركب في اصطلاحهم،

---

[1] رسالة الحدود، للرماني: - (70/1).
[2] الصواب (غير التام) ؛ لأنّ غير لا تُعرّف.
[3] التعريفات : 210.
[4] عثمان بن عمر أبن أبي بكر المعروف بابن الحاجب(ت:646هـ).

في المجموع أشهر منه في كلِّ واحد من جزأيه ، أو أجزائه))[1] فالرضي اختار المعنى الثاني مُعقباً عليه بقوله: ((ألا ترى أنّ المضاف اسم مركب إلى المضاف إليه ، ولا يستحق بهذا التركيب إعراباً ، بل المضاف إليه يستحقه بالتركيب الإضافي ، لأن المضاف عامله ،على قول ، أو الحرف المقدّر، على الآخر ، كما يجيء ، وكذا التابع مع متبوعة، لا يستحق أحدُهما بهذا التركيب إعراباً معيّناً))[2] فالمعنى بغير مجموع التركيب يبقى ناقصاً.

ونتيجة لذلك اختار الباحث المعنى الثاني والتزمه في هذا الفصل وكان على مبحثين الأول: المركب الإضافي المتمثل بعلاقة المضاف بالمضاف إليه ، والثاني : المركب الوصفي المتمثل بعلاقة الوصف بموصوفه .

---

[1] شرح الرضي على الكافية : (51/1).
[2] المصدر نفسه : (52/1).

المبحث الأول

المركب الإضافي

المطلب الأوّل المركب (يَوْم الفَتْحِ):

قال تعالى :﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۞ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾[السجدة :28-30].

الدلالة المعجميّة: للفظ (يَوْم) ولفظ (فتح):

أولاً: لفظ (يَوْم):

استُعْمِلَتْ الألفاظ (يوم) و(يومان) و(أيام) بالمعاني اللغويّة المعروفة قبل نزول القرآن الكريم ، وهي : الدلالة على النّهار فقط ، أو الدلالة على النّهار واللّيل معاً، أو الدلالة على مطلق الزمان[1] .

فقد ذكر صاحب العين بأن :((اليوم: مقدارُه من طُلوع الشمس إلى غروبها، والأيّام جَمْعُه. ،واليوم: الكَوْن، يُقال: نعم الأخ فلان في اليوم، أي: في الكائنة من الكَوْن إذا نزلت))[2]. فمقدر اليوم عند الخليل هو النهار فقط ، ويأتي بمعنى الحادثة أو الشدَّة، كما في قول الجوهري: ((وربَّما عبَّروا عن الشدَّة باليَوْمِ))[3]. وذكر الأزهري بأن الايام بمعنى الوقائع في قوله: ((العرب تقول الأيام في معنى الوقائع يقولون: هو عالم بأيام العرب أي وقائعها وقال شمر انما خصوا الايام بالوقائع دون ذكر اللّيالي لان حروبهم كانت نهاراً وإذا كانت ليلاً ذكروها))[4]، وقريب من هذا المعنى ما ذكره الزبيدي بأن الأيام يُرادُ بها العقوبات والنِّقم في قوله:((وقد يراد

---

[1] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :128.
[2] العين: (433/8)(يوم).
[3] الصحاح في اللغة: (2065/5) (يوم).
[4] تهذيب اللغة: (463/15) (يوم).

بالأيام العقوبات والنقم وبه فسّر بعضٌ قوله تعالى:﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[1] وقالوا اليوم يومك يريدون التشنيع وتعظيم الامر))[2]. فلفظ (يوم) يُعَبِّرُ عن حَدَثٍ ما.

وبيّن الزبيدي دلالة (اليوم) بقوله :(((اليوم) معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها أو من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس ... والأخير تعريف شرعي عند الأكثر ، وشاع عند المنجمين أن اليوم من الطلوع إلى الطلوع أو من الغروب إلى الغروب ... ويُستعمل بمعنى مطلق الزمان))[3]. يُلحظ في هذا النَّص الاختلاف في تحديد مقدار اليوم، وهو نصٌ مهمٌ جداً؛ إذ يَتَّسعُ في الدلالة الزمانيّة للفظ (يوم).

وهناك مَن جعل للفظة (يوم) في القرآن الكريم تسعة وجوه، وهي(يوم القيامة ، اليوم المعروف (من وقت طلوع الشمس إلى غروبها)،الزمان الحاضر ،يوم بدر، يوم النحر (عيد الأضحى) ، يوم من الأيام الستة التي خلق فيها السماوات والأرض ، يوم نجاة فرعون ببدنه ، الحي ، يوم الأحزاب)[4].

وهذه المعاني التسعة أهي للفظ (يوم) أم لِما لصق باليوم (لِما أُضيف إلى اليوم)؟!! فعلى هذا المعنى لَمْ ولَنْ تنتهي معاني لفظة يوم، فهذه التِّسعة استخرجت من القرآن الكريم، ولو تتبعها الباحث في اللغة لاحتاج إلى سجلات كثيرة لتستوعب ما لفظه النّاس مع لفظ يوم، نحو (يوم الزواج، ويوم القتال، ويوم العمل، ويوم الجامعة ...إلخ)، فلهذا لَمْ يحاولُ إعطاء معنى (يوم) بل حاولَ إعطاء معنى ما أُضيف إلى لفظ يوم.

ومن الباحثين المعاصرين من أرجع دلالة (يوم) في اللغة إلى دلالة واحدة ، هي : الدلالة الزمنية ، ولها صورتان[5] :

1- الدلالة على الزمن المقيد (المحدد) ولها صورتان[6] :

---

[1] ابراهيم:5.
[2] تاج العروس: (يوم).
[3] المصدر نفسه: (يوم).
[4] ينظر : معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم (دراسة لغوية تفسيرية) : 587-591.
[5] ينظر: ألفاظ الأيام في التعبير القرآني، حنان أحمد: 19-21، والاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :129.
[6] ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :129.

أ-اليوم من طلوع الشمس الى غروبها، أو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس فيكون المراد به (النهار) فقط.

ب-اليوم مقداره من الطلوع إلى الطلوع، أو من الغروب إلى الغروب، فيكون المراد به (اللّيل والنهار) معاً.

2- الدلالة على الزمن المطلق ((غير المحدد))[1] : وتكون كلمة (يوم) هنا غير محددة بمقدار معين ، فتكاد تكون مساوية لكلمة (زمن) ، أو كلمة (وقت) في المعنى. ويضرب الباحث أمثلة قرآنية على دلالة كلّ صورة[2]. ويخلص بالقول أن((كلمة(يوم) اسم جنس ، يحتمل الواحد والأثنين ، والأكثر من ذلك ، فيدل على الزمن عموماً ، والقرائن السياقية والمقامية هي التي تحدد مقدار هذا الزمن))[3].

فلفظ (يوم) اسم جنس يدل على الزمن عموماً. فإذا أُضيف إلى حدثٍ ما فإنّ القرائن السياقية والمقامية لهذا الحدث هي التي تحدد مقدار هذا الزمن.

ثانيا: لفظة (فتح):

ذكرت كتب المعاجم معاني كثيرة للفظة (فتح) وكان من جملتها ما ذكره صاحب العين في قوله:((الفَتْحُ: نقيض الإغلاق. والفَتْح: افتِتاح دارِ الحَرب. والفَتْح: أن تفتَحَ على مَن يَسْتَقْرِئُكَ .والفَتْح: أنْ تحكُمَ بين قَوْمٍ يَخْتَصِمون إليكَ، قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ** ﴾[4] .والفَتْح: النُّصْرةُ، قال تعالى: ﴿ **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**﴾[5] .واستَفْتَحْتُ اللهَ على فُلانٍ أيْ: سَأَلْتُه النَّصْرَ عليه ونحو ذلك. فَواتِح القُرآن: أوائل السُّوَر. وافتِتاح الصَّلاة: التَكبيرةُ الأولى. وبابٌ فُتُحٌ أي: واسع))[6] والفتَّاح: الحاكم[7].

---

(1) ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :129.
(2) ينظر : المرجع نفسه :129.
(3) المرجع نفسه:129.
(4) الأعراف :89.
(5) الأنفال :19.
(6) العين:(194/3) (فتح)، وينظر: المحيط في اللغة:(710/1) (فتح).
(7) ينظر تهذيب اللغة:(295/4) (فتح).

وذكر الأزهري معاني المفسِّرين في آية البحث في قوله : ((وقول الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] ... يومُ الفَتْح هاهنا يوم القيامة، ... و قال قتادة: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: إن لنا يوماً أوشك أن نستريح فيه وننعم فقال الكفار: ﴿**و متى هذا الفتحُ إن كنتم صادقين**﴾. وقال الفرَّاء: يوم الفتح يعني يوم فتح مكة .قلتُ: والتفسير جاء بخلاف ما قال، وقد نفع الكفار من أهل مكة إيمانهم يوم فتح مكة .وقال الزَّجاجُ: جاء أيضاً في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ متى هذا الحكم والقضاء، فأعلم الله أن يوم ذلك الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم أي ما داموا في الدنيا فالتَّوبة مُعرضة ولا توبة في الآخرة))[2].

هذه أهم المعاني التي سجّلها المعجم العربي ، وقد أوجزها الباحث مجيب سعد في أربعة معانٍ رئيسة وهي[3]:

1-الفتح: نقيض الإغلاق، وجعله الأصل في لفظة (فتح) ومنه تفرعت المعاني الأخرى.

2-الفتح: افتتاح دار الحرب، ومنه ذهب بعض اللغويين إلى أن لفظة (فتح) ترادف لفظة (نصر).

3-الفتح: أن تحكم بين قوم يختصمون إليك، والفُتاحة بالضم هي الحكم، وقيل (الفُتاحة) الحكومة.

4-الفتح:هو ((انتشار الإسلام وظهوره بعد نصر الله لجنده في ميادين الجهاد))[4].

ويَخْلصُ في القولِ بأنّ لفظة (فتح) ترجع إلى أصل واحد وهو فتح المغلق[5].

والمتأمل في المعنى الرابع، يَجِدُ أنّ هذا التعريف قد فرّق بين (الفتح والنصر) حيث جعل الفتح نتيجة النصر ، والنصر سبباً للفتح ، وهذا المعنى يتسق مع قوله

---

[1] السجدة: 28-29.
[2] تهذيب اللغة:(4/258-259) (فتح).
[3] ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :161-162.
[4] التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة: 303.
[5] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 162.

تعالى :﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الصف:13] ، ومع قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر:1].

فمن ذا يمكن القول: أن لفظة (فتح) لا ترادف لفظة (نصر)؛ لأنّ كتاب الله الحكيم غاير بين دلالة اللفظتين، ولفظة (فتح) تطلق على فتح المغلق.

الدلالة النحويّة:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۞ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ [السجدة:28-30].

أولاً: قوله تعالى:﴿ ويقولون مَتَى هَذَا الْفَتْحُ ﴾:

يقولون : يقول : فعل مضارع يستعمل للدلالة على وقوع الحدث في الحال أو في الاستقبال ، وهذا المعنى هو الأصل في الحدث المضارع [(1)]، ومنه تفرعت باقي المعاني الأخرى ، فيُفهمُ من دلالة الفعل أنّهم مستمرون بالقول في الحاضر أو في المستقبل .

متى : اسم استفهام يجوز أن يكون في موضع رّفعٍ هنا ، ويجوز أن ينصب على الظرفية الزمانية ، قال الفراء: (((مَتَى) فِي موضع رفع ووجه الكلام أن يكون (متى) فِي موضع نصب وهو أكثر))[(2)]. فهو استفهام انكاري منصوب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدّم[(3)]، يستفهمون به عن زمان الفتح، وجيء به للاستهزاء والتشكيك ، والاستفهام الإنكاري يكون((إمّا لبعد وقوع ذلك أو لأنّه معلوم أو لكون الأمر في نفسك بعيداً قبل الأخبار وهذا شبيه الانكار))[(4)]،فهم فعلاً يَجْهلون زمان الفتح لكنهم يستهزئون بالفتح ويشكّون في تفاصيله.

---

(1) ينظر: معاني النحو :(288/3).
(2) معاني القرآن، للفراء: (333/2)، وينظر: اعراب القرآن ،للنحاس: (205/3).
(3) ينظر: اعراب القرآن وبيانه: (586/7).
(4) ارتشاف الضرب من لسان العرب : (697/2).

هذا : اسم اشارة مبتدأ مؤخر ، واسم الاشارة من المعارف ،والكوفيون يجعلون اسم الاشارة أعرف من العَلَم ؛ على أن اسم الإشارة ملازم للتعريف غير قابل للتنكير، والعَلَمُ بخلافِ ذلك، وتعريف اسم الإشارة حسِّي وعقلي ، في حين تعريف العَلَم عقلي فقط[1].

(الفتح): بدل من **(هذا)** والبدل يكون هو المراد والمقصود بالحكم ، جاء في (المفصَّل) البدل : ((هو الذي يُعْتَمَدُ في الحديثِ ، وإنّما يُذكر الاول لنحو من التوطئة وليُفاد بمجموعهما فَضل تأكيدٍ وتبيينٍ لا يكونَ في الافرادِ))[2]. فالمراد والمعتمد في الحديث هو **(الفتح)** لِمَا أفَادهُ موقعه الإعرابي ، ولكن لا يزيل هذا فائدة اسم الإشارة (المبدل منه) فقد اشتركا في إبراز المعنى وهو أنّ (الفتح) معروف لدى المتكلمين ، بدليل أن اسم الإشارة من المعارف ، فأنى لك أن تُشيرَ الى شيءٍ دون أن تَعرفَهُ ، وكذلك دلّت (أل) التعريف في لفظة (الفتح) على عهدهم وعلمهم به ، فهم على علمٍ بهذا الفتح ولكنّهم يَجهلون زمانه ، لذلك جاء ذيل الآية ليدلل على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ((جاء التعبير بـ (إن الشرطية) من دون (إذا) ليضع السائل في صورة المشكك من دون إرادة (الجهل بحقيقة الأشياء) ، وهو يشير إلى أن السائل لم يكن جاهلاً بقدر ما يريد التشكيك والإيهام))[3]، جاء في همع الهوامع: ((تختص إذا بما يتعين وجوده نحو : آتيك إذا احمر البسر ، أو رجح نحو : آتيك إذا دعوتني ، بخلاف إنْ فإنها تكون للمحتمل والمشكوك فيه والمستحيل كقوله : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾[4] ، ولا تدخل على متيقن ولا راجح))[5]. وجيء بفعل الشرط ماضياً ليدلّ على استقرار الشّك في نفوسهم وتمكُّنه فيهم، جاء في الخصائص :((وكذلك قولهم: إنْ قمتَ قمتُ، فيجيء بلفظ الماضي والمعنى (معنى المضارع). وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ (الماضي) المقطوع بكونه حتى كأن هذا قد وقع واستقرّ (لا أنه) متوقّع مترقّب))[6].

وقال البقاعي (ت: 885هـ) في دلالة هذه الآية : ((ولمّا كانت هذه الآية أدل دليل - كما مضى - على البعث ، وكان يوماً يظهر فيه عز الأولياء وذل الأعداء ، أتبعها

---

(1) ينظر: شرح التسهيل: (117/1).
(2) شرح أبن يعيش: (262/2).
(3) الآيات المتعلقة بالإمام على (عليه السلام): 212.
(4) الزخرف: 81.
(5) همع الهوامع: (132/2).
(6) الخصائص، لأبن جني: (107/3).

قوله تعجيباً منهم عطفاً على « يقولون أفتراه » ونحوها : ﴿ **ويقولون** ﴾ أي مع هذا البيان الذي لا لبس معه استهزاء : ﴿ **متى هذا الفتح** ﴾ أي النصر والقضاء والفصل الذي يفتح المنغلق يوم الحشر ﴿ **إن كنتم** ﴾ أي كوناً راسخاً ﴿ **صادقين** ﴾ أي عريقين في الصدق بالإخبار بأنه لا بد من كونه لنؤمن إذا رأيناه . ولما أسفر حالهم بهذا السؤال الذي محصله الاستعجال على وجه الاستهزاء عن أنهم لا يزدادون مع البيان إلا عناداً ، أمرهم بجواب فيه أبلغ تهديد))[1]. فيكون معنى التركيب أنّهم مستمرون بسؤالهم عن زمان الفتح المعهود، ليكون هذا السؤال موضعاً للتشكيك والإنكار، وأنّ السائلَ لم يكن جاهلاً بقدر ما يريد من التشكيك والإيهام بهذا الفتح.

ثانياً: قوله تعالى:﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾

قلْ : فعل أمر جاء للإجابة على سؤال سابق، فهو كلام مسوق للرد على إنكارهم ، وهذا الاستعمال كثير في القرآن الكريم نحو قوله تعالى:﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ..**﴾[2] وقوله :﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾[3].

يوم الفتح: يوم : ظرف زمان منصوب بـ (لا ينفعُ)[4]، وقيل: ((يوم الفتح مبتدأ وجملة لا ينفع خبره والذين كفروا مفعول ينفع المقدم وإيمانهم فاعل ينفع المؤخر))[5]، و(يوم الفتح) مركب اضافي والإضافة نسبة اسم الى اسم آخر ، وإسناده إليه، والإضافة هنا إضافة محضة ، والإضافة المحضة تفيد تعريفاً أو تخصيصاً حسب المضاف إليه ، فإذا كان المضاف إليه معرفة أفادت التعريف ، وإذا كان المضاف إليه نكرة أفادت التخصيص .والتعريف بالإضافة كالتعريف بـ (أل)، قد يكون للعهد وقد يكون للجنس [6]. والمضاف إليه في آية البحث (الفتح) معرف بـ

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (270/15).
[2] البقرة: 189، البقرة: 217.
[3] الملك: 25-26.
[4] ينظر البحر المحيط: (442/8).
[5] اعراب القرآن وبيانه: (590/7).
[6] ينظر: معاني النحو: (107/3).

(ال) فالإضافة هنا أفادت معنى التعريف ، وهي إضافة عهدية لأنها تدلّ على واحدٍ بعينه وهو يوم الفتح المعهود .وجاء في شرح الرضي على الكافية :((إذا قلت (غلام زيد راكب) ولزيد غلمان كثيرة فلا بدّ أن تشير به إلى غلام من بين غلمانه له مزيد خصوصية بزيد ، إما يكون أعظم غلمانه أو اشهر بكونه غلاما له ، دون غيره ، أو يكون غلاما معهوداً بينك وبين المخاطب ، وبالجملة بحيث يرجع إطلاق اللفظ إليه دون سائر الغلمان ... فلا تظنن من إطلاق قولهم في مثل (غلام زيد) أنّه بمعنى اللام: أن معناه ومعنى (غلام لزيدٍ) سواء ، بل معنى (غلام لزيد) واحد من غلمانه غير معين ، ومعنى (غلام زيد) الغلام المعين من غلمانه ، إن كان له غلمان جماعة ،أو ذلك الغلام المعلوم لزيد إن لم يكن إلا واحد))[1]. فمن هذا يتبين أنّ الفتحَ معهودٌ لدى المخاطبين ومعلومٌ ،لكن السائلين جاهلون زمان الفتح ، فجاء الجواب بلفظة (يوم) لِمَا تحملُ من دلالة زمانية ، وقد عرّف هذا (اليوم) بالمضاف إليه وهو (الفتح) ، لأن المضاف يتعرف بالمضاف إليه ،سواء أُضيفَ إلى مفردٍ أم جملةٍ[2] . وبالإسناد اتَّحد الاسم الأوّل مع الاسم الثاني فكوّنا اسماً واحداً معرفاً بالإضافةِ الحقيقيةِ الدّالة على التعريف وهو (يوم الفتح) مُبَرِّزاً لهم خصيصة من أجواء زمان الفتح وهي صيغة (لا ينفع).

ثالثاً : قوله تعالى :﴿لَا يَنفَعُ﴾:

هذه الصيغة متكونة من حرف النفي (لا) والفعل المضارع (ينفع) ولها دلالة نحويّة هامّة، بل هي إحدى ركائز المعنى النحوي الدلالي لهذا التركيب، ويتضح ذلك من معنى النفي بـ (لا)، حيث هناك أدوات أخرى يمكن للمتكلم أن ينفي بها الفعل المضارع، نحو: (لم، ولن وغيرهما). ولكن لكل واحدة من هذه الأدوات استعمالها الخاص ، لِمَا تحملهُ من دلالة قد لا تَجدُها في غيرها ، جاء في المغني : ((أنّ (لا) تَخلصُ الفعل المضارع للاستقبال كـ (لنْ) عند الأكثرين وخالفهم ابن مالك لصحة قولنا(جاء زيدٌ لا يتكلم) فإن جملة (لا يتكلم) حال مع الاتفاق على أن الجملة الحالية لا تصدر بدليل استقبال))[3]، وجاء في (البرهان): ((وذهب بعضهم إلى أن النفي بـ (لا) أطول من النفي بـ (لن) ؛ لأنّ آخرها ألف وهو حرف يطول فيه النَّفس ، فناسب طول المدَّة بخلاف (لَنْ). ولذلك جاء قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَرَانِي﴾ [4]، وهو مخصوص

---

[1] شرح الرضي على الكافية :(2/208-209).
[2] ينظر: معاني النحو: (3/108).
[3] مغني اللبيب: (1/322)، وينظر: معاني النحو: (3/312).
[4] الأعراف :143.

بدار الدنيا ، وقال : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[1]، وهو مستغرق لجميع أزمنة الدنيا والآخرة ، وعللّ بأن الألفاظ تشاكل المعاني ولذلك اختصت (لا) بزيادة مدَّة))[2].

وذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى أن (لا) تأتي للاستقبال هذا ممّا لا شكَّ فيه... ، ولكنها تخلص الفعل المضارع للاستقبال ، وأنّها لا تنفي الحال فهذا موضع نظر ... والحق الذي لا مِرية فيه أنّها تأتي للحال كما تأتي للاستقبال... ويدل على ذلك الاستعمال الفصيح الكثير في القرآن الكريم وغيره . قال الله تعالى:﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] وهذا للحال ولو أبدلت (لن) بها وقلت (والله يعلم وأنتم لن تعلموا) انقلب المعنى الى الاستقبال .. . ويخلص بالقول والحق أنها تنفي الفعل المضارع بكل أزمانه ، الحال والاستقبال ، المنقطع وغيره [4].

والنفي بـ(لا) يكون مع المشكوك فيه، ((ذهب بعضهم بأن العرب تنفي المظنون بـ(لن)، والمشكوك فيه بـ (لا)، أي أنّه إذا كان الشيء ممكناً عند المخاطب مظنوناً وقوعه، نفي بـ (لن)، وإذا كان مشكوكاً في وقوعه كأن تقول: أ يكون أم لا يكون؟ قلت في نفيه : لا يكون))[5] . وهذا يتناسب مع سؤالهم الإنكاري الذي غرضه الاستهزاء والتشكيك .

---

(1) الأنعام :103.

(2) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط1(1376هـ -1957م): (2/420-421)، ومعاني النحو: (3/312).

(3) البقرة :232.

(4) ينظر: معاني النحو: (3/314-315).

(5) معاني النحو: (3/313).

الاستعمال القرآني للمركب (يوم الفتح) ومصاحباته:

بعد إيراد المعنى اللغوي للفظ (يوم) ولفظ (الفتح)، ومن ثم إبراز المعنى النحوي للمركب (يوم الفتح)، صار لزاماً على الباحث معرفة دلالة المركب في سياقات القرآن (الاستعمال القرآني) لإبراز دقة التعبير في استعمال هذا المركب في آية البحث وذلك يتحصَّل من مجموع معاني ألفاظ التركيب.

استعمل لفظ يوم في موارد كثيرة جداً في القرآن الكريم وفي استعمالات شتى، ففي بعض الموارد أضيف إلى أفعال مثل: اليوم أكملت- يوم يجمع الله- يوم يحشرهم- يوم يسمعون الصيحة-يوم يبعثون- يوم ندعو كل أناس- يوم تشقق السماء... إلخ.

وبعض الموارد أُضيفَ إلى صفةٍ مثل: يوم عصيب- يوم عظيم- يوم محيط- يوم غليظ- يومًا عبوساً.. إلخ.

وبعض الموارد أضيف إلى ضمائر أو أسماء إشارة أو أسماء مثل: يومهم هذا- يوم حنين- يوماً على الكافرين.... إلخ.

وبعضها أضيف إلى اسم معرّف بأل التعريف مثل: يوم القيامة- يوم الفصل-يوم الفرقان...الخ. وهذا النوع هو الذي يهمُّنا لأنّه يُعَرِّف اليوم باسم واحدٍ مُعرّف فهو ينطوي على (تسمية لهذا اليوم) محددة بلفظٍ واحدٍ ، نحو قوله تعالى : {يوم القيامة} ،{يوم الدين}،{يوم الفصل }،{يوم الحشر} وغيرها [1].

فالذي يُنْعم النَّظر في كلِّ هذه الأمثلة سَيَجِدُ أنّ لفظة يوم لَمْ تخرج عن معناها العام الذي نوّه إليه البحث في معناها اللغوي: (((يوم) اسم جنّس ، يَحتملُ الواحد والأثنين ، والأكثر من ذلك ، فيدلّ على الزمن عموماً ، والقرائن السياقيّة والمقاميّة هي التي تُحدد مقدار هذا الزمن))[2] ، وهذ الزمن قد يطول إلى آلاف السنين ، وقد يكون لحظات أو سوَيْعات ، فمن هذا المعنى يمكن القول: في اليوم الطويل تدخلُ أيامٌ قصار .فمثلا: يوم القيامة يَدخلُ فيه : يوم الجمع، ويوم البعث ، ويوم التغابن ، ويوم التلاقي وغيرها، فكلّها تدخل في هذا اليوم لأنّ هذه الأحداث هي ضمن أحداث يوم القيامّة .

والمركّب (يوم الفتح) لم يرد في القرآن الكريم إلا في موردٍ واحد وهو آية البحث. وقد ذهب الفراء إلى أن هذا الفتح هو (فتح مكّة)[3] ، وقال الطبري:

---

[1] ينظر: الطور المهدوي: 357-358.
[2] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :129.
[3] ينظر: معاني القرآن، للفراء: (333/2).

((والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم، يعنون العذاب، يدلّ على أن ذلك معناه قوله: ﴿**قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ**﴾ [1] ولا شكَّ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده، ولو كان معنى قوله: (مَتى هَذَا الفَتْحُ) على ما قاله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شكّ أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة، ونفعهم بالإيمان به وبرسوله، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل ، وفساد ما خالفه))[2]. فالطبري يَستبعدُ أن يكون هذا الفتح هو فتح مكة، وتعليله منطقياً جداً.

وللمفسِّرين ثلاثة آراءٍ في المراد من (يوم الفتح)، هي: يوم القيامة، ويوم بدر وفتح مكة، وقد برّر الواحدي(ت:468هـ) لكلِّ واحدٍ بتبريرٍ في قوله: ((أي الإيمان لا ينفع يوم القضاء بين الخلق. ومن قال: إنّه يوم بدر، أراد لا ينفعهم الإيمان إذا جاءهم العذاب وقتلوا. ومن قال: إنّه فتح مكة، قال: هذا لمن قبله خالد بن الوليد من بني كنانة، وهو قول الكلبي. وأضعف الأقوال هذا القول. قوله: ﴿**وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾ أي لا يؤخر العذاب عنهم))[3] ، وأكثر المفسرين ذهبوا الى هذه المعاني[4].

وفسَّر علماء الطائفة الإماميّة أن هذا الفتح هو فتح دنيوي مستقبلي يكون في آخر الزمان، يكون على يد المهدي المنتظر وهو الفتح المعهود [5] ويسندُ رأيهم قوله تعالى:﴿ **وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[الصف:13]، وإلى هذا ذهب الطباطبائي في قوله: ((ويمكن أن يكون المراد هو القضاء بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين الأمة ويكون ذلك في آخر الزمان))[6] إشارة إلى الفتح المعهود .

وناقش أحد الباحثين الاحتمالات التي ذكرها المفسِّرون **ويمكن إيجازها بالآتي[7]:**

---

[1] السجدة:29.
[2] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (198/20).
[3] التفسير البسيط: (163/18).
[4] ينظر: اعراب القرآن، للنحاس: (205/3)، والدر المنثور: (557/6)، وفتح القدير: (298/4)، وغيرها.
[5] ينظر: تفسير القمي: 527-528 ، وينظر: البرهان في تفسير القرآن، البحراني: (6 /210-211).
[6] الميزان في تفسير القرآن: (273/16).
[7] ينظر: الطور المهدوي:102-106.

أولاً: يوم القيامة: إنّ الآيات لا تنطبق على يوم القيامة لأنّه:

أ- ليس في يوم القيامة إيمان وكفر، ليقول:- ﴿ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾[1] فهل يكون الكافر مؤمناً يوم القيامة وهو قد مات كافرًا.

ب- لفظ الفتح لفظ عسكري، خاص بالدنيا، إذ ليس في يوم القيامة معارك ولا فتوحات.

ج- ذكر سياق الآيات السّابقة عليها يوم القيامة مرتين. وإنما جاء التساؤل الجديد بعد المثل المضروب لأحياء الأرض.. وهو واضح إذ يريد به التنويه عن قدرته على إحياء الأرض وإنزال البركات فتساءل المجرمون: متى هذا الفتح فأجاب: قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا ادّعوا الايمان.

هـ-قوله تعالى: ﴿ولا هُمْ يُنظَرُون﴾ خاص بالدنيا لانتهاء المهلة، إذ ليس هناك انظار يوم القيامة! بل إبليس نفسه لا يأمل بهذا الانظار.

ثانياً: يوم فتح مكة:

كيف يكون فتح مكة؟ وأن الذين كفروا قد نفعهم إيمانهم في فتح مكة من السوء كثيرًا فأطلق سراحهم النبي (ﷺ) وقال: (أذهبوا فأنتم الطلقاء) .... أمّا إذا افترضنا وجود مستضعفين ونساء لا يعلمون شيئًا عن حقيقة الرسالة ثم رأوا الآيات يوم الفتح ودخل الإيمان إلى قلوبهم حقًا فآمنوا فلماذا لا ينفعهم إيمانهم يوم الفتح؟ فلا يمكن أن يُنسب إلى الخالق تعالى مثل هذا المراد من الآيات، ولو أُخِذَ به وجب تكفير جميع من أسلم يوم فتح مكة.

ثالثاً: يوم بدر:

في هذه الفقرة يناقش الباحث قول البيضاوي(ت 685هـ) :((والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فإنهم لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جواباً على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم، فإنهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيباً واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال))[2]. فيقول: حين لم يجدوا مسوغاً واحداً على عدم قبول إيمان من يُؤمن والمعركة قائمة، فربما وُجِدَ إنسان نقي السريرة فرأى الآيات ومدد الملآئكة فآمن، فَلِمَ لا ينفعه إيمانه؟! فمِن أجل ذلك قال

---

[1] السجدة :28.

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (223/4).

البيضاوي: المراد بالذين كفروا الذين قتلوا منهم في معركة بدر. وأنّى للبيضاوي أن يَحصُرَ الذين كفروا - وهو عام- بقتلاهم فقط يوم بدر فعلى رأيه إنّ الكفّار إذا ماتوا موتاً طبيعيًا، ينفعهم إيمانهم.. فكيف يموت الكافر أو يقتل ويجري الحديث عن إيمانه أوَ ليس قد قُتِل كافراً...

ويُفرِقُ بين معنى هذه الآيات وبين آية القيامة في سورة الروم :﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الروم:57]، بقوله: والفارق بينهما كبيرٌ جدًا فهذه الآيات هي التي تخصُّ حالهم يوم القيامة لأنّها:

أ. جاءت في سياق الحديث عن قيام الساعة ووصف حالهم بعد قيام الساعة مباشرًة.

ب. سمّاهم هنا (الذين ظلموا) بدل (الذين كفروا)؛ إذ يظهر ظلمهم علاوة على كفرهم لوجود الصحف وسجلات الأعمال.

ج. لا تنفعهم يوم القيامة معذرتهم بدل إيمانهم؛ لأنّه لا يوجد إيمان يوم القيامة ولكن يمكن أن يعتذروا.

د. (ولا هم يستعتبون) بدل (ولا هم يُنظرون): لأنّه لا يوجد إنظار يوم القيامة، بل الحساب الذي يحاولون تحويله إلى عتاب، ليعتذروا. ولذا يؤكد القرآن على عدم منفعة اعتذارهم بشكل دائم في يوم القيامة.

ويَخلصُ في القول : أنّه يمكن أن يُفْهَمُ معنى هذه الآيات ليوم الفتح العظيم لكافة الأرض..[1].

وقال باحث آخر:((حريٌّ بالباحث إذا أراد أن يُرجِّح واحداً من هذه الاحتمالات أن يتحقق من دلالة لفظة (فتح)))[2] ، و أنّ (أل) في لفظة (الفتح) يمكن أن تكون للعهد ، بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه يكون فيه القضاء ...ويمكن أن تكون (أل) لاستغراق الجنس ، فكأنّها تُشير إلى فتحٍ عام لجميع مغاليق الحياة من غلق باب الرزق ، وانعدام الاستقرار، وغيرها، و استدلّ على ذلك من استعمال لفظة (الجُرز) في الآية التي سبقت آية البحث وهي قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة: 27]، ولفظة (الجرز) تعني

---

[1] ينظر: الطور المهدوي :106.
[2] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور :151.

القطع والغلظة والجدبة [1]، وخَلُص في القول أنّ هذه الآية جسَّدتْ البلاغة القرآنية ، وبيّنت حال الأرض ومن عليها بلفظتين فقط ، واحدة تدل على غلق عام ، وهي لفظة (الجرز) ، وأخرى تدل على فتح عام ، وهي لفظة (الفتح)[2].

فمن ذا يمكن القول: أنّ لفظة(الفتح) في هذا السياق وظِّفَتْ للدلالة على فتح عام لكلَّ مغاليق الحياة العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها؛ ليَعُمُّ الاستقرار، ويُمَكَّن القائد في مملكته.

ومن الآيات التي دلّتْ على عدم نفع تأخر الإيمان إلى يوم الفتح هي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام :158].

ففي هذه الآية الكريمة تَجِدُ أنّ الألفاظ: **(يوم، ولا يَنْفَعُ، إيمانُها، قُلِ، انْتَظِرُوا، مُنْتَظِرُونَ)** هي من مصاحبات **(يوم الفتح)** في الآية موضوع البحث. وهذه الألفاظ والصِّيغ تَشدُّ الأواصر بيّن المركب **(يوم الفتح)** وبيّن **(آيات ربِّك)** ، ويلحظ أنّ استعمال **(آيات ربّك)**[3] في هذا السياق للدلالة على((الآيات الواقعة (عبارة عن حدث) وليس المقصود بها الآيات التي تتلى أو الآيات المكتوبة.. ما يعني أنّها بوجودها العياني دالة على الله تعالى فكانت الإضافة إلى (ربّ) مع مراعاة أن هدفها إصلاح المعنيين لِمَا في لفظة الرَّب من منحى تربويّ؛ فكان إنكار الصريح الواضح سبباً لتعجيل العذاب أو استحقاقه بموعد، وهم الأخسرين أعمالاً. من هنا سيكون مجيء بعض آيات ربك تعني أمراً عياناً سيحلّ وهو ممّا ينتظر، ويوم تأتي لا ينفع إلا ما سبق من إيمان، والإيمان بهذه الآية عند مجيئها لن يكون نافعاً. الأمر الذي يرجح أن هذه الآية لن تأتي لإقامة الحجة على المعاندين بل تأتي للمحاسبة، فيوم هذه الآية

---

[1] ينظر: تهذيب اللغة: (182/1)(جرز).

[2] ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 152.

[3] على نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[الأعراف 126] فـ(آيات ربنا) هي حادثة واقعة للدلالة على تحول عصا موسى(عليه السلام) إلى حيّة تلقف حبال السحرة وعصيهم .

أشبه بيوم الحساب))[1]. فإتيان بعض آيات ربّك يمثل أمراً عياناً سيحلّ وهو ممّا يُنتظر ، وبمجيئه ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام :158].

المعضدات:

جاء في الروايات المرويّة عن أهل البيت (عليهم السلام) أنّ (يوم الفتح) هو فتح الدنيا على يد القائم (عليه السلام). وعند ذلك لا ينفع أحداً تقرب بالإيمان ما لم يكن مؤمناً قبل الفتح .

ذكر العلامّة السيد هاشم البحراني(ت:1107هـ) ،عن محمد بن سنان، عن بن دراج بسنده ، ((قال: سمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) يقول في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[2] قال: (يَوْمَ الْفَتْحِ) يوم تفتح الدنيا على القائم لا ينفع أحدا تقرب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبعد هذا الفتح موقناً، فذلك الذي ينفعه إيمانه ويعظم الله عنده قدره وشأنه ويزخرف له يوم القيامة والبعث جنانه وتحجب عنه نيرانه، وهذا أجر الموالين لأمير المؤمنين ولذريته الطيبين عليهم السلام))[3].

وفي خطبة طويلة للإمام علي (عليه السلام) جاء في جانب منها : ((... وتخرج لهم الأرض كنوزها ويقول القائم (عليه السلام) : كُلوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ، فالمسلمون يومئذٍ أهلُ صواب للدين ، أُذن لهم في الكلام ، فيومئذ تأويل هذه الآية :﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[4] ،فلا يقبل الله يومئذ إلّا دينه الحق : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[5] ، فيومئذ تأويل هذه الآية :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ يَوْمَ

---

(1) الدلالة القرآنية لـ (إنتظروا ومنتظرون) في ضوء المدونة المغلقة، أ.م. حسن عبد الغني الأسدي، جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية، العميد مجلة فصلية محكّمة، السنة الخامسة - المجلد الثامن –العدد (18)، سنة (2016م): 46.

(2) السجدة:29.

(3) المحجة : 174، وينظر: ينابيع المودة:483.

(4) الفجر: 22.

(5) الزمر :3

الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۞ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾[1]))[2].

ففي يوم الفتح تُخْرجُ الأرضُ كنوزها ؛ لأنه فتح عام ، فيقول لهم الإمام : كُلوا هنيئاً بما أسلفتم بالأيام الخالية .

وروى الشيخ الصَّدوق(ت:381هـ) ، عن علي بن رئاب بسنده ((عن أبي عبدالله (عليه السلام)أنه قال : في قول الله (عز وجل) :﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[3] فقال: الآيات هم الأئمة ، والآية المنتظرة القائم (عليه السلام) ، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف وإن آمنت بِمَن تقدّمه من آبائه (عليهم السلام)))[4]. فممّا تقدّم يظهرُ أنّ المركب **(يوم الفتح)** لا يدلّ على يوم القيامة أو يوم بدر، أو فتح مكة، بقدر ما يدلّ على فتح دنيوي لا تنفع فيه التوبة، فهو فتح معهود بين النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمته؛ ليكون الفَيْصَل بين المؤمنين والكافرين. [والله أعلم].

---

[1] السجدة :27-30.

[2] مختصر بصائر الدرجات، الشيخ حسن بن سليمان الحلي، المطبعة الحيدرية – النجف، ط1 (1370هـ-1950م) :201-202.

[3] الأنعام :158.

[4] كمال الدين: (30/1)، المحجة:69،و ينابيع المودة: 479، وينظر: القطرة من بحار النبي والعترة (عليهم السلام)، السيد أحمد المستنبط، تحق: محمد الظريف، الناشر: الماس – مطبعة: جعفري، ط:6 ،(1430هـ): (496/1).

المطلب الثاني: المركب (أمْرُ اللهِ):

قال تعالى :﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:1].

الدلالة المعجميّة للفظ (أمْر):

بعد إنعام النظر في المعجم العربي لمادة (أ م ر) وما يشتق منّها أتَّضح أنّها تدور في أربعةِ معانٍ:

المعنى الأول: الطلب ، فالأمر: نقيض النّهي[1]، وجمعه أوامر[2] ،فهو ((مصدر أمرته: إذا كلّفته أن يفعلَ شيئاً))[3]، قال ابن فارس: ((وَالْأَمْرُ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ النَّهْيِ قَوْلُكَ افْعَلْ كَذَا. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: لِي عَلَيْكَ أَمْرَةٌ مُطَاعَةٌ، أَيْ: لِي عَلَيْكَ أَنْ آمُرَكَ مَرَّةً وَاحِدَةً فَتُطِيعَنِي))[4]. فهو متضمن لمعنى الطلب.

ويدخل في هذا المعنى((الْإِمْرَةُ وَالْإِمَارَةُ، وَصَاحِبُهَا أَمِيرٌ وَمُؤَمَّرٌ. ... أَمَّرْتُ فُلَانًا، أَيْ: جَعَلْتُهُ أَمِيرًا. وَأَمَرْتُهُ وَآمَرْتُهُ كُلُّهُنَّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْإِمَّرُ الَّذِي لَا يَزَالُ يَسْتَأْمِرُ النَّاسَ وَيَنْتَهِي إِلَى أَمْرِهِمْ))[5].وهذه الاستعمالات كلّها تدور في معنى الطلب .

المعنى الثاني: الأمر واحد من الأمور[6]، ويستعمل بمعنى **الحال**[7]،**والفعل والحادثة**[8]، فيُقال: ((وقع أمرٌ عظيم ، أي : الحادثة))[9]، وقولك : (شاهدتُ أمراً

---

(1) ينظر: العين: (297/8)(أمر)، ومعجم مقاييس اللغة: (137/1)(أمر) ولسان العرب (أمر)، والقاموس المحيط (أمر)، وتاج العروس: (أمر).

(2) فرّق الفيومي بين جمعي الأمر بقوله: ((الْأَمْرُ بِمَعْنَى الْحَالِ جَمْعُهُ أُمُورٌ ...، وَالْأَمْرُ بِمَعْنَى الطَّلَبِ جَمْعُهُ أَوَامِرُ فَرْقًا بَيْنَهُمَا وَجَمْعُ الْأَمْرِ أَوَامِرُ هَكَذَا يَتَكَلَّمُ بِهِ النَّاسُ وَمِنْ الْأَئِمَّةِ مَنْ يُصَحِّحُهُ وَيَقُولُ فِي تَأْوِيلِهِ إنَّ الْأَمْرَ مَأْمُورٌ بِهِ ثُمَّ حُوِّلَ الْمَفْعُولُ إلَى فَاعِلٍ...)) المصباح: (أمر). وقال الزبيدي: ((وَلم يَذْكُر أَحدٌ من النُّحاة أَنَّ فَعْلاً يُجمَع على فَوَاعِلَ، أَو أَنَّ شَيْئا مِن الثُّلاثِيَّاتِ يُجْمَع على فَوَاعِلَ...)). تاج العروس: (أمر).

(3) المفردات في غريب القرآن: (88/1)، مادة: (أمر).

(4) معجم مقاييس اللغة: (137/1) (أمر).

(5) المصدر نفسه: (138/1)(أمر).

(6) ينظر: العين:(297/8) (أمر)، ومعجم مقاييس اللغة: (137/1)(أمر).

(7) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم:(298/10) (أمر)، والمصباح المنير: (أمر).

(8) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (298/10): (أمر)، وتاج العروس: (أمر).

(9) لسان العرب، وتاج العروس: (أمر).

فاجعاً) ، أي: حالاً أو حادثاً فاجعاً ، وقال ابن فارس: ((فَأَمَّا الْوَاحِدُ مِنَ الْأُمُورِ فَقَوْلُهُمْ هَذَا أَمْرٌ رَضِيتُهُ، وَأَمْرٌ لَا أَرْضَاهُ))[1]، أي: هذا فعلٌ رضيتهُ ، وهذا فعل لا أرضَاهُ.

كما يأتي **(الأمر)** في هذا الباب بمعنى **الشأن**[2] ، **والإبداع**[3] ، فيقال : ((أمر فلان مستقيم ، أي: شأنه ...))[4] ، وقال الراغب في مفرداته: ((ويقال للإبداع: أمر، نحو: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾ [الأعراف: 54] ، ويختص ذلك بالله تعالى دون الخلائق وقد حمل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**﴾ [فصلت: 12] ...))[5]. فـ(الأمر) في هذه الفقرة وظِّفَ للدلالة على **قضية أو حادثة أو فعل ما ، أو وصف أو شأن أو ابداع ما،** فهو شامل وعام للأقوال والأفعال[6].

المعنى الثالث: البركة والكثرة والنَّمَاء، من نحو قول الخليل: ((والأَمِرة: البَرَكة. وامرأة أَمِرةٌ، أي: مباركة على زَوْجها. وأَمِرَ الشَّيء، أي: كَثُرَ))[7]، ويُقال:((أَمِرَ مالُه بالكسر، أي كثُر. وأَمِرَ القوم، أي كَثِروا))[8]، وجاء في المحكم((أَمِرَ الرَّجُلُ فهُوَ أَمِرٌ كَثُرَت ماشِيَتُه وآمَرَهُ اللهُ كَثَّرَ نَسْلَه وماشِيَتَه))[9]. **فـ (الأَمِر، والأَمِرة)** تستعمل للدلالة على الكثرة والنَّمَاء.

المعنى الرابع: العلامة والوقت والمَوْعد ، جاء في العين :((الأَمارُ: الموعد))[10]، وجاء في معجم مقاييس اللغة :((الْأَمَارَةُ الْعَلَامَةُ، تَقُولُ اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَمَارَةً وَأَمَارًا... وَالْأَمَارُ أَمَارُ الطَّرِيقِ: مَعَالِمُهُ، الْوَاحِدَةُ أَمَارَةٌ... وَالْأَمَرُ وَالْيَأْمُورُ الْعَلَمُ أَيْضًا، يُقَالُ: جَعَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَمَارًا وَوَقْتًا وَمَوْعِدًا وَأَجَلًا، كُلُّ ذَلِكَ أَمَارٌ))[11]، وجاء في القاموس المحيط:((والأَمارَةُ والأَمارُ، بفتحهما: المَوْعِدُ، والوَقْتُ، والعَلَمُ...))[12].

---

[1] معجم مقاييس اللغة: (137/1)(أمر).
[2] ينظر: المفردات في غريب القرآن: (88/1) (أمر).
[3] ينظر: المصدر نفسه: (88/1) .
[4] لسان العرب: (أمر).
[5] المفردات: (88/1) (أمر).
[6] ينظر: المصدر نفسه(88/1).
[7] العين: (297/8) (أمر).
[8] الصحاح: (581/2)(أمر).
[9] المحكم والمحيط الأعظم:(300/10) (أمر).
[10] العين: (299/8)(أمر).
[11] معجم مقاييس اللغة: (139/1)(أمر)، وينظر: المحكم: (301/10)(أمر) .
[12] القاموس المحيط: (أمر).

فقد وظِّفَ لفظ **(الأَمارَةُ والأَمارُ)** للدلالة على العلامَة والوقت والمَوْعِد.

وذهب أحد الباحثين المعاصرين مُفيداً ممّا ورد في المعاجم العربية من معاني الأمر ومشتقاته إلى:((أنّ معاني الأمر موصولة ببعضها رغم تمايز صيغ ألفاظها؛ فالأمر من الأمور لا يكون إلا بأمر من الأوامر، وقيل : (للأمر) : أمر، باعتبار طلب الفعل... كما قيل له: شأن ، و ((الشأن : الطلب ، من قولهم : ((ما هذا شأني، أي: ما هذا من مطلبي والذي أبتغيه))[1]... و(الائتمار) لا يكون إلا في أمر وبقبول أمر ، وذلك لأن المتشاورين يقبلون أمر بعض[2]بعضاً في أمر من الأمور، وكلّ قوم تناسلوا وتكاثروا (أَمِرَ) أمرهم ، وصاروا ذا (أمير)...))[3]. وخَلُصَ بالقول : ((أنّ هذه المعاني المؤتلفة مَرَدُّها –عند التأمل- إلى أصل واحد ، وهو **الظهور**... وبلمح هذا الملحظ الدلالي المشترك بين صيغ المادة في شتى استعمالها يبدو - في الغالب- أن المادة أُخِذَتْ حسّياً من (الأمار) و(الأمارة) وهي ((معالم الطريق))[4] **لظهورها** وارتفاعها))[5] .

وجَعَل باحثٌ آخر مفردة (الأمر) تعني: حركة تكاملية متكررة ، إذ قال: ((فمفردة أمر تشترك بمعنى آخر هو ما يقارب (القضية)[6] فهل تَجدُ الأصل الذي يَجمع الأمر (الفعل) والأمر(القضية) ؟ إنّها تعبير عن حركة تكاملية متكررة، فالأمر (القضية)هو موضوع متحرك في مساحة واسعة للتكامل ولا يتم إلا بالتكرار ؛ لذلك قال:﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[الروم:4]. فهو متجدد ومتكرر لغاية تكاملية ... وعلى هذا الأساس جاء فعل الأمر الذي هو حدث متكرر لغاية معينة ، فالأوامر الصادرة من الملك هي حدث متكرر الغاية منه تنظيم أمور المملكة(تكامل قانونها) والأمير هو من يقوم بهذا الفعل ولكن على وجه الاستمرار أما الآمر هو الفاعل لفعل الأمر))[7].

فممّا تقدّم يتضح أنّ الباحثة جميلة زيّان قد أشارتْ إلى النتيجة الكبرى لمادة (أ م ر) وهي **الظهور**، وعدّت أنّ هذه ((المادة أُخِذَتْ حسّياً من (الأمار) و(الأمارة) وهي ((معالم الطريق)) لظهورها وارتفاعها))[8]، والواقع أنّ(الأمار) و(الأمارة)

---

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة:(238/3) (شأن).
(2) لعلّ الصواب أن يقول: (بعضهم بعضا).
(3) مفهوم الأمر في القرآن الكريم دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، د. جميلة زيّان: (59/1). [اطروحة].
(4) ينظر: معجم مقاييس اللغة: (139/1) (أمر).
(5) مفهوم الأمر في القرآن الكريم: (59/1-60).
(6) اشارة إلى المعنى المعجمي الثاني، وهو الحادثة، أو القضية، أي: واحد من الأمور.
(7) الحل اللغوي بين القصد والاعتباط، سلام عبد الهادي:(197-198).
(8) مفهوم الأمر في القرآن الكريم :(60/1).

مصداق وليس أصلاً ، بل الأصل الجذر(أمر) الذي اشتقت منه (الأمار) و(الأمارة)، وبعد أن تكاملت قوى الحدث وتكررت كانت نتيجتها الظهور، والأوامر والأمور ما هي إلا تراكم من الأحداث المتكررة غايتها التكامل ، وكذلك**(الأَمِر، والأَمِرة)** تستعمل للدلالة على الكثرة والنَّمَاء؛ لأنّ غايتها التكامل، و**(الائتمار)** وهو التشاور ما هو إلا تراكم من الآراء المتكررة لإظهار رأيٍ متكاملٍ . فمن ذا يمكن القول أنّ لفظ **(أمر)** وظِّفَ للدلالة عن حركة تكاملية متكررة، وإذا ما تَمّتْ ظهرتْ مَعَالِمُها.

الدلالة النحوية:

قال تعالى :﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾[النحل:1].

ورد المركب **﴿أَمْرُ اللهِ﴾** بموقع الفاعلية مسنداً إلى الفعل الماضي **﴿أَتَى﴾**، وهو حدث وقع وحصل حسب الدلالات النحوية، ولكن في هذا التركيب لم تكن دلالته كما هو متبادر إلى الذهن ، بل إنّه حدثٌ لم يقع بعد ، ولكنّه بمنزلة الواقع المتحقق ؛ لذلك قيل إنّه: ((على أحد أمرين يكون «أتى» بمعنى قرب، ويكون «أتى» بمعنى يأتي إلّا أن سيبويه لا يجيز أن يكون فَعل بمعنى يفعل ويجيز أن يكون يفعل بمعنى فعل لأنه يكون محكيّا[1]...))[2].

فَهُم أوَّلوه بمعنى (قَرُب) وهو فعل ماضٍ أيضاً، ولكن لا يدلّ على التحقق والحصول؛ لأنّ دلالته العامّة هي محاولة الاتصال بالمقابل بُغيّة التأثر أو التأثير به[3] ، فهي تُوَجِّهُ المعنى نحو الحال والاستقبال؛ لذا قالوا :إنّ (أتى) بمعنى (قرب) ؛ ليعطوا مُبرراً على توجيه المعنى نحو زمن المستقبل. قال القشيري(ت: 465هـ): ((صيغة أتى للماضي، والمراد منه الاستقبال؛ لأنه بشأن ما كانوا يستعجلونه من أمر الساعة، والمعنى «سيأتي»...))[4]. وجعل ابن عطيّة(ت: 542هـ) استعمال الماضي تأكيداً على صحّة وقوعه في المستقبل، كما في قوله: ((وقولهُ: أَتى على هذا القول إخبار عن إتيان ما يأتي، وصحَّ ذلك من جهة التأكيد، وإذا كان الخبر حقاً فيؤكد المستقبل بأن يخرج في صيغة الماضي، أي كأنه لوضوحه والثقة به قد وقع...))[5].

---

[1] ينظر: الكتاب: (55/3).
[2] عراب القرآن، للنحاس: (247/2).
[3] ينظر: الدلالة المعجمية لـ(قرب) من هذه الرسالة.
[4] لطائف الإشارات = تفسير القشيري: (285/2).
[5] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:(377/3).

ومِنهم مَنْ أبقى (أتى) على دلالة المضي ويقدّر مصدراً محذوفاً!، كما جاء في البحر المحيط ((وَأَتَى قِيلَ: بَاقٍ عَلَى مَعْنَاهُ مِنَ الْمُضِيِّ، وَالْمَعْنَى: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ وَعْدًا فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ وُقُوعًا. وَقِيلَ: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ، أَتَتْ مَبَادِئُهُ وَأَمَارَاتُهُ))[1]. وبعض النحويين يَجعلُ موضوع (الوعد أو الوعيد) يُصْرِفُ دلالة الفعل الماضي إلى المستقبل[2] ، ((ومن ذلك الإخبار عن الأحداث المستقبلية مع قصد القطع بوقوعها))[3] فهي بمنزلة الماضي في تحققها.

وذهبتْ بعض الدراسات المعاصرة إلى أبعد من ذلك ، فقد تابعوا استعمالات الفعليْن **(أتى، وجاء)** في القرآن الكريم ، وخرجوا بنتيجة مفادها :((إنّ تدبر الاستعمال القرآني لفعلي((**المجيء**)) و((**الإتيان**)) في سياقات ورودهما مسنديْن إلى أمر الله ، يهدي إلى اختلاف دقيق بينهما في الدلالة ، وهو أنّ المجيء تصاحبه معاني : اليقين ،والعلم ، والتصديق، وتحقق الوقوع[4]، والإتيان تحيط به معاني: الشك ، والغموض ، والتكذيب والغيب[5]))[6] .

فيبدو أنّ دلالة (المجيء) :هي((نهاية حركة الفعل))[7] في حين يكون (الإتيان) : حركة مستمرة لم تنتهي بعد [8] ، فهنا تكمن خصيصة استعمال الفعل (أتى) بدلاً من الفعل (جاء) . وهو استعمال ينسجم مع قوله :﴿ **فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾ النّهي عن الحال والاستقبال .

والإضافة في ﴿**أَمْرُ اللهِ**﴾ إضافة محضة حسب تقسيم أبن هشام (ت761هـ)[9]، ((والإضافة المحضة تنقسم إلى قسمين : إضافة اسم إلى اسم غيره بمعنى اللام وإضافة اسم إلى اسم هو بعضه بمعنى ((من))[10]. وعلى هذا تكون الإضافة هنا

---

[1] البحر المحيط في التفسير: (503/6).
[2] ينظر معاني النحو:(272/3).
[3] معاني النحو: (272/3).
[4] لذلك عبّر في آيات هود عن مجيء العذاب فعلاً وتحققه. (ينظر: هامش مفهوم الأمر في القرآن الكريم): (211/1).
[5] النحل:33، والبقرة :108، والتوبة :24. فالإتيان بالأمر في هذه الآيات غير آتٍ، لم يحدد زمانه. (هامش مفهوم الأمر في القرآن الكريم): (211/1).
[6] مفهوم الأمر في القرآن الكريم: (211/1).
[7] الانفكاك، سلام عبد الهادي : 302.
[8] ينظر: المرجع نفسه.
[9] ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، أبن هشام :344.
[10] الأصول في النحو : (5/2).

بمعنى (اللام)، أي :(أمْرٌ لله)[1] ، وهذا ينسجم مع قوله تعالى:﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾[الأعراف:54]، **وقوله :**﴿ **بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا**﴾[الرعد:31] . فالمضاف أكتسب تعريفاً بدرجة عالية من المضاف إلية، ((والتعريف بالإضافة كالتعريف بـ(أل)، قد يكون للعهد وقد يكون للجنس))[2]، فالتعريف هنا عهدي ؛ لأنّه دالٌّ على واحدٍ بعينه ، وليس العموم، وهذا إنْ دلّ على شيء فهو يدلّ على معرفة المشركين وغيرهم بـ **(أَمْر الله)** ؛ لذلك كانوا يستعجلون به استعجالاً استهزائياً ، ويستفهمون عنّه استفهاماً إنكارياً، وإلى هذا أشار العلامّة الطباطبائي في قوله: ((ولم تقع في كلامه حكاية استعجال من المؤمنين في أمرٍ، بل المذكور استعجال المشركين بما كان يذكر في كلامه تعالى من أمر الساعة وأمر الفتح ، وأمر العذاب ...))[3]، وهذا يدلّ على مدى الترابط المعنوي والاقتران اللفظي في الاستعمال القرآني لـ (أمر الله) و (السّاعة) و (يوم الفتح) و (أمر العذاب) وهذا ما سنبحثه في الاستعمال القرآني لـ(أمر الله) .

الاستعمال القرآني للمركب (أمر الله) ومصاحباته:

ذُكِرَ المركب﴿**أَمْر اللهِ**﴾ بهذه الصيغة في القرآن الكريم (13) مرة[4] ، وبعد التَتَبع والتدبّر لأهم الملامح والسّمات الدلاليّة لهذا المركب في موارده القرآنية اتضح ما يأتي:

أولاً: يأتي مع الحوارات والقضايا الاحتجاجية ليكون الفيصل فيها والحاكم ، كما في قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾ [النساء:47] ، وقوله: ﴿ **لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ [التوبة :48]

---

[1] في بعض الاستعمالات لا يمكن وضع حرف في معنى الإضافة كـ (يوم الأحد)، فالإضافة أوسع من أنْ تكون بمعنى حرف. (ينظر: شرح الرضي على الكافية: (207/2)، ومعاني النحو: (103/3).

[2] معاني النحو: (107/3).

[3] الميزان في تفسير القرآن : (203/12).

[4] في النساء:47،والتوبة: 48 و106، وهود :43 و73، والرعد:11، النحل:1، والاحزاب:37 و38، وغافر :78، والحجرات:9، والحديد:14، والطلاق :5.

، **وقوله :**﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[النحل:1]. فأمر الله يمثل الفيصل والحاكم في القضايا الاحتجاجية.

ثانياً: ورد بمعنى العذاب الفاني للكفر والعناد، كالعذاب الذي أصاب قوم نوح (عليه السلام) ، كما في قوله تعالى:﴿ **قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ. . .**﴾ [هود:43]. ولِهذا استشهدوا بأنّ (أمر الله) في آية البحث يعني العذاب ، كما في قول الزجاج: (((أَمْرُ اللَّهِ) ما وَعَدهم الله به من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب، والدليل على ذلك قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾ [1] أي :جاء ما وعدناهم به، وكذلك قوله: ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا**﴾[2] وذلك أنهم استعجلوا العذاب واستبطأوا أَمْرَ الساعة...))[3]، و الحقيقة أنّهم لم يستبطئوا (الساعة) بل استعجلوا بها كما سيتضح لاحقاً.

فـ (أمر الله) كان بمثابة القرار أو الحكم بنزول العذاب على قوم نوح (عليه السلام) ، حين سَخِروا من نبيّهم ولم يؤمنوا .

ثالثا: جاءَ بشارة تُمَثّلُ حُكماً خاصاً خارقاً للعادة ، وهذا ما حصل مع سارة زوجة إبراهيم (عليه السلام)،لمّا بشّروها بإسحاق (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۞ قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۞ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** ﴾ [هود:71-73]. فهي مُتَعجّبة ممّا بُشِّرَتْ به ((قيل: بُشِّرَتْ ولها ثمان وتسعون سنة، ولإبراهيم مائة وعشرون سنة إنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ أن يولد ولد من هرمين، وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله. وإنّما أنكرت عليها الملائكة تعجبها

---

[1] هود: 40.
[2] يونس :34.
[3] معاني القرآن، للزجاج: (189/3).

فقالُوا: أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لأنّها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات...))[1]. فأمر الله كان بمثابة حُكماً خاصاً معجزاً أراده الله فأجراه.

رابعاً : ذُكِرَ (أمر الله) مقترناً بفعل (الظهور) ماضياً إخباراً عن المنافقين في إيقاع الفتنة في المسلمين تفريقاً لشملهم بصريح قوله تعالى :﴿ **لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ [التوبة :48]. فظهور أمر الله وبيانه كان بمثابة الحكم والبتْ في القضيّة وهم كارهون.

خامساً: جاء دالاً على الفرائض والأحكام الشرعيّة ، كما في قوله تعالى:﴿**اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۞ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** ﴾ [الطلاق:4-5]. قال الطبري في معنى هذه الآيات أي:((هذا الذي بيَّنتُ لكم من حكم الطلاق والرجعة والعدّة، أمر الله الذي أمركم به، أنزله إليكم أيها الناس، لتأتمروا له، وتعملوا به))[2]. فأمر الله في هذه الآية دلّ على الفرائض والأحكام الشرعيّة، على اعتبار أنّها مجموعة من الأحكام التي غايتها التكامل.

سادساً: اشترك (الوعد) و(أمر الله) في التركيب (وكان ... مفعولاً) : إذ لَمْ يَستعمل القرآن الكريم لفظ في هذا التركيب غير لفظ (الوعد) ، و (أمر الله) ، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا**﴾ [الإسراء:5] ، وقوله: ﴿**كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا**﴾[المزمل:18]. وهذا يناظر قوله تعالى :﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾ [3] .

وموضوع (الوعد الإلهي) في غاية الأهمية ، حتى أنّ الكافرين استفهموا عنّه كثيراً، وقد أرعبهم ،من نحو قوله:﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [4] ، فهم

---

(1) الكشاف: (411/2).
(2) جامع البيان في تأويل القرآن: (456/23).
(3) النساء :47 ، والأحزاب:37 .
(4) يونس:48، والأنبياء:38، والنمل:71،وسبأ:29، ويس:48، والملك:25.

يستعجلون بـ(الوعد) كما يستعجلون بـ(أمر الله) ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل:1].

وقد تصاحب (الوعد) مع موضوع الاستعجال في قوله تعالى:﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[الأنبياء:37-38] ، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل :71-72] . وهذا يدلّ على مدى الترابط بين (الوعد) و (أمر الله).

وموارد مجيء (الوعد) في التركيب ﴿وكان ... مفعولاً﴾ هما موردان[1]: أحدهما قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[الإسراء:5-7].

والبحث في هذه الآيات لمعرفة ﴿ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ و ﴿ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يحتاج إلى إعادة النّظر في كثيرٍ من الأقوال ، ولكن نكتفي بما ذكره الباحث كامل سليمان في قوله: ((وقد توهَّم أكثر المفسّرين فاعتبروا أن المرّة الثانية لإبادة اليهود هي دخول بُخْتُنَصَّر المذكور، مع أن سرد الآيات لا ينطبق على ضربته لهم ...))[2] وينتهي بالقول: ((فهو يخاطبهم ويُنذرهم بشيء سيحصل لهم في مستقبل حياتهم لا في صدر الإسلام كما توهّم المتوهمون . والوعيد المتكرّر في الآيات يدلّ على وقوع أمر سيحدث لهم فيما يُسْتَقبل ، أي بعد ظهور الإسلام لا قبله...))[3]، و إلى هذا الفهم ذهب الباحث مجيب سعد ،وقد بحثها معجميّاً ،وعند المفسرين ، وفي الاستعمال القرآني،

---

(1) الإسراء: 5، والمزّمل :18.

(2) يوم الخلاص في ظل القائم، كامل سليمان :507.

(3) المرجع نفسه:508.

وخرج بنتيجة مغايرة لِمَا ذهب إليه جلّ المفسّرين، و(**وعدُ الآخرة**) عندهُ يدلّ على وعدٍ مستقبلي لم يقع بعد ، ويكون على يدِ وليّ من أولياء الله [1] .

سابعاً: تصاحب لفظ الاستعجال مع المركب (أمر الله) ،وجاء بصيغة المضارع المنهي عنّه الدّال على الحال والاستقبال ﴿ **فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ ، ولم يَذكر القرآن الكريم الاستعجال مع (يوم القيامة) ،بل جاء مع (الوعد)كما تقدّم ،ومع (العذاب) ، و(السّاعة) ، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ۞ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ** ﴾ [يونس:50-51]، وقال تعالى :﴿**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾ [الشورى :17-18].

وقد استدلّتْ طائفة من المفسرين على أنّ (أمر الله) يعني (يوم القيامة) استناداً إلى آيات السّاعة من نحو قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ**﴾ [النحل:77] وغيرها . و(الساعة) المعرّفة بـ (أل) لا ترادف يوم القيامة كما تبيّن في الفصل الأول[2].

فممّا تقدم يتضح ((أن في اطراد إضافة اسم الجلالة في صورته الظاهرة إلى الأمر في صيغته المصدرية، إيماء إلى أنّ المأمور به من شؤون الدين إنّما يُكلف به العباد بأمر الاسم الأعظم؛ ذلك الأمر الذي نزل من السماء هدى لتنوير الأرواح، وتوجيه الإنسان نحو الرقي والكمال، ومنحه السعادة في الدارين. ومن ثم فهو أمر دائم لا يزول ما دامت السموات والأرض ، وقائم لا يحول حتى يأتي أمر الله ولو كره الكافرون))[3] .

وكما اتضح في الفقرات السّبع أعلاه أنّ (أمر الله) أرتبط بالحكم خاصاً كان أم عاماً؛ لأنَّ ((أول الأوامر وآخرها وأكبرها هو (أمر الله) المضاف لاسمه الأكبر لفظ الجلالة. وهذا الأمر هو الأمر الكلي الذي لا أكبر ولا أوسع منه))[4]. وهناك مستويات أخرى للأمر وهذا واضح من قوله تعالى:﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾[الدخان:4]

---

(1) ينظر: ألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم: 171- 187.
(2) ينظر: لفظة (الساعة) من هذه الرسالة:26-35.
(3) مفهوم الأمر في القرآن الكريم: (112/1).
(4) أصل الخلق: 14.

،وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر:4] ، ولكنّ (أمر الله) هو الأمر الكلي .

وقد تَتَبعتْ الباحثة جميلة زيّان معاني (أمر الله) وخَلُصَتْ بالقول بأنّ هذه المعاني: ((في جملتها تؤول إلى معنى كلي يَجمعها، و**هو: الشأن الربّاني المتعلق بالخلق تدبيراً وتكليفاً**. وأن هذا المعنى الجامع لتصرفات الألوهية وإجراءات الربوبيّة ، ليدلّ دلالة واضحة على أنّ إضافة الأمر إلى اسم الجلالة **إضافة حقيقية** ؛ لأن الأمر كله لله ،والآمر الحقيقي المطلق المالك لأمر التدبير والتكليف هو الله جلّ جلاله ، وجميع مخلوقات الكون تنفذ بكمال الامتثال أوامره التي تصدر مباشرة من فوق عرش ربوبيّته ؛ فيُجري بها الأمور العظام ويُكَوّن الحوادث الجسام ، دون حجاب الأسباب وتحت ستارها ،**ومن وراء مخلوقات ذوي مقام ، في مقدمتها الملائكة والأنبياء**))[1].

فالآمر والفاعل الحقيقي في هذا الكون هو الله تعالى ، وهذا يُعطي مسوّغاً للاحتمال أنْ يكون (أمر الله) في آية البحث يمثل: الوعدُ بفتحٍ أو نصرٍ ، أو مجيء مخلوق ذو مقام عند الله يُنَفذُ حكم الله فيهم ، قال العلّامة الطّباطّبائي : ((و مقتضاه أن يكون الأمر الذي أخبر بإتيانه أمراً يُظّهر ساحة الربوبيّة من شركهم بحسم مادته ... فالمراد بالأمر ما وعد الله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والذين آمنوا وأوعد المشركين مرة بعد مرة في كلامه أنّه سينصر المؤمنين ويخزي الكافرين ويعذبهم ويُظهر دينه بأمر من عنده كما قال : ﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** ﴾[2]...))[3]. فأمر الله في آية البحث يُشير إلى حدث عظيم يكون حاكماً وحاسماً في عالم الدنيا، كما حدث في الأمم السابقة، وإلى هذا الفَهم أشارت طائفة من الأحاديث والروايات الشريفة.

المعضدات:

ذكر الشيخ الصَّدوق في كمال الدين : ((عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب قال : قال أبوعبد الله (عليه السلام) : أوّل من يبايع القائم (عليه السلام) جبرئيل ينزل في صورة

---

[1] مفهوم الأمر في القرآن الكريم: (218/1).
[2] البقرة: 109.
[3] الميزان في تفسير القرآن: (203/12).

طير أبيض فيبايعه ... ثمَّ ينادي بصوت طلق تسمعه الخلائق ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[1]))[2].

وعن عبد الرحمن بن كثير بسنده((عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ قال : هو أمْرُنا أمر الله عزّ وجل فلا يستعجل به يؤيده بثلاثة أجناد : الملائكة والمؤمنين والركب ، وخروجه كخروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذلك قوله : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾[3]))[4].

فالذي يبدو أنّ **(أمر الله)** في آية البحث مُتَمَثِل بخروج القائم المنتظر (عليه السلام)، وقد استعجل المشركون به مستهزئين غير مؤمنين، والله سبحانه لا يَعجل لعجلهم؛ بل جعل لهذا الأمر غاية ينتهي إليها، وهذا ما تؤكِّده بعض الروايات من نحو ما ذكره الشيخ الكُليني عن عبد الرحمن بن كثير بسنده، ((قال: كنتُ عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ دخل عليه مِهْزَمٌ، فقال له: جعلت فداك: أخبرني عن هذا لأمر الذي ننتظر، متى هو؟ فقال : يا مِهْزم كَذَبَ الوَقَّاتُون، وهلك المستعجلون، ونجا المُسَلِّمون))[5] .

وعن إبراهيم بن مِهْزم بسنده ، ((عن أبيه ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ذكرنا عنده ملوك آل فلان فقال : إنّما هلك الناس من استعجالهم لهذا الأمر، إنّ اللهَ لا يعجلُ لعجلةِ العبادِ ،إنّ لهذا الأمرِ غايةً ينتهي إليها ، فلو قد بلغوها لم يستقدموا ساعة ، ولم يستأخروا))[6] .

فهذه الروايات قد ربطت بيّن الأمر والانتظار والتوقيت والاستعجال، وأوضحتْ أنّ مصيرَ المستعجلين الهلاكُ؛ لأنّ لهذا الأمر غاية ينتهي إليها، وأنّ الله لا يَعجل لعجلة العباد، وهذه الألفاظ تدلّ في سياقها ومضمونها على انتظار الأمر، والتسليم له، دون استعجالٍ أو ريب. فسبحانه أدرى بمصلحة العباد من أنفسهم لأنفسهم.

---

(1) النحل :1.
(2) كمال الدين وتمام النعمة :(608/2) ، والمحجة: 114،و يوم الخلاص في ظل القائم(عج): 268.
(3) الأنفال: 5.
(4) الميزان في تفسير القرآن: (223/12)، وعوالم البيان في مهدي القرآن: 204.
(5) أصول الكافي: (275/1).
(6) أصول الكافي: (276/1).

المبحث الثاني

المركب الوصفي

المطلب الأول / المركب (فَتْحٌ قَرِيبٌ):

قال تعالى :﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:13].

الدلالة المعجميّة لـ (فتح، قريب):

أولاً / لفظ (فتح)[1] .

ثانياً / لفظ (قريب):

النظرة الأولى لكثير من الألفاظ توقع القارئ في الوهم ، أنّ هذه اللفظة تُعد من المشترك اللفظي أو من الترادف (حسب المتفق عليه) وهذا ممّا يؤدي الى ضياع الحقيقة أو الحكم الشرعي أو الحادثة التي يَروم الخطاب بيانّها الى النّاس ، ثم أنّ لفظة **(قرب)** وما يشتق منها في المعجمات اللغوية لها دلالات عدّة منها :((القُرْبُ ضد البعد، والاقتِرابُ الدنو، والتَقَرُّبُ: التدني والتواصل بحق أو قَرابةٍ))[2]. والقُرْبانُ: ((ما تَقَرَّبْتَ به إلى الله تبتغي به قُرْباً ووسيلة))[3]. فالقربان: فعلٌ مقصود ومخطط له للاتصال بالله ﷻ . ويُقال:((فلان يقرب أمراً أي يعزوه بقول أو فعل))[4]، فهو يقصد الصلة بهذا الأمر .

ومنه أيضاً ((قرُب الشيء بالضم يقرب قُرباً، أي دنا. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[5] ولم يقل قريبة، لأنّه أراد بالرحمة الإحسان، ولأنَّ ما لا يكون تأنيثه حقيقيًّا جاز تذكيره))[6]، ولفظ (قريب) يؤنث ويذكر؛ إذا كان بمعنى المسافة ، و يؤنث إذا كان بمعنى النّسب[7] ، و((القَربُ: أَن يَرعَى القومُ بَينهم وَبَين المَورِد،

---

(1) ينظر: الدلالة المعجمية للفظ (فتح) من هذه الرسالة:88-90.
(2) العين: (153/5) (قرب).
(3) العين: (153/5)(قرب)، وينظر: تهذيب اللغة: (110/9)(قرب).
(4) العين:(154/5) (قرب).
(5) الأعراف: من الآية 56.
(6) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:(198/1) (قرب).
(7) ينظر: معاني القرآن، للفراء: (380/1-381).

وَفِي ذَلِك يَسِيرُونَ بعضَ السّير، حَتَّى إذا كَانَ بَينهم وَبَين المَاء ليلةٌ أَو عشيةٌ عجَّلوا فقَربوا يَقربُون قُرْباً، وَقد أقرَبوا إبلَهم، وقَرَبَت الْإِبِل))[1]. فالأبل قاصدة في سيرها الاتصال بالماء وهو المَورِد.

وتأتي بمعنى الصلة بين الناس (الأرحام) فيُقال :((فُلَانٌ ذُو قَرَابَتِي، وَهُوَ مَنْ يَقْرُبُ مِنْكَ رَحِمًا. وَفُلَانٌ قَرِيب ، وَذُو قَرَابَتِي. وَالْقُرْبَةُ وَالْقُرْبَى: الْقَرَابَةُ . وَالْقِرَابُ: مُقَارَبَةُ الْأَمْرِ))[2]. ومقاربة الأمور هي محاولة ربط بعضها ببعض .

فـ (قرب) إذن تعني(دنا)، والقرب نقيض البعد مكانياً و زمانياً، والنعت: قريب[3]، والتقرب والتدني التوصل الى الشيء ، وتأتي بمعنى الصلة بين الناس (الارحام)، والسفينة الصغيرة يُقال لها : قارب، والجلد الذي يُوضع فيه السيف يُطلق عليه: قِراب . وغيرها من المعاني التي دلّت عليها لفظة (قرب) و ما يشتق منها .

فـ(قرب) لم تقتصر على البعد الجغرافي لقياس المسافات البينية أو على البعد الزمني للفترات الزمنية أو كلا الاتجاهين ؛ بل هي : محاولة للاتصال المقصود لغرض التأثير بالمقابل سلباً أو ايجاباً .

فمثلاً قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ** ﴾[البقرة :35] . فالتقرّب من الشجرة ليس هو الوقوف بجانبها أو ملامستها ، بل قصد ذات الشجرة والتحسس بها ؛ لذلك جاء النّداء حينما ذاقا من الشجرة وليس عند القطف أو الوقوف بجوارها . فآدم عليه السلام أراد الاتصال بالشجرة الميمونة .

وقوله تعالى : ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ** ﴾ [الاسراء:34].فهو ليس عدّ مال اليتيم أو حفظه أو ملامسته بل هو الاتصال المقصود بمال اليتيم وقصد الأرباح لغير صالح اليتيم .

وقوله :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾[النساء:43].

المقصود هو الخوض في مقدماتها وأركانها عن سابق نية وتخطيط، ولمّا كانت الصلاة هي معراج المؤمن فوجب التوجّه الى الله بتركيز ووعي لكلِّ ألفاظ الصلاة، بتوجّه روحي وجسدي فإذا كان المرء نعساً أو مغلوباً عليه من مرض أو همّ شديد بحيث لا يعلم ما يقول فالأولى تأخير الصلاة حتى يفيق.

---

(1) تهذيب اللغة: (109/9) (قرب).
(2) معجم مقاييس اللغة: (80/5)(قرب).
(3) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: (5460/8).

ومفهوم السُكْر مفهوم عام غير محدد بشرب الخمر؛ بل أي شيءٍ يغلب على العقل كالنّعاس أو المرض الشّديد ، والسكر هنا :هو النّعاس الشّديد (السكر من النوم).[1]

ومن ذا يتضح معنى (قرب) هو التوجه والاندفاع ومحاولة الاتصال المقصود والمخطط له عن دراية.

فالقُرْبُ في المسافات المكانية، والفترات الزمانية غرضه الاتصال بهما، والقُربان: مقصود ومخطط له، غرضه الاتصال بالمقابل سلباً أو ايجاباً، والقَرَابة: هي اتصال مقصود بين الأرحام، فالأقرباء مشتركون في الخروج من رحم واحد، فالرحم هو القريب والأقرباء هم الأرحام. والشاعر يكتب قصيدته تقرباً إلى الخليفة، محاولاً الاتصال به سلباً أو ايجاباً، وهكذا.

ويُستَشفُ ممّا تقدّم أن لفظ **(قرب)** لا يختص بالبعد المكاني أو الزّماني، أو كلاهما بل هو: محاولة الاتصال بالآخر بقصدٍ لغرضِ التأثر أو التأثير به سلباً أو ايجاباً.

الدلالة النحويّة:

قال تعالى:﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف :13].

هذه الآيةُ الكريمةِ مُتَصِلَةٌ بالآيات السّابقة لها منّها قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ... ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[الصف:10-12]. وهذا الاتصال جعل أهل العربية يختلفون في :﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا ﴾ ولهم فيها رأيان :**الأول:** إنّ قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى﴾ في موضع خفضٍ عطفاً على قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾، أي بمعنى : تجارة أخرى، وإلى هذا ذهب الأخفش الأوسط سعيد(ت215هـ) والزجاج، وأجاز الزجاج أن تكون في موضع رفع على الابتداء [2].

---

[1] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: (377/8).

[2] ينظر: معاني القرآن، للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة :(2 /541)، ومعاني القرآن، للزجاج: (166/5).

والرأي الثاني: قالهُ الفرّاء إنّها :((في موضع رفع أي :ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة ، ثُمَّ قَالَ: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ : مفسّر للأخرى))[1] .

وبرأي الفرّاء أخذ الطبري كما في قوله : ((والصواب من القول في ذلك عندي القول الثاني، وهو أنّه معنّي به: ولكم أخرى تحبّونها، لأن قوله: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ مبيّن عن أن قوله: ﴿وَأُخْرَى﴾ في موضع رفع...))[2]. ورجَّحهُ النّحاس (ت: 338هـ) في قوله: ((فأما قول الأخفش سعيد: إنّ وَأُخْرى في موضع خفض على أنه معطوف على تجارة فهو يجوز، وأصحّ منه قول الفراء: إنّ ﴿أخرى﴾ في موضع رفع بمعنى ولكم أخرى يدلّ على ذلك نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ بالرفع ولم يخفضا وعلى قول الأخفش الرفع بإضمار مبتدأ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أي بالنصر والفتح))[3]. وأكّده الزمخشري بقوله: ((وَأُخْرى تُحِبُّونَها ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم، ثم فسرها بقوله :﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾...))[4] .وضعّف ابن عطيّة قول الأخفش الأوسط كما في قوله : ((وَأُخْرى قال الأخفش :هي في موضع خفض على تِجارَةٍ ... وهذا قول قلق، قد ردَّ عليه ناس، واحتج له آخرون، والصحيح ضعفه، لأن هذه **(الأخرى)** ليست ممّا دلّ عليه إنّما هي ممّا أعطى ثمناً وجزاء على الإيمان والجهاد بالنفس والمال...))[5].

والذي يبدو ممّا تقدّم أنّ قوله : ﴿ وَأُخْرَى﴾ في موضع رفع ،أي: ولكم خلة أخرى .

وترجيح هذا المعنى ((لأجل رفع (نصرٌ) و (فتحٌ) على البدل من (أخرى)، فيكون المعنى على قول الفراء إنّه وعدهم على إيمانهم وجهادهم بخلتين: واحدة في الآخرة وهي غفران الذنوب ودخول الجنّات والمساكن الطيبات في جنّات عدن، والأخرى في الدنيا، وهي النصر والفتح والغنيمة، فتقف على مذهب الأخفش على ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ وتبتدئ ﴿ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾ ، أي: هو نصر، ولا تقف على قول الفراء، لأن

---

[1] معاني القرآن، للفراء: (154/3).
[2] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (364/23).
[3] اعراب القرآن، للنحاس: (278/4).
[4] الكشاف: (527/4).
[5] المحرر الوجيز: (304/5).

(نصراً بدلٌ) من " أخرى ". ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ المؤمنين﴾ أي: وبشر يا محمد المؤمنين بنصر من الله لهم وفتح عاجل))[1] يكون في الدنيا.

فجملة ﴿ وَأُخْرَى﴾ جملة اسمية معطوفة على جملة فعلية وهي قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ...﴾[الصف:12] ، ((وَجِيءَ بِالْإِسْمِيَّةِ لِإِفَادَةِ الثُّبُوتِ وَالتَّحَقُّقِ. فَـ أُخْرى مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: لَكُمْ مِنْ قَوْلِهِ: يَغْفِرْ لَكُمْ. وَالتَّقْدِيرُ: أُخْرَى لَكُمْ، وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْخَبَرَ قَوْلَهُ: نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ))[2]. وهذا المعنى هو النتيجة، أي: ربحُ تجارةِ الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.

فالآيات السابقة واللاحقة لآية البحث تَحثُّ على الجهاد في سبيل الله وتَطلبُ أنصاراً إلى الله كما في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[الصف:14].

فالجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس نَتيجَتُهُ النّصر، ونتيجَةُ النّصر الفتح، ونُعِتَ هذا الفتح بالقريب وهو بشارة للمؤمنين؛ لأنّ هذا الفتحُ لابدَّ أن يَتَصلَ به المؤمنون فهو أمرٌ مقصودٌ ومخططٌ له بَشّرَتْ به الرسالاتُ والأديانُ السابقةِ، كما بَشّرَ به القرآنُ الكريمِ.

---

[1] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: (7444/11).

[2] التحرير والتنوير: (195/28-196).

الاستعمال القرآني لـلمركب (فتحٌ قريبٌ) ومصاحباته:

ذكر القرآن الكريم المركب الوصفي (فتح قريب) ثلاث مرات[1] ،وقد استعمله في مواطنه الثلاثة دالاً على الاستقبال، ففي قوله تعالى :﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح:18]. جاءتْ الأفعال بصيغة الماضي (لَقَدْ رَضِيَ، فَعَلِمَ، فَأَنْزَلَ، وَأَثَابَهُمْ)؛ ولكن هل أن المركب ﴿ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ حصل وتحقق؟ كلا ، بل الإثابة هي التي تحققتْ، والفتح القريب كان بمنزلة الحاصل المتحقق . قال الطبري في قوله تعالى: ﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أي:((وعوّضهم في العاجل ممّا رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها فتحاً قريباً، وذلك فيما قيل: فتح خيبر))[2]. فهو لم يحصل حين المبايعة كما حصل (الرضى ، والعلم ، وإنزال السكينة). والذي يبدو أنّ دلالة ﴿قريباً﴾ كان لها الأثر الواضح في توجيه دلالة المركب على الاستقبال .

أمّا قوله تعالى :﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح :27].

فالمركب ﴿ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أيضًا دال على المستقبل ، وقيل أنّ هذا الفتح هو : صلح الحديبية أو فتح خيبر[3].

ومن ذا فالمركب﴿ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يختلف عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[الفتح:1]. الذي يتحدّث عن فتحٍ وقع في الماضي فالنعت في هذه الآية ﴿ مبينًا﴾

---

[1] الفتح:18،و:27،و الصف:13.
[2] جامع البيان في تأويل القرآن: (228/22).
[3] ينظر: معاني القرآن، للفراء: (67/3)، و جامع البيان في تأويل آي القرآن: (259/22)، والكشاف : (346/4).

وليس (قريبًا)، فلو قال تعالى : (إنّا فتحنا لك فتحًا قريبًا) لكانت الدلالة مبهمة وركيكة ، وعلى الرغم من ذلك جعلوا هذه الآية﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾[الفتح:1]. دالة على الاستقبال ، وأنّ هذا الفتح هو صلح الحديبية وقيل: فتح مكة[1] ، واستدلّ الطبري بدلالة سورة النصر على صحة تفسيره هذه الآية[2] ، وبرّر الزمخشري علّة مجيئها بالماضي بقوله: ((وجيء به على لفظ الماضي على عادة ربِّ العزة سبحانه في أخباره ، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة...))[3]. وهذا الأمر فيه نظرٌ ، فالآية الأولى من سورة الفتح نزلت قبل فتح مكة وصيغتها بالماضي ، وسورة النصر نزلت بعد فتح مكة وصيغتها مستقبلية ، فكيف وُفِّقَ بينهما ؟!! وهل أنّ سورة النصر تحدّثت عن فتح مكة ؟ أم أشارت إلى فتحٍ مستقبلي على ضوء صيغتها المستقبلية ؟ .

الفتح في سورة النصر:

خلاصة أقوال أكثر المفسرين في معنى سورة النصر هي: إذا جاء نصر الله إظهاره إياك على أعدائك ، والفتح- فتح مكة ، وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم – فيدخل الناس أفواجاً في دين الله ، بشر الله نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم) بفتح مكة ، وتحققت البشارة وفيها معجزة لأنّها إخبار بالغيب[4].

وهذا المعنى يتعارض مع الأدلة التاريخية التي ذكرها المفسّرون أنفسهم وتنقضه الأدلة اللغوية والعقلية أيضًا. فمن الأدلة التاريخية ما جاء في أسباب نزول القرآن بأنّها ((نَزَلَتْ فِي مُنْصَرَفِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ وَعَاشَ بَعْدَ نُزُولِهَا سَنَتَيْنِ. ... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ**﴾ قَالَ: "يَا عَلِيُّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَ يَا فَاطِمَةُ قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا"))[5]. وقال الزمخشري: أنّها((نزلت بمنى في حجة الوداع، فتعد مدنية، وهي آخر ما نزل من السور...))[6]، وذكر القرطبي أنّها :((مَدَنِيَّةٌ

---

[1] ينظر: معاني القرآن ، للفراء : (64/3)، و جامع البيان في تأويل آي القرآن: (197/22).
[2] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: (197/22).
[3] الكشاف: (332/4).
[4] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: (667/24-668)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): (634/10)، في ظلال القرآن: (3994/6).
[5] أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد ، النيسابوري: (468/1).
[6] الكشاف : (4 /810).

بِإِجْمَاعٍ. وَتُسَمَّى سُورَةَ (التَّوْدِيعِ). وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ. وَهِيَ آخِرُ سُورَةٍ نزَلَتْ جَمِيعًا...))[1]. فسواء كانت مدنية أم مكية فهي نزلت بعد فتح مكة .

ولمّا كان نزولها بعد فتح مكة ما كان لهم إلّا أن يقلبوا زمنها إلى الماضي بتغيير أدواتها وألفاظها اللغوية ، جاء في تأويلات أهل السنّة: ((...هذا لا يُحتمل؛ لأن فتح مكة كان بعد الهجرة بثماني سنين، ونزول هذه السورة كان بعد الهجرة بعشر سنين، ولا يُقال للذي مضى:﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، ولكن أراد سائر الفتوح التي فتحها له، أو كلام نحو هذا، ولكن يحتمل أن يكون قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ يعني: إذ جاء. وجائز ذلك في اللغة، وفي القرآن كثير " إذا " مكان " إذ "، فإن كان على هذا فيستقيم حمله على فتح مكة؛ على ما قاله أُولَئِكَ. أو يكون قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، أي: قد جاء نصر الله))[2].وجاء في بحر العلوم ((يعني: إذا أتاك نصر من الله تعالى على الأعداء من قريش وغيرهم، وَالْفَتْحُ يعني: فتح مكة والطائف وغيرها...))[3]، وقال القرطبي : ((وإذا بِمَعْنَى قَدْ، أَيْ قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ، لِأَنَّ نُزُولَهَا بَعْدَ الْفَتْحِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ معناه: إذا يجيئك))[4]. فهل تَحْتَمِلُ السورة إلى كلِّ هذه التأويلات والتقديرات التي قَلَبَتْ المراد من الخطاب.

فالخطابات القرآنية تكون عامّة وشاملة لكلِّ زمان ومكان ، وإذا كانت السورة تشير إلى فتح مكة الماضي لِمَ لا يَسْتَعْمِلُ القرآن الكريم صيغةً مثل ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ بزمن الماضي ، فالتقديرات سابقة الذكر قلبتْ المعنى بالمقلوب ، حيث جعلتْ صيغة سورة النَّصر المستقبلية تتحدّث عن الماضي وصيغة آية الفتح الماضية تتحدّث عن المستقبل وكأنّه لا يوجد فتح قبل فتح مكة ولا بعد فتحها .

فسورة النصر هي فعلاً بشارة بنصرٍ وفتحٍ ولكن ليس فتح مكة الماضي بل فتح جديد لم يأتِ بعد لتطمين النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على رسالته ودينه وللتعويض عمّا أصابه من أذىً وانزعاج بدخول المنافقين بعد فتح مكة ، ونزول سورة التوبة

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: (229/20).
[2] تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): (634/10)
[3] بحر العلوم، للسمرقندي: (522/3).
[4] الجامع لأحكام القرآن: (230/20).

(الكاشفة أو الفاضحة) لأفواج المنافقين [1]. جاء في الدر المنثور ((لما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قَالَ رَسُول الله (ﷺ): إن الله لم يبْعَث نَبيا إِلَّا عمّر فِي أمته شَطْرَ مَا عمّر النَّبِي الْمَاضِي قبله وَإِنّ عِيسَى ابْن مَرْيَم كَانَ أَرْبَعِينَ سنة فِي بني إِسْرَائِيل وَهَذِه لي عشرُون سنة وَأَنا ميت فِي هَذِه السّنة فَبَكَتْ فَاطِمَة فَقَالَ النَّبِي(ﷺ) أَنْت أول أهل بَيْتِي لُحُوقا بِي فتبسمت))[2] . فالسورة تطمين للنبي على رسالته ومتضمّنة للوعد الإلهي بهيمنة الدين على سائر الأديان وفي كلِّ بقاع الأرض.

وآية البحث ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف :13]. ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:1]. فالآيتان تبشران بنصرٍ وفتحٍ مستقبلي ، وقد جعل الله تعالى نصر المؤمنين حقاً عليه بقوله : ﴿كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:47]. وأكدّ القرآن الكريم أنّ هذا قانوناً سابقاً لا يتغير :﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات:71-73]. وأكدَّ القرآن على الثبات وعدم الفرار أكثر ممّا أكدّ على العدّة والعدد، لذا أحبَّ أن يراهم كالبنيان المرصوص بقوله:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[الصف :4]. وقد حصر النصر به وحده بالأداة (إلا) قائلاً:﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال :10]. فإذا توفرت الشروط فيهم جاءهم نصر الله ، ومَن يَنْصُرهُ الله فلا غالب له، بغض النظر عن العُدَّة والعدد ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران :160].

---

[1] ينظر: الطور المهدوي: 98.
[2] الدر المنثور: (660/8).

فسورة الصف بدأت بذكر التسبيح لله(عزّ وجلّ) ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[الصف:1] . وانتهت بالتأييد الإلهي وظهور المؤمنين على عدوّهم ﴿. . .فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[الصف:14]، وذَكَرتْ أن الله ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾[الصف :8]. بصيغة المستقبل ، ومُظهِرٌ لدينه على الدين كلّه بصيغة المستقبل أيضاً ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[الصف:9]. وذَكرتْ عيسى عليه السلام وهو يطلبُ أنصاراً إلى الله عزّ وجلّ وفي ذلك إشارة إلى النصر والفتح الموعودَيْن، قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ . . . ﴾ [الصف:14].

فممّا تقدّم يمكن القول أنّ المركب (فتح قريب) في قوله تعالى:﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الصف :13]. يشير إلى فتح مستقبلي يكون على يد وليٍّ من أولياء الله يكون فيه المؤمنون ظاهرين على عدوّهم ، فهو غير فتح مكة الذي أشار إليه غير واحد من المفسرين [1] . [والله أعلم].

المعضدات:

ذكر القمّي في تفسيره ((عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فقالوا : لو نعلم ما هي لبذلنا فيها الأموال والأنفس والأولاد ، فقال الله :﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ

[1] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: (110/8)، والكشاف: (527/4)، والجامع لأحكام القرآن : (89/18).

وَأَنفُسِكُمْ ﴾[1] إلى قوله :﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. يعني في الدُّنيا بفتح القائم(عليه السلام)...))[3] .

وأشار النبي(صلى الله عليه وآله) لهذا الفتح في بعض أقواله من نحو ما أورده العلامة المجلسي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى بسنده في حديث طويل نذكر منه محلُّ الشاهد قال : ((قال أبي: ... قال النبي(صلى الله عليه وآله) اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبني وهو من ولد أبنتي يظهر الله الحقّ بهم ويخمد الباطل بأسيافهم ويتبعهم النّاس بين راغب إليهم وخائف لهم قال : وسكن البكاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال: معاشر المؤمنين ابشروا بالفرج فإن وعد الله لا يُخلف وقضاؤه لا يُردّ، وهو الحكيم الخبير **فإن فتح الله قريب** اللهم إنّهم أهلي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً...))[4].

فالمركب (فتح قريب) في آية البّحث يشير إلى فتحٍ مستقبلي تفتح به الدنيا على يدي الموعود المنتظر (عليه السلام). [والله أعلم].

---

[1] الصف :11.
[2] الصف :12-13.
[3] تفسير القمي: 700، وبحار الأنوار: (49/51)، والمحجة: 271 ، وتفسير الميزان: (272/19).
[4] بحار الأنوار: (67/51).

المطلب الثاني: المركب :(كرة خاسرة):

قال تعالى : ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[النازعات:12].

الدلالة المعجمية لـ (كرّة، خاسرة):

أولاً : لفظ (كرّة):

الفعل (كرّ) مضعف الرّاء ،و الرّاء يفيد التكرار، فـ (كَرَّ) لا يَخلو من معنى الرجوع والتكرار ، وهذا ما نصَّ عليه المعجمُ العربي من نحو قول الخليل :((الكَرُّ: الرجوع عليه، ومنه التَّكرار.))[1]، وقول أبن دريد : ((كرّ يكر كراً إذا رَجَعَ بعد فرارٍ وَبعد ذهَاب))[2]، وَنحوه ما ذكره الأزهري : ((الكَرُّ: الرجوعُ على الشَّيْء، وَمِنْه التَّكرار))[3]. فهو رجوع إلى ما كان عليه.

ويُطلق (الكَرّ) على الحبل الذي يُصعَدُ بهِ على النَّخلِ[4] ؛ وذلك لأمرين : الأوّل: لعمليةِ لفِّ ودوران الحبل على نفسه لجمعِ قواه، فهي عملية تكرار للأمر ورجوع عليها. والثاني: لتكرار الطريقةِ نفسها في صعود النّخلِ، قال أبن فارس : (((كَرَّ) الْكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتَرْدِيدٍ. مِنْ ذَلِكَ كَرَرْتُ، وَذَلِكَ رُجُوعُكَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَرَّةِ الْأُولَى))[5]. فهو رجوع إلى الشيء بعد ذهاب عنه.

وهذا ما أكّده الزمخشري في قوله :((انهزم عنه ثم كرّ عليه كروراً وكرّ عليه رمحه وفرسه كراً، وكرّ بعد ما فرّ، وهو مكرٌّ مفرٌّ، وكرّار فرّار ... وناقة مكرّة: تحلب في اليوم مرتين))[6]، وذكر الزبيدي أنّ الكَرّة هي ((الرجوع على الشيء ومنه التكرار ، وكرره : إذا رددته .والكرة : البعث وتجديد الخلق بعد الفناء))[7]. فالكَرّةُ : هي ((الرجعةُ والحملةُ في الحَرب ... والبعثُ وتجديد الخلق بعد الفناء))[8].والفعل رجع ((يَدُلُّ عَلَى رَدٍّ وَتَكْرَارٍ. تَقُولُ: رَجَعَ يَرْجِعُ رُجُوعًا، إِذَا

---

(1) العين: (277/5) كرّ(كرر).
(2) جمهرة اللغة:(126/1) (كرر).
(3) تهذيب اللغة: (327/9). (كرّ).
(4) ينظر : المصدر نفسه: (327/9).
(5) معجم مقاييس اللغة : (126/5)(كرّ)
(6) أساس البلاغة:(كرر).
(7) تاج العروس: (كرر).
(8) المعجم الوسيط : (كرر).

عَادَ))[1]. فمن ذا يمكن القول أنّ الكَرّة : هي الرّجعة والعودة إلى الشيء بعد ذهاب عنه.

ثانياً/ لفظ (خاسرة):

بعد النَّظر في المعجم العربي يَظهرُ أنّ لمادة(خَسِرَ)معنىً عام هو النقصان فيما شأنهُ الزيادة والنّماء، والخُسْر: نقيض النفع والربح ، قال الخليل : ((الخُسْر: النّقصان، والخسران كذلك، والفعل: خَسِرَ يَخْسَرُ خُسْرانا. والخاسِرُ: الذي وضع في تجارته، ومصدره: الخَسارَةُ والخُسْرُ. كِلْتُهُ ووزَنْتُهُ فأَخْسَرْتُهُ، أي: نقصته. ... وصفقة خاسرةٌ، أي: غير مربحة))[2]، وجاء في تهذيب اللغة((وصَفَقَ صَفْقَة خَاسِرَةً _ أَي: غير مُرْبحةٍ، وكَرَّ كَرَّةً خَاسِرَةً _ أَي: غير نافعة))[3].

وأرجع ابن فارس مادة (خَسِر) إلى النّقص في قوله: ((الْخَاءُ وَ السِّينُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى النَّقْصِ))[4]، وقال الفيروزآبادي في معنى قوله تعالى:﴿كَرَّةٌ خاسِرَةٌ﴾[5] أي: ((غيرُ نافِعةٍ))[6]،وعُرِّفتْ الخَسَارة بـ((النقص فيما شأنه النّماء))[7] ، ويأتي الفعل (خَسِر) بمعنى ((غُلِبَ، قُهر))[8] .

فمما تقدّم يمكن القول أنّ دلالة(خاسرة)هي: النقصان فيما شأنه الزيادة والنماء، فهي غير نافعة أو مربحة، بل مغلوبة مقهورة.

الدّلالة النحوية:

قال تعالى : ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[النازعات:12].

ألفاظ هذه الآية الكريمة تُنْبئ عن ترابطٍ واتساقٍ نحوي مع الآيات السابقة لها، وكأنّها نتيجة لأحداث سبق ذكرها ، فالضمير المتصل (الواو) في ﴿**قالوا**﴾ يحيل إحالة

---

[1] معجم مقاييس اللغة : (490/2)(رجع).
[2] العين: (195/4)(خسر).
[3] تهذيب اللغة:(76/7) (خسر).
[4] معجم مقاييس اللغة: (182/2)(خسر).
[5] النازعات:12.
[6] القاموس المحيط: (خسر).
[7] التوقيف على مهمات التعاريف : (154/1).
[8] تكملة المعاجم العربية :(93/4).

قبلية على المبتدأ المضمّر(**هم**) في قوله :﴿ **يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ**﴾[1] أي: هم يقولون[2] ، فـ ((الإحالة هنا إحالة خارجية ؛ لأن سياق الحديث انقطع عن الاسم الظاهر بإنابة الضمير(هم) عن الاسم))[3]. وأُكِّد هذا بضمير الجمع المتصل (إنّا) في قوله:﴿ **يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ** ﴾ وفي قوله :﴿ **كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً**﴾[4] ، وزاده تأكيداً بالضمير البارز (**هم**) في قوله :﴿ **فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ** ﴾[5]، وهذه الإحالة هي إحالة داخلية تدلّ على تماسك النص ومتابعة المتلقي لأحداثه والتواصل معها[6]. وجملة ﴿**قالُوا**﴾ ((بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ جملَة ﴿**يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ** ﴾[النازعات: 10] ،وَأُعِيدَ فِعْلُ الْقَوْلِ لِمَقَاصِدَ مِنْهَا الدِّلَالَةُ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا فِي غَرَضٍ آخَرَ غَيْرِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ فَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ قَصْدُهُمْ مِنْهُ الْإِنْكَارُ وَالْإِبْطَالُ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي قَصَدُوا مِنْهُ الِاسْتِهْزَاءَ وَالتَّوَرُّكَ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِتِلْكَ الْكَرَّةِ فَوَصْفُهُمْ إِيَّاهَا بِـ ﴿**خاسِرَةٌ**﴾ مِنْ بَابِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ))[7]،فالقول الأول يدلّ على استمراريتهم في الإنكار والإبطال وهذا واضح من الفعل المضارع ﴿**يقولون**﴾ ، في حين كان القول الثاني من باب الفرض ، أي :لَوْ كانت كَرَّةٌ لَكَانَتْ خَاسِرَةً.

واسم الإشارة ﴿**تِلْكَ**﴾ في قوله تعالى:﴿ **قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ**﴾[8] فيه اشارة صريحة إلى الأحداث السابقة ،فقد أحَلَّ محلّ مجموعة من الجمل ، وهذا ما يسمى بالاستبدال القولي : ((وهو مجموعة المقولات التي يمكن أن تَحُلَّ محل قولٍ ما مؤدية وظيفته التركيبية))[9]. فـ ﴿**تلك**﴾ جاءت استبدالاً عن ﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**

---

(1) النازعات: 10.
(2) ينظر اعراب القرآن وبيانه: (363/10).
(3) الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم :235.
(4) النازعات: 11.
(5) النازعات:14.
(6) ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم :235
(7) التحرير والتنوير: (71/30).
(8) النازعات:12.
(9) نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، د. أحمد عفيفي :20.

﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞ أَبصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۞ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴾[النازعات:6-11]، قال ابن عاشور: ((وتِلْكَ إِشَارَةٌ إِلَى الرَّدَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ (مَرْدُودُونَ) وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِلْمُؤَنَّثِ لِلْإِخْبَارِ عَنْهُ بِـ ﴿كَرَّةٌ﴾ و(إذن) جَوَابٌ لِلْكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِ، وَالتَّقْدِيرُ: إِذَنْ تِلْكَ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ، فَقُدِّمَ تِلْكَ عَلَى حَرْفِ الْجَوَابِ لِلْعِنَايَةِ بِالْإِشَارَةِ. وَالْكَرَّةُ: الْوَاحِدَةُ مِنَ الْكَرِّ، وَهُوَ الرُّجُوعُ بَعْدَ الذَّهَابِ، أَيْ رَجْعَةٌ))[1].

وممّا زاد النّص ترابطاً واتساقاً هي أدوات الربط ذات الأثر الواضح من نحو: الأداة ﴿إذا﴾في قوله تعالى: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾[النازعات :11]، والأداة ﴿إذاً﴾ في قوله : ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[النازعات:12]. فالنص متصلٌ اتصالاً كبيراً ، وهذا يَدلّ أنّ المركب الوصفي ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ مرتبط دلالياً بالأحداث السابقة له، من نحو: ﴿الرَّاجِفَةُ﴾، و﴿ الرَّادِفَةُ﴾ ،و ﴿الحافرة﴾، وهذا ما سنبحثه في الاستعمال القرآني.

الاستعمال القرآني لـ (الرّاجفة، والرّادفة ، والحافرة ، وكرَّة):

أولاً / الدلالة القرآنية للفظتي (الرّاجفة)، و(الرّادفة):

الرّاجفة اسم فاعل للمؤنث مذكّرها (راجف) مشتق من الفعل الثلاثي (رَجَفَ) ومضارعه (يَرجُفُ) ،قال الخليل : ((رَجَفَ الشيءُ يَرجُفُ رَجفاً ورَجَفاناً كرجَفان البعير تحت الرجل، وكما ترجف الشَّجرةُ إذا رجَّفتها الرِّيحُ، وكما تَرجفُ الأسنان إذا نُفِضَت أصولها، ونحوه رَجَفَتِ الأرض تزلزلت ... والرَّجفةُ: كلُّ عذابٍ أُنزل فأخذ قوماً فهو رَجفةٌ وصيحةٌ وصاعقةٌ. والرَّعدُ يرجفُ رَجفاً ورجيفا، وهو تردد هدته في السَّماء))[2]، وقال ابن فارس: ((الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ. يُقَالُ رَجَفَتِ الْأَرْضُ وَالْقَلْبُ. وَالْبَحْرُ رَجَّافٌ لِاضْطِرَابِهِ. وَأَرْجَفَ النَّاسُ فِي الشَّيْءِ، إِذَا خَاضُوا فِيهِ وَاضْطَرَبُوا))[3]. فـ (الرّجف) اضطراب الشيء .

---

(1) التحرير والتنوير: (71/30).
(2) العين: (109/6)(رجف).
(3) معجم مقاييس اللغة: (491/2) (رجف).

واستعمل القرآن الكريم مادة (رَجَفَ) وما يشتق منّها في ستة موارد ، أربعة منّها وقعتْ في الأمم السابقة[1]،وقد وظّفها القرآن الكريم للدلالة على العذاب الدنيوي الذي أصاب تلك الأمم من نحو قوله تعالى :﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الاعراف:77-78]. وقد فُسِّرَتْ (الرّجفة) هنا بالصيحة[2]، وأمّا الرّجفة التي أخذت قوم شعيب في قوله تعالى:﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ۞فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[الأعراف:90-91]. فهي عند القرطبي تعني :الزلزلة[3] ،وذكر الرازي أن المراد بالرجفة التي أخذتْ قوم موسى هي الصاعقة[4] استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وقالوا يَا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [الْبَقَرَةِ: 55].

فالذي يبدو ممّا تقدّم أنّ لفظة (الرّجفة) استعملها القرآن الكريم لوصف العذاب الذي أُخِذَتْ به الأمم السابقة ، فهي ليستْ من مختصّات يوم القيامة ، بل وظِّفَتْ في جميع مواردها القرآنية ((لوصف ما يقع على الأرض من حدث كوني –سماوي أو أرضي-))[5] من نحو قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾[المزمل: 14].

فوقوع (الرّجفة) في الأمم السالفة ((لم تعنِ أنّ زوال الدنيا قد أزف ، وقامت القيامة، بل استمرت الحياة إلى يومنا هذا ، ما يُعطينا المسوغ في أن نحتمل أنّ ﴿الرّاجفة﴾ في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ستقع ولكن لن تزول بوقوعها الدنيا ، وتقوم القيامة ؛ بل هي حدث عظيم كالأحداث التي وقعت في الأمم السالفة))[6].

فمن ذا يَحتملُ الباحث أن تكون (الرّاجفة) هي واحدة من الآثار التي يَنْتجها حدث سماوي أو أرضي ؛ فالباحث يسأل مستفهماً هل أنّ قوم صالح(ثمود) أصابهم الله بكلِّ هذه الأنواع من العذاب بـــ(الصيحة ، والصاعقة ، والطاغية ،والدمدمة،

---

(1) ينظر : الأعراف الآية 78، و90،و 155، و العنكبوت :37 .
(2) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: (544/12).
(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (251/7).
(4) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير : (376/15).
(5) الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 240.
(6) المصدر نفسه :244.

والعذاب ، والرّجفة) ؟ أم هي آثار ونتائج لحدث سماوي أو أرضي ، من نحو :هدّة في السماء أو مجيء النجم المذنّب ، أو هزّات وزلازل أرضية ...إلخ . [والله أعلم].

أمّا ﴿**الرّادفة**﴾ فهي اسم فاعل مشتق من الفعل (رَدِفَ) والتاء للتأنيث ، والرِّدْفُ في اللغة:((ما تَبِعَ شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيءٌ خَلْفُ شيءٍ فهو التّرادُف، والجميعُ: الرُّدافَى))[1]، وقال ابن فارس : ((الرَّاءُ وَالدَّالُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى اتِّبَاعِ الشَّيْءِ. فَالتَّرَادُفُ: التَّتَابُعُ))[2]. فـ(الرّادفة) : تدلّ على اتباع الشيء في أمرٍ ما.

واستعمل القرآن الكريم مادة (ردف) وما يشتق منّها في ثلاثة موارد[3]، وكانت دلالتها القرآنية ليستْ ببعيدة عن الدلالة المعجميّة ، فـ ﴿ **مُرْدِفِينَ**﴾ في قوله تعالى: ﴿ **أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الأَنْفَال: 9] ، أي: متتابعين[4]، أو فرقة بعد فرقة [5]. وقال تعالى :﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ** ﴾ [النَّمْل: 71-72]. ذكر الفرّاء في معنى ﴿**رَدِفَ لَكُمْ**﴾ ،أي : دنا لكم[6]، وقال الزجاج: ((قيل في التفْسِير عجل لَكُمْ ومعناه في اللغةِ (رَدِفَكُمْ) مِثْلُ رَكِبَكُمْ . وجاء بَعْدَكمْ))[7]، أو قَدْ رَكِبَ الأحداث وتَبعها ، فالرّادفة في قوله تعالى:﴿ **تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**﴾[النازعات :7] ،((تبرز الإشارة إلى حدث آخر يعقب وقوع ﴿**الرّاجفة**﴾ من صوت وما شابه ذلك ممّا من شأنه أن يزيد من هول ذلك اليوم))[8].فهي فاعلة تُوقِعُ حدثاً ما يتبع ﴿**الرّاجفة**﴾ ليزيد من هول ذلك اليوم. [والله أعلم].

---

(1) العين :(22/8) (ردف)، وتهذيب اللغة : (68/14)(ردف).
(2) معجم مقاييس اللغة: (503/2)(ردف).
(3) ينظر: سورة الأنفال: 9، و النمل :72، والنازعات : 7.
(4) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: (404/1).
(5) ينظر: معاني القرآن للزجاج : (402/2).
(6) ينظر: المصدر نفسه: (299/2).
(7) معاني القرآن للزجاج: (128/4).
(8) الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور:244.

ثانياً/ الاستعمال القرآني للفظة (الحافرة):

لفظة (الحافرة) اسم فاعل ، من الفعل الثلاثي (حَفَرَ) يدلّ على مَنْ وقع منه الفعل ، و على الحدوث والتجدد في المعنى بتجدد الأزمنة ، و ((والحَفْر: مصدر حفرت الأرض أحفرها حفراً))[1] ومنه الحافر ويراد به حافر الفرس وغيره ، وسمي حافراً؛ لأنه يؤثر في الأرض [2]، وأرجع أبن فارس مادة (حَفَر) إلى أصلين:((أَحَدُهُمَا حَفْرِ الشَّيْءِ، وَهُوَ قَلْعُهُ سُفْلًا ؛ وَالْآخَرُ أَوَّلُ الْأَمْرِ))[3]،وقال الزمخشري: ((ورجع إلى حافرته أي إلى حالته الأولى))[4] وإلى هذا ذهب الزبيدي في معنى (الحافرة) بقوله :((الحافِرَةُ: الخِلْقَةُ الأُولَى، والعَوْدُ فِي الشَّيْءِ حَتَّى يُرَدَّ آخِرُه على أَوَّلِه))[5] . فالذي يبدو أنّ لفظة (حافرة) وظِّفَت للدلالة على اركاس الشيء والعَوْدَة به إلى أصله أو إلى ما كان عليه في الأول .

واستعمل القرآن الكريم لفظة ﴿**حافرة**﴾ مرّة واحدة في قوله تعالى:﴿ **يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ**﴾[النازعات:10]. ودلالتها هنا ليست ببعيدة عن دلالتها المعجمية فهي عند الفراء تعني((إلى أمرنا الأول إلى الحياة))[6]، وإلى هذا ذهب الزجاج إذ قال : ((أي إنا نُردُّ في الحياة بعد الموت إذا كنّا عظاماً نَخِرة، أي نُردُّ ونبعث))[7]، ونفسه عند الزمخشري كما في قوله: ((فِي الْحافِرَةِ في الحالة الأولى، يعنون: الحياة بعد الموت))[8]. وذكر الواحدي عن الكلبي ، أي: ((يعنون في الخلق الجديد إلى الدنيا بعد الموت))[9]. فمن ذا يمكن القول أنّ هذه ((الآيات تصف عوداً إلى الحياة بعد الممات ، ولمّا كان السياق بحسب الآيات السابقة تحققها في الدنيا لا العودة إلى يوم القيامة))[10] فيوم القيامة لم نَصلْهُ بعد . فـ﴿**الحافرة**﴾ هي العوّدة أو رجوع الروح إلى الجسد في الدنيا أي : إلى نفس الظروف التي مرّتْ بها وليس الانتقال إلى ظروف جديدة ، وهذا الفهم يتناسب مع دلالتها المعجمية ، وهي عودة الشيء إلى أوّله.

---

(1) جمهرة اللغة : (517/1) (حفر).
(2) ينظر: المحيط في اللغة: (221/1) (حفر).
(3) معجم مقاييس اللغة:(84/2) (حفر).
(4) اساس البلاغة: (حفر).
(5) تاج العروس من جواهر القاموس: (حفر).
(6) معاني القرآن، للفرّاء: (232/3).
(7) معاني القرآن، للزجاج:(287/5).
(8) الكشاف: (693/4).
(9) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، للواحدي: (175/23).
(10) الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور:252.

ثالثاً / الاستعمال القرآني للفظة(كرّة):

ذُكِرَتْ لفظة ﴿كَرَّة﴾ في القرآن الكريم خمس مرات[1]، وفي جميعها وظِّفَت للدلالة على العوّدة إلى الشيء بعد ذهاب عنه ، من نحو قوله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:167]. فهنا يتمنى الاتباع لو أنّ لهم رجعة إلى الدّنيا فيتبرؤوا ممّن اتَبَعُوا فيها ، فـ ﴿كَرَّة﴾ هنا تعني الرجعة إلى الدنيا وهذا ما صرّح به الطبري في قوله: ((يعني "بالكرة"، الرجعةَ إلى الدنيا، من قول القائل: "كررَت على القوم أكُرَّ كرًّا"، و"الكرَّة" المرة الواحدة، وذلك إذا حمل عليهم راجعًا عليهم بعد الانصراف عنهم))[2] ، وبه قال الزجاج : ((أي عودة إلى الدنيا فنتبرأ منهم))[3]. وتعني الـ﴿كَرَّة﴾ عند ابن عاشور((الرَّجْعَة إِلَى مَحَلٍّ كَانَ فِيهِ الرَّاجِعُ وَهِيَ مَرَّةٌ مِنَ الْكَرِّ وَلِذَلِكَ تُطْلَقُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا لِأَنَّهُ رُجُوعٌ لِمَكَانٍ سَابِقٍ...))[4]. فابن عاشور يُعمّم دلالتها في جميع القرآن على الرجوع إلى الدّنيا.

وهذا المعنى والتّمني نفسه تَجدَهُ في قوله تعالى :﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:102]، وفي قوله:﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الزمر: 58]. فهم لمّا يرون العذاب يتمنون أن تكون لهم رجعة إلى الدنيا فيكونوا من المؤمنين ومن المحسنين ، قال الطبري في معنى قوله تعالى :﴿ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الزمر: 58]، أي: ((تقول لو أن لي رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين أحسنوا في طاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل))[5]. وقد خلص الزمخشري

---

[1] البقرة:167،والاسراء:6، والشعراء:102، والزمر:58، والنازعات:12.
[2] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (293/3).
[3] معاني القرآن، للزجاج: (240/1).
[4] التحرير والتنوير: (99/2).
[5] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (315/21-316).

في معنى ﴿كرّة﴾ في قوله: ((الكرّة: الرجعة إلى الدنيا. ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني، كأنه قيل: فليت لنا كرة. وذلك لما بين معنى (لو) و (ليت) من التلاقي في التقدير...))[1]، فهم يتمنون العودة إلى الدّنيا.

فلفظة ﴿كَرَّةٌ﴾ في آية البحث﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[النازعات:12]. جاءت مؤكدة لمعنى لفظة ﴿حافرة﴾ في قوله: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات:10]. والفرّق بينهما أنّ **(الحافرة)** تعني: العودة إلى أصل الشيء أو إلى أوّله، و**(الكرّة)** تعني: العودة إلى الشيء بعد ذهاب عنه .

فمن ذا يحتملُ الباحثُ أن تكون دلالة ﴿كرّة﴾ في آية البّحث هي الرّجعة إلى الدنيا بعد الممات ليُحاسب فيها الذين محضوا الكفر محضاً ، ويُجازى الذين محضوا الإيمان محضاً ، في دولة العدل الإلهي ، وهذا المعنى قد أشارتْ إليه طائفة من روايات أهل البيت (عليهم السلام) .

المعضدات:

بعد عرض آراء اللغويين وجملة من المفسّرين في دلالة ﴿كرّة﴾ احتمل البحث أنْ تكون دلالتها قد وظِّفَتْ للرجعة إلى الدنيا بعد الممات ،وليست انتقال إلى يوم القيامة الذي هو عالم جديد لم يرحلوا إليه بعد ،بل هي عوّدة إلى ما كانوا عليه قبل الممات ، وهذا المعنى يتناسب مع ما ورد من أقوالٍ وأدعية لأهل البيت(عليهم السلام) ، من نحو ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام، فعن محمد بن عبدالله بن الحسين ، قال: قال أبي لأبي عبدالله عليه السلام: ((ما تقول في الكرّة؟ قال : ((أقول فيها ما قال الله عزّ وجلّ ، وذلك أنّ تفسيرها صار إلى رسول الله قبل أن يأتي هذا الحرف بخمس وعشرين ليلة قول الله عزّ وجلّ ﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ إذا رجعوا إلى الدنيا ولم يقضوا ذحولهم ،قال له أبي: يقول الله عزّ وجلّ:﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[2] أي شيء أراد

[1] الكشاف : (323/3).
[1] النازعات:13-14.

بهذا فقال: إذا انتقم منهم وماتت الأبدان بقيت الأرواح ساهرة لا تنام ولا تموت))[1]. فالساهرة حالة للأرواح متوسطة بين نهاية الرجعة وبداية القيامة[2].

ولفظة(كرّة) جاءت في أدعية وزيارات أهل البيت (عليهم السلام) تُشير إلى الرّجعة إلى الدنيا بعد الممّات، ومن ذلك ما جاء في كامل الزيارات((وقد أشخصتُ بدني ، وودَّعتُ أهلي، وبَعُدتْ شُقتي، واؤمل في قربكم النجاة ، وأرجوا في أيامكم الكرّة))[3].

ومنه أيضاً ما جاء في زيارة الإمام الحجة المنتظر(عليه السلام)((...ووفقني يا ربِّ للقيام بطاعته، والمثوى في خدمته، والمكثِ في دولته ،واجتناب معصيته ،فإن توفيتني اللهم قبل ذلك فاجعلني يا ربِّ فيمن يَكُرُّ في رجعته ، ويُمَلَّكُ في دولته ، ويتمكّن في أيامه...))[4]. فهذا النّص يُشيرُ إشارةً واضحةً إلى دارِ العمل، ومتضمّن لمعنى الجهاد بين يديه.

وعلى نحوه ما جاء في زيارة القائم (عليه السلام) : ((فإن أدركني الموت قبل ظُهُورِك فإنّي أتوسَّلُ بِكَ وبِآبائك الطاهرين إلى الله وأسألهُ أن يصلي على محمدٍ وآلِ محمدٍ وأنْ يَجْعَلَ لي كَرَّةً في ظهورك ، ورجعة في أيامك...))[5]. والظهور الشريف يكون في الدنيا لإحقاق الحقّ وإبطال الباطل.

فالمركب ﴿كَرَّةٌ خاسرةٌ﴾ كان وصفاً دقيقاً لِمَن لا يؤمن بـ(الكَرَّة) ويشكّكُ فيها كما ورد في آية البَّحث ، فهي خاسرةٌ بالنسبة إليهم فعلاً ، أمّا الذين آمنوا بها ، واستيقنتها قلوبهم فيتمنّونَها ويدّعون الله أنْ يكونوا فيمن يَكُرّ ويرجع إلى الدنيا مع أوليائه.[والله أعلم].

---

(1) مختصر بصائر الدرجات ، الحسن بن سليمان الحلي: 28 ، والإمام المهدي في بحار الأنوار، للشيخ محمد باقر المجلسي: (519/2)، والرجعة بين الظهور والمعاد ، للشيخ محمد سند البحراني: (53/1).

(2) ينظر: الرجعة بين الظهور والمعاد: (53/1).

(3) كامل الزيارات، لجعفر بن محمد بن قولويه:419.

(4) مصباح الزائر، للسيد علي بن موسى بن طاووس: 424.

(5) جُنَّة الأمان الواقية وجَنّة الإيمان الباقية، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي:701.

الفصل الثالث

الجمل في الآيات المتعلقة بالإمام المهدي عليه السلام.

المبحث الأول

الجمل ذات الإسناد المقصود لذاته

المبحث الثاني

الجمل ذات الإسناد غير المقصود لذاته

الفصل الثالث

الجملُ في الآيات المتعلِّقة بالإمامِ المهدي عليه السلام

توطئة:

يهتمُّ البَّحثُ هنا بدراسة الجملة ، و((الْجُمْلَة هِيَ المبنيّة من مَوْضُوع ومحمول للفائدة))[1] فقد تَرِدُ في الآية الواحدة أكثر من جملة ؛ لذا التزم البّحث بمنهجيّة الأخذ بالروايات التي أشارت إلى أنّ هذه الجملة هي محور التعلق، وقد أشارت طائفة من الروايات على آية كاملة ، وعلى أكثر من آية ، فبرز بين يدي الباحث مجموعة من الجمل المترابطة الأحداث ، التي ما إنْ فَصَلتَ بَيْنها تناثرتْ حلقاتُ سلسلتها وصَعُبَ فهْمُها. فتحليلها مجتمعة يُعطي نتائج أكثر وضوحاً من تحليلها متفرِّقة ،وهدف البحث ليس التقسيم والتصنيف بقدر ما يهدف إبراز السِّمات الدلاليّة لهذه التراكيب عن طريق المعلومة الجديدة التي أثارتها الروايات .

ولا وجود للجملة ما لم يتحقق فيها الإسناد، و((الْإِسْنَاد: هُوَ ضم كلمة حَقِيقَة أَو حكماً أَو أَكثر إِلَى أُخْرَى مثلهَا أَو أَكثر يُفِيد السَّامع فَائِدَة تَامَّة. وَقَالَ بَعضهم: الْإِسْنَاد قِسْمَانِ: عَام وخاص . فالعام: هُوَ نِسْبَة إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ إِلَى الْأُخْرَى، وَالْخَاص: هُوَ نِسْبَة إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ إِلَى الْأُخْرَى بِحَيْثُ يَصح السُّكُوت عَلَيْهَا))[2]، وهذا الإسناد منه ما يتحقق بذاته كما في المبتدأ والخبر ، والفعل والفاعل ، ومنه لا يتحقق اسناده إلا عِبر تعليق جملة بجملة أخرى كما في جملة جزاء الشرط ، أو الإتيان بجملة تزيل الإبهام وتحقق الفائدة كما في جملة الصلة [3].

وتقسيم الإسناد على نوعيْنِ ذُكِرَ في الفرّق بين الجملة والكلام ، قال الرضي الاستربادي: ((والفرق بين الجملة والكلام ، أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا ، كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل ، فيخرج المصدر ، وأسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أسندت إليه . والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته ، فكل كلام جملة ولا ينعكس ... واحترز بقوله : «بالإسناد» عن بعض ما ركب من اسمين كالمضاف والمضاف إليه ، والتابع والمتبوع ...))[4]. فـ((الْكَلَام: مَا تضمن الْإِسْنَاد

---

[1] رسالة الحدود، للرماني: 68.
[2] الكليات :100.
[3] ينظر : الآيات المتعلّقة بالإمام علي : 301-302.
[4] شرح الرضي على الكافية : (33/1).

الْأَصْلِيّ وَكَانَ مَقْصُودا لذاته، وَالْجُمْلَة مَا تضمن الْإِسْنَاد الْأَصْلِيّ سَوَاء كَانَ مَقْصُودا لذاته أَو لَا))[1] .

فترشح نتيجة لذلك مبحثين : الأوّل: الجمل ذات الإسناد المقصود لذاته ، كما هو الحال في الجمل الأسمية والفعلية ، والثاني : الجمل ذات الإسناد غير المقصود لذاته ، كما في جملة جزاء الشرط ، وجملة الصلة ، هادفاً في ذلك إبراز ما في هذه الجمل من سمات وملامح تربطها بمصاحباتها اللفظية سواء في الآية نفسها ، أو في باقي الآيات لربطها بالمعلومة الجديدة التي نوّهت إليها الروايات.

[1] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)،تحق: عدنان درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة – بيروت : 758.

المبحث الأول

الجمل ذات الإسناد المقصود لذاته

قال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ [ق: 41-42]

الدلالة المعجميّة / للألفاظ (السَّمْع، النّداء، الصّيحة ، الخروج) :

أولاً / لفظ (السّمع) :

السَّمْع في اللغة : ((الأُذُن، وهي المِسْمَعَةُ، والمسمعة خرقها، والسَّمْعُ ما وقر فيها من شيء يَسْمَعه))[1]، فالأذُنُ هي المِسْمَعَة ، وما وَقَر فيها هو السَّمْعُ.

و المِسْمَع((هُوَ الخَرْق الَّذِي يُسمَع بِهِ))[2]، والاستماع : الأصغاء ، يُقال: ((واسْتَمَعْتُ كذا، أي أصغيتُ، وتَسَمَّعْتُ إليه. فإذا أدغمتَ قلتَ اسَّمَّعْتُ إليه))[3]، وقال ابن فارس:((السين والميم والعين أصلٌ واحدٌ، وهو إيناسُ الشيء بالأُذُن، من النّاس وكلِّ ذي أُذُن. تقول: سَمِعْتُ الشّيء سَمْعاً))[4]، أي: وَقَر في أذني فسمعتُهُ، والصوت : جنس لكلّ ما وقر في أذن السامع[5] .

وفرّق أبو هلال العسكري بين الاستماع والسَّمع فقال: ((أن الاستماع هو استفادة المَسْموع بالإصغاء إليه ليُفْهم ولهذا لا يُقال إنّ الله يَسْتَمع، وأما السّماع فيكون اسماً للمَسْموع يُقال لما سَمَعتهُ من الحديث هو سماعي ويُقال للغناء سماع، ويكون بمعنى السّمع تقول: سمعتُ سماعاً كما تقول: سمعت سمعاً، والتَسَمّع طلب السّمع مثل التّعلم طلب العلم))[6] ، فالاستماع يكون بقصدٍ ، لأنهّ يكون بالإصغاء، في حين يكون السّمع بقصدٍ وبغيره[7]. وهذا يدلّ على أنّ ((في الاستماع عنصر دلالي إضافي هو طلب السّمع والإصغاء إلى المَسْموع بشدّة ،للإحاطة به على أكمل وجه ، فهو أشدّ

---

(1) العين : (348/1) (سمع).
(2) تهذيب اللغة : (74/2) (سمع).
(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (1232/3) (سمع).
(4) معجم مقاييس اللغة : (102/3) (سمع).
(5) ينظر : المصدر نفسه : (318/3) (صوت).
(6) الفروق اللغوية:(49/1-50).
(7) ينظر: المصباح المنير: (سمع).

من السّمع و أقواه))[1]. فالسّمع قد يفاجئ الأذن دون إصغاءٍ أو قصد ، في حين يكون الاستماع بطلبٍ وقصدٍ من السامع فهو أشدّ من السمع .

ثانياً/ لفظ (النّداء):

ذكرت المعجمات العربية لفظ (نداء) تحت الجذر (ندي) و (ندا) ،وقد وظِّفَ للدلالة على البلل في الشيء أو الرطوبة ، ويستعمل في عدّة وجوه منها :((ندَى الماءِ، ونَدَى الْخَيْر، ونَدَى الشَّر، ونَدَى الصَّوْتِ، ونَدى الحُضْرِ ونَدَى الدُّخْنَة، فأمَّا نَدَى المَاء فَمِنْهُ الْمَطَر. يُقَال: أَصَابَهُ نَدًى من طَلَ، ويومٌ نَدِيٌ وليلةٌ نَدِيَّةٌ، ومَصْدره النُّدُوَّةُ، والنَّدَى مَا أَصَابَك مِن البلل، ونَدَى الْخَيْر هُوَ الْمَعْرُوف، يُقَال: أَنْدَى فلانٌ علينا نَدًى كثيرا وَإِن يَدَه لَنَدِيَّةٌ بِالْمَعْرُوفِ ... وندَى الصَّوت بُعْدُ مَذهَبِه والنِّداء ممدودٌ والدُّعاءُ أَرْفَعِ الصّوْتِ وَقد ناديْتُه نِداءً))[2]، ومفادُ هذه الاستعمالات هو **الوَصْلُ** سواء أكان في الماء أم في الخيّر أم في الشّر ، أم في الصوت أم في غيرها.

وقال ابن فارس:((ندي: النون والدال والحرف المعتل يدلُّ على تجمُّع، وقد يدلُّ على بللٍ في الشَّيء))[3] ،ومثّل للأول بـ ((النَّادي والنّدِيّ: المجلس يَنْدُو القومُ حوالَيْه؛ وإذا تفرَّقوا فليس بَندِيّ. ومنه دار النَّدْوةِ بمكّة، لأنَّهم كانوا يَنْدُون فيها، أي يجتمعونَ ونادَيتُه: جالَستُه في الندِيّ))[4]،وقال في الأصل الآخَر:((النَّدَى من البلل))[5]، وذهب الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) إلى أن ((أصل النِّداء من النَّدَى . أي : الرُّطُوبة، يقال: صوت نَدِي رفيع ، واستعارة النَّداء للصّوت من حيث يَكْثُرُ رطوبة فَمِهِ حَسُنَ كلامه ، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الرّيق))[6] ،والنَّداءُ هو:((الصوت مثل الدُّعاء والرُّغاء))[7] ، والصَّوت: جنسٌ لكلِّ ما وَقَرَ في أُذنِ السَّامعِ[8] ، ليكون هذا الصّوت حبل الوصل بين المُنادِي والمُنادَى.

---

[1] دلالة الجذر اللغوي لـ (س ،م ،ع) في القرآن الكريم ، أ.م .د عبد الزهرة زبون : مجلة سبيل ، العدد 24السنة الخامسة رجب 1433هـ ، ص: 25.
[2] تهذيب اللغة : (135/14) (ندا)، ولسان العرب: (ندي).
[3] معجم مقاييس اللغة :(411/5)(ندي).
[4] المصدر نفسه : (412/5)(ندي) .
[5] المصدر نفسه : (412/5) (الندي).
[6] المفردات في غريب القرآن : (797/1).
[7] لسان العرب: (ندي).
[8] ينظر: معجم مقاييس اللغة: (318/3) (صوت).

ثالثاً / لفظ (الصّيحة):

ذكرت المعجمات لفظ (الصيّحة) تحت الجذر (صوح) و (صيح)، ويبدو أنّ حروف العلّة(الواو، والألف، والياء) قد أثّرتْ في دلالة هذه المادة ، جاء في العين : ((التصوُّح: تَشَقُّقُ الشَّعر وتناثره... وصَوَّحتِ الرّيحُ البَقْل فتصوّح إذا أصابته عاهة فَيَبِس. والصُّوّاحَة، على فُعّالة من تشقّق الصوف إذا تَصَوّح. وانصاح الثّوب: تَشَقَّق من قِبَلِ نَفْسِه))[1]، وقريب من هذا المعنى ما جاء تحت الجذر (صيح): ((تَصَيَّح الخشب ونحوه إذا تصدّع ... والصيَّحْة: العذاب. وصَيْحةُ الغارة، صيحة الحيّ إذا فوجئوا بها. والصائحة: صيحةُ المَناحَةِ ... والصّياح، الصّوتُ الشّديد. صاح صَيْحةً وصياحاً))[2] . فتَصَوّح الشّيء، وتَصَيَّحه ،يدلّ على تشقق، وتصدّع .

وفرّق ابن فارس بين (صوح) و(صيح) فقال: (((صوح) الصاد والواو والحاء أُصَيْلٌ يدلُّ على انتشارٍ في شيء بعد يُبْس. من ذلك تصوَّحَ البقلُ، وذلك إذا هاجَ وانتثرَ بعد هَيجه. وصوَّحتْه الرِّيح، إذا أيبسَتْه وشقَّقته ونثَرتْه))[3] ، وقال في الجذر(صيح) : (((صيح) الصاد والياء والحاء أصلٌ صحيح، وهو الصَّوت العالي. منه الصِّياح، والواحدة منه صَيْحة... فالصَّيْح: الصِّياح. والنَّفْر: التفرُّق. وممّا يُستعار من هذا قولهم: صاحت الشَّجرةُ، وصاحَ النَّبْت، إذا طال، كأنَّه لمَّا طالَ وارتفعَ جُعِلَ طولُهُ كالصِّياح الذي يدلُّ على الصَّائح. وأمَّا التصيُّح، وهو تشقُّق الخشَب، فالأصل فيه الواو، وهو التصوُّح، وقد مضى. ومنه انصاحَ البَرق انصياحاً، إذا تصدَّعَ وانشقَّ))[4] . فيُلحظ أن أبن فارس جعل مادة (صوح) تدلّ على انتشارٍ في شيء بعد يُبْس، في حين دلّتْ مادة (صيح) على الإطالة، الصّوت العالي.

وجاء في القاموس المحيط ((الصَّيْحُ والصَّيْحَةُ والصِّياحُ بالكسر والضم والصَّيَحانُ محركةً : الصَّوْتُ بأقصى ... وصِيحَ بهمْ : فزِعُوا و فيهم : هَلَكوا . و الصَّيْحَةُ : العذابُ . والصائِحَةُ : صَيْحَةُ المناحَةِ ... وتَصايَحَ غِمْدُ السَّيْفِ : تَشَقَّقَ))[5]. وقال الزبيدي: ((والتَّصَوُّحُ : التَّشَقُّقُ " في الشَّعرِ وغيرِه " كالانْصِياح ". يقال: انْصاحَ الثَّوْبُ انْصِياحاً : إذا تَشقَّقَ من قِبلَ نَفْسِه ...وقد صَيَّحَتْه الرِّيحُ والحَرُّ والشَّمْسُ مثل صَوَّحَتْه . وتَصَيَّحَ الشَّيْءُ : تَكَسَّرَ وتَشَقَّقَ))[6]. ويستشف ممّا تقدّم أن لفظ (الصّيحة) سواء أكانت مشتق من (صوح) أم من (صيح) فهو لا يحمل دلالة مباشرة

---

(1) العين: (3/269-270) (صوح)
(2) المصدر نفسه : (3/270)(صيح).
(3) معجم مقاييس اللغة : (3/319) (صوح).
(4) المصدر نفسه: (3/324) (صيح).
(5) القاموس المحيط :(الصوح).
(6) تاج العروس : (صوح).

على الصوت ، بل يدلّ على القيام بفعل ما ينتج عنه حدث كبير يرافقه صوت[1]. أو حدوث انتشار في شيءٍ بعد يبس .

رابعاً / لفظ (الخروج):

الخُرُوجُ : نقيض الدُّخول، وهو مصدر الفعل خرج يَخْرُج خُرُوجاً فهو خارجٌ[2]. و(خارج) اسم فاعل ، واسم المكان (مَخْرَج) ، قال الجوهري (ت: 393هـ) : ((وقد يكون المَخْرَجُ موضع الخروج. يقال: خرج مخرجاً حسناً، وهذا مَخْرَجُهُ))[3]. واحتمل الجوهري (المُخْرَجُ) مصدر الفعل (اخرج) ، في قوله: ((وأما المُخْرَجُ فقد يكون مصدرَ قولك أَخْرَجَهُ، والمفعولَ به، واسمَ المكان والوقتِ؛ تقول: أَخْرِجْني مُخْرَجَ صِدق، وهذا مُخْرَجُهُ.))[4] ؛ وعلّل ابن منظور (ت: 711هـ) ذلك بقوله : ((لأَن الفعل إِذا جاوز الثلاثة فالميم منه مضمومة مثل دَحْرَجَ وهذا مُدَحْرَجُنا فَشُبِّهَ مُخْرَجٌ ببنات الأَربعة...))[5]. فالمُخْرَج مصدر الفعل الرباعي (أخرج).

وذكرت المعجمات معاني كثيرة تحت الجذر (خرج) قال الخليل : ((والخُروجُ: السّحاب أوّل ما يبدأ. والخَرْجُ والخَراجُ: ما يُخْرُجُ من المال في السنة بقدرٍ معلوم. والخُراجُ: ورم وقرح يَخْرُجُ من ذات))[6] ، ولفظ (خرج) يقترن مع خروج الأنسان وغيره ، قال الزمخشري : ((ما خرج إلا خرجة واحدة، وما أكثر خرجاتك، وتارات خروجك، وكنت خارج الدار، وخارج البلد، وهذا يوم الخروج أي يوم العيد))[7]. فهو ما نَفَذَ عن الشّيء سواء أكان الشّيء معنوياً أم مادياً.

وجعل ابن فارس للفعل (خرج) أصلين فقط في قوله : ((الخاء والراء والجيم أصلان، وقد يمكن الجمعُ بينهما، إلاّ أنّا سلكْنا الطّريقَ الواضح. فالأول: النّفاذُ عن الشَّيء. والثاني: اختلافُ لونَين...فأمّا الأول فقولنا خَرَج يخرُج خُروجاً. والخُرَاج بالجسد ... وأمّا الأصل الآخر: فالخَرَجُ لونانِ بين سوادٍ وبياض؛ يقال نعامةٌ خَرْجاءُ وظليمٌ أخرج....))[8].

---

(1) ينظر : الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم : 65.
(2) ينظر : العين : (158/4)(خرج) .
(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (309/1) (خرج).
(4) المصدر نفسه:(309/1) (خرج).
(5) لسان العرب: (خرج).
(6) العين : (158/4)(خرج).
(7) اساس البلاغة : (خ،ر،ج).
(8) مقاييس اللغة : (175/2)(خرج).

فالفعل (خرج) وما يشتق منه يستعمل للدلالة على كلّ ما من شأنه أن يخرج أو ينفذ عن الشيء سواء أكان انساناً أم حيواناً أم جماداً[1]، و((المصدر(خروج) إذا أضيف إلى لفظة (يوم) كوّن مركباً هو (يوم الخروج) لتكون دلالته عامّة في كلّ ما شأنه أن يخرج))[2] ، أما تخصيصه ، فيحتاج إلى قرينة تثبت ذلك ، فما كان عاماً لا يُسْأل عن علّة عمومه، بل يُسأل عن علّة التخصيص بهذه الذات من دون غيرها[3] .

الدَّلالة النحويّة :

قال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۞يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ [ق:41-42].

أولاً / قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ :

في هاتين الآيتين الكريمتين ذكر المولى تعالى (السّمع) مرتين، وكلاهما اقترنا بالظرف (يوم) ، الأولى بصيغة فعل الأمر و هو قوله:﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ**﴾، والثانية بصيغة المضارع وهو قوله: ﴿ **يَوْمَ يَسْمَعُونَ**﴾ ، ولا بدَّ من فرقٍ بينهما في الدلالة المعجميّة والنحويّة أيضاً ، فقد اتضح في الدلالة اللغوية أنّ في(الاستماع) عنصراً دلالياً إضافي هو طلب السمع والإصغاء إلى المسموع بشدّة ،للإحاطة به على أكمل وجه ، فهو أشدّ من السمع و أقواه[4]، فقوله :﴿**واستمع**﴾ ((أمر بالاستماع، والظاهر أنه أريد به حقيقته))[5] ، وذكر النحاة أنّ فعل الأمر يدلّ على المستقبل أبداً ؛ لأنه مطلوب به حصول مالم يحصل ،أو دوام ما حصل[6] .

---

(1) ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 111.
(2) المرجع نفسه.
(3) ينظر: المرجع نفسه.
(4) دلالة الجذر اللغوي لـ (س ،م ،ع) في القرآن الكريم: 25.
(5) تفسير الآلوسي :(343/13).
(6) ينظر معاني النحو : 26/4.

وقد أُختُلِفَ في مفعول ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ لعدم التصريح به ، فقيل : ((ومفعول «استمع» محذوف أي: استمع نداء المنادي))[1]، وهذا من باب حمل الكلام على معنى الفعل المذكور الذي يكون من لفظه أو قريب من لفظه[2]، وأخذت التقديرات مأخذها في مفعول ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ ، فقيل : ((...واستمع لما أخبر به من أهوال يوم القيامة... وانتصب يَوْمَ بما دل عليه ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور... وقيل: تقديره نداء الكافرين بالويل والثبور ويَوْمَ ظرف لذلك المحذوف، وقيل: لا يحتاج ذلك إلى مفعول والمعنى كنْ مستمعاً ولا تكن غافلاً، وقيل: معنى استمع انتظر، والخطاب لكل سامع، وقيل: للرسول (عليه الصلاة والسلام) ويَوْمَ منتصب على أنه مفعول به لاستمع أي انتظر يوم ينادي المنادي فإن فيه تبين صحة ما قلته كما تقول لمن تعده بورود فتح: استمع كذا وكذا))[3]. وفي هذه التقديرات ، اختلاف في (المُنادِي) وفي (النّداء) وفي (المُنادَى) .

فبمزاوجة الدلالة المعجميّة والدلالة النحويّة للفعل (استمع) ، يمكن ترجيح تقدير واحد من هذه التقديرات وهو ((كُنْ مُسْتَمعاً ولا تكن غافلاً))[4]؛ لأنّ جملة (واستمع) بما تحمله من دلالة طلب الاستماع ، وعدم الغفلة ، قد استغنت عن ذكر المفعول به ؛ لذلك جاء في نظم الدرر:((﴿واستمع﴾ أي اسمع بتعمدك للسمع بغاية جهدك بإصغاء سمعك وإقبال قلبك بعد تسبيحك بالحمد ...) [5].

ويبدو أن هذا النص في غاية الأهمية ، حيث جعل فعل الأمر (استمع) فريضة واجبة وإن لم تكن واجبة فهي بمنزلة الواجبة ؛ لأنّ فيه تَعَمْدٌ للسمعِ بغايةِ الجُهْدِ ، مع اقبال القلب ، بعد التسبيح بالحمد . وعطف جملة ﴿واستمع﴾ على ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[6] يُشْرِكُها في الحكم ؛ لأن الواو تفيد الاشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعتَ فيه الثانيَ الأوّل[7].

---

[1] المجتبى من مشكل إعراب القرآن:(1229/4).
[2] ينظر : الحمل على المعنى في العربية ، د. علي عبدالله حسين العنكبي ، ديوان الوقف السني : مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، ط1(2021م) ، ص:359.
[3] تفسير الآلوسي :(343/13).
[4] المصدر نفسه: (343/13).
[5] نظم الدرر :(440/18).
[6] ق: 39.
[7] ينظر : دلائل الأعجاز : 224.

ويلاحظ أن النّص قد كوّن نسيجاً مترابطاً بأداة العطف الـ (الواو) التي عطفت ((جملة ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ على جملة ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [ق:39]، وعطفت جملة ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾على الآية التي سبقتها وهي قوله ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ فربطت بين الآيتين ربطاً محكماً وجاءت "الواو" بعد ذلك لتعطف جملة ﴿اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾على الآيتين السابقتين فنتج عن ذلك ارتباط هذه الآيات وجريانها على نسق واحد في معالجة القضيّة))[1].

ويبدو أنّ إحالة الضمائر في الألفاظ (فاصبر، سبح ،فسبحه، استمع)،((لا يرجع إلى اسم مذكور سابق أو لاحق إذ لم يذكر اسم النبي محمد (صلى الله عليه وآله سلم) أو ما يدل عليه من لفظة "النبي" أو "الرسول" في سورة "ق"))[2]، وعلى هذا فالإحالة هنا إحالة مقامية ((التي تعني إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي ، وهي بذلك تخرج النص من حالة الانغلاق إلى حالة الانفتاح على السياق))[3]. ومِنْ ذا يُحتمَل أن يكون هذا التسبيح خاص في ذلك اليوم الذي ذكرته الآية، ويبد وأن البقاعي (ت: 885هـ)، التفتَ إلى ذلك فقال :((أي اسمع بتعمدك للسّمع بغاية جهدك بإصغاء سمعك وإقبال قلبك بعد تسبيحك بالحمد ...))[4]، وهذه الأمور تكون في دار التكليف وليس في يوم القيامة ،ويلحظ أن الرازي تنبّه لهذا فجعل قوله تعالى :﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ﴾ ((إِشَارَةٌ إِلَى بَيَانِ غَايَةِ التَّسْبِيحِ، يَعْنِي اشْتَغِلْ بِتَنْزِيهِ اللَّهِ وَانْتَظِرِ الْمُنَادِي))[5]، واحتمل لهذه المسألة عِدّة احتمالات منها:((...فَإِنْ قِيلَ اسْتَمِعْ عَطْفٌ عَلَى فَاصْبِرْ وَسَبِّحْ وَهُوَ فِي الدُّنْيَا، وَالِاسْتِمَاعُ يَكُونُ فِي الدنيا، وما يوحى يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ لَا يُسْتَمَعُ فِي الدُّنْيَا، نَقُولُ لَيْسَ بِلَازِمٍ ذَلِكَ لِجَوَازِ أَنْ يُقَالَ صَلِّ وَادْخُلِ الْجَنَّةَ أَيْ صَلِّ فِي الدُّنْيَا وَادْخُلِ الْجَنَّةَ فِي العقبى، فكذلك هاهنا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ بِأَنَّ اسْتَمِعْ بِمَعْنَى انْتَظِرْ فَيُحْتَمَلُ الْجَمْعُ فِي الدُّنْيَا...))[6]. فيلحظ كيف ارتبطت الأحداث واتسقت في معالجة قضية واحدة.

---

(1) الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور : 74.
(2) المرجع نفسه : 72.
(3) ينظر : الإحالة في نحو النص ، د. أحمد عفيفي :41 ، و الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور : 72.
(4) نظم الدرر :(440/18).
(5) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: (154/28).
(6) المصدر نفسه.

فيبدو أن التسبيح الذي ذكرته الآية قد أختصّ وارتبط في ذلك اليوم الذي تقع فيه الصّيحة ، والنّداء ، لوجود مناسبة بينهما ؛ فلا يصح عطف الجمل على بعضها دون مناسبة تربط بينها ، قال الدكتور فاضل السامرائي: ((...أن الواو لمطلق الجمع ، وليست للترتيب ،غير أنّه لا ينبغي أنْ يُفهم من قولنا (أنّها لمطلق الجمع) أنّه يؤتى بها بين المتعاطفين ، أو بين الحكمين بلا مناسبة بينهم ولا رابط ، بل لا بدّ من رابط بين المتعاطفين ، ولا سيّما في الجمل ...))[1] فالتسبيحُ مرتبط بالنّداء والصّيحة.

ثانياً/ قوله تعالى:﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾:

اسم الاشارة **(ذلك)** من الأسماء المبهمة ، ((وإنّما صارت معرفةً لأنها صارت أسماء اشارة إلى الشيء دون سائر أمته))[2]. واستعمل القرآن الكريم اسم الاشارة **(ذلك)** للدلالة على البعد المتنحي بمعنى التعظيم وغيره [3].

وفي هذا التركيب قد أحال اسم الاشارة **(ذلك)** على الآيات السابقة إحالة قبلية يقول الدكتور محمد خطابي : ((أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية بمعنى أنّها تربط جزءاً لاحقاً بجزءٍ سابق في اتساق النص، فإن اسم الإشارة المفرد يتميَّز... بـ (الإحالة الموسّعة) أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها ،أو إلى متتالية من الجمل))[4] . وهذا يعني أنّ اسم الاشارة جاء هنا ليربط قوله تعالى: ﴿ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالمركب ﴿ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ ليكون هذا المركب نتيجة الواقعتين[5] .

والإضافة في المركب (يوم الخروج) محضة أفادت التعريف ، واقتران (أل) بلفظ (الخروج) إمّا لاستغراق الجنس ، فيكون الخروج عام لكل ما هو مستور ، وقد تكون (أل) عهدية ، تشير إلى ما أخبر به النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) من خروج عام لكل مستور في ذلك اليوم مثل خروج الدابة ،وخروج الدجال، والسفياني و وخروج الإمام

---

[1] معاني النحو : (3/193) .
[2] الكتاب :(5/2).
[3] ينظر : أسماء الاشارة في القرآن الكريم (دراسة لغوية ونحوية) ، رسالة ماجستير ، حسام عدنان رحيم الياسري ، اشراف :د .حاكم مالك الزيادي ، جامعة القادسية ، كلية الآداب ، 2000م ، ص: 342.
[4] لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، د. محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط:1 ، 1991م ، ص: 19
[5] ينظر : الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور : 74.

المهدي (عليه السلام) ، وخروج الضغائن، وغيرها[1] . أمّا تخصيص هذا الخروج بخروج الأموات من قبورهم[2] ، فيحتاج إلى دليل ؛ فالقرآن الكريم ذكر خروجات كثيرة على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** ﴾ [الزلزلة: 2]، وقوله :﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ** ﴾ [النمل من الأية:82] ، وقوله :﴿ **يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا** ﴾ [المعارج من الآية:43] ، ويبدو أن هذه الآيات هي الأخرى مرتبطة بآية البحث .

فـ ﴿**يوم الخروج** ﴾ يمثل خروجاً عاماً لكلّ ما هو مستور.

الدّلالة القرآنيّة :

قال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۞ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق:41-42].

في هاتين الآيتين الكريمتين سيتتبع البّحث ثلاث جملٍ مترابطة ذات صلة هي :

أولاً / قوله تعالى :﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾:

ظهر في الدلالة المعجمية أنّ لفظ (الاستماع) فيه عنصر دلالي إضافي على لفظ (الّسمع) ،وهو طلب السمع والإصغاء إلى المسموع بشدّة ، للإحاطة به على أكمل وجه ، فهو أشدّ من السمع و أقواه ، فقوله :﴿**واستمع**﴾ أمر بالاستماع ، وحين يكون هذا الأمر من الله (عزّ وجلّ) ، لا بدّ له أن يكون مفيداً ويصبّ في مصلحة المأمور ؛ لأن الله (عزّ وجلّ) ، لا يأمرنا بالاستماع إلى منكرٍ، أو إلى ما يضرّنا .

فترى أن القرآن الكريم استعمل جملة فعل الأمر الصادرة من الله (عزّ وجلّ) لهذه الدلالة، نحو قوله تعالى:﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[الاعراف:204].

---

[1] ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 114.

[2] ينظر :جامع البيان في تأويل آي القرآن: (383/22)، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة: (362/1)، وغيرهما.

جاء في معنى ﴿فاستمعوا له﴾ ((أي ألقوا إليه أسماعكم مجتهدين في عدم شاغل يشغلكم عن السمع))[1].ففيه حثٌّ على الاستماع ؛ لأنه يصب في مصلحة المستمع ،وهذا واضح من ذيل الآية ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

ومثل هذا المعنى تجده في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج من الآية :73]، جاء في لباب التأويل في معرض الحديث عن هذه الآية ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ أي: ((تدبروه حق تدبره فإنّ الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع...))[2]، فتدبر هذا المثل ينفع المأمور في تمييز الصواب.

وجاء في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[طه:13]. أي:((لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له، واجعل كل خاطرك مصروفا إليه، وقد قالوا: إن من أدب الاستماع سكون الجوارح والأعضاء، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور القلب، والعزم على العمل))[3]. فهو أمر بالإصغاء، والعزم على العمل.

فيبدو أن الدلالة القرآنيّة لقوله ﴿ وَاسْتَمِعْ﴾ لم تبتعد عن الدلالة اللغوية ، وهي طلب السمع مع الاصغاء والتدبر لأمرٍ معين ، وهذا الطلب عندما يكون من العليم الخبير، يكون مهماً ونافعاً للمستمع .

واستعمال القرآن الكريم جملة ﴿ وَاسْتَمِعْ﴾ بهذه الدلالة، يقود البّحث إلى القول لا بدّ أن يكون المسموع مفهوماً أو قابلاً للفهم؟، وإلا كيف يُطلبُ إصغاء السّمع والتدبر إلى شيء غير قابل للفهم؟ ؛ لذلك استعمل القرآن الكريم هذه الجملة ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ مع القرآن الكريم ؛ لأنّه قابل للفهم والتدبر ، ومع المثل المضروب ؛ وهو ايضاً قابل للفهم والتعقل ، ومع الوحي ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ فالمسموع مفهوماً وقابلاً للفهم والتدبر ، فمن ذا يمكن القول : إنّ نداء المنادي بالإمكان فهمه وتعقله .

---

[1] نظم الدرر : (209/8).
[2] لباب التأويل في معاني التنزيل : (264/3).
[3] تفسير المراغي : (99/16).

ذهب بعض المفسّرين إلى أن (النّداء) في آية البحث هو النفخة الثانية ، والمنادي هو اسرافيل عليه السلام، نحو قول الزمخشري ((ويوم يسمعون: بدل من يَوْمَ يُنادِ والْمُنادِ إسرافيل ينفخ في الصور))[1]، وقال أبو السعود(ت: 982هـ) : ﴿**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصيحة**﴾ ((بدلٌ منْ يومَ يُنادِي الخ وهي النفخةُ الثانيةُ))[2]، وذكر الشوكاني: ((وَقِيلَ: اسْتَمِعِ النِّدَاءَ أَوِ الصَّوْتَ أَوِ الصَّيْحَةَ، وَهِيَ صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ، أَعْنِي النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ فِي الصُّورِ مِنْ إِسْرَافِيلَ))[3]، وفرّق الشوكاني بين النافخ ، و المنادي قائلاً: ((وَقِيلَ: إِسْرَافِيلُ يَنْفُخُ، وَجِبْرِيلُ يُنَادِي أَهْلَ الْمَحْشَرِ))[4] ، وقال المراغي (ت: 1371هـ) :((والمنادي هو جبريل عليه السلام، على ما ورد فى الآثار....والصيحة: النفخة الثانية...))[5] .فيبدو أنّ الذي دفعهم إلى القول بهذا ، هو وجود لفظة (الصّيحة)في الآية التالية لها .

وكأنّ قوله تعالى :﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ...**﴾ يرادف قوله :﴿ **يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ**﴾ ، في حين هناك فرق جوهري بين (استمع) ، و (يسمعون) ، و بين (النداء) و(والصيحة) ، وهذا الفرق اتضح في الدلالة المعجمية ، وسوف نبيّنه في الدلالة القرآنية أيضاً .

تحدث الراغب في مفرداته عن (النِّداء) قائلاً: ((يقال النّداء للمركب الذي يفهم منه المعنى))[6] مستنداً إلى كثيرٍ من الآيات نحو قوله تعالى : ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[الأنبياء:83] ، وقوله :﴿ **وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ** ﴾ [الأنبياء : 89]. وقوله:﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**﴾ [آل عمران :193]. وغيرها من الآيات التي استعمل فيها القرآن الكريم لفظ (النِّداء)

---

(1) الكشاف : (393/4)
(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : (135/8)
(3) فتح القدير:(96/5)
(4) المصدر نفسه: (96/5)
(5) تفسير المراغي (128/26).
(6) المفردات في غريب القرآن : (797/1).

للدلالة على إحداث صوت له معنى يدركه السّامع[1]، ((أمّا ما سوف يُحْدِثُه ملك الموت اسرافيل (عليه السلام) ، فهو صوت شديد يصدر من الصور ، وليس كلاماً يفهم المعنى المراد منه)) [2].

وعلى هذا فـ (النِّداء) يختلف عن الصيحة ؛ (النِّداء) يكون كلاماً مفهوماً لدى السامع و (النِّداء) هنا في آية البحث محبباً ،في حين قد تكون الصيحة ليست كلاماً مفهوماً وليست محببة، وهذا المعنى يتماشى مع ما ذكره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته من أحاديث وأقوالٍ.

المعضدات :

تحدَّثتْ الأحاديث والروايات الشريفة عن النّداء ، وعن كيفية حدوثه ، وتحديد وقته ، وبيان المنادي والمنادى به ، ومن جملة هذه الأحاديث :

ما نقله علي بن إبراهيم القمّي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) في معنى قوله تعالى :﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[ق:41]:((ينادي المنادي باسم القائم واسم أبيه)) [3].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ،عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ وَعَلَى رَأْسِهِ مَلَكٌ يُنَادِي إِنَّ هَذَا الْمَهْدِيَّ فَاتَّبِعُوهُ)) [4].

وفي بيان تحديد الوقت ، ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((يكون الصوت ليلة الجمعة لثلاث وعشرين من شهر رمضان ...)) [5] .

وتحدث الإمام الصادق (عليه السلام)عن كيفية حدوث الصوت ، وعن ماهية هذا الصوت ،وبأي لغة يكون قائلاً: ((ينادي منادٍ باسم القائم واسم ابيه (عليه السلام) ...يسمعون صوتاً لا من ذي ولا ذي هو !!! لكنهم يسمعون صوتاً ما قاله إنسٌ ولا جانٌ: بايعوا فلاناً باسمه ، لا مِن ذي ولا ذي هو ...))[6].

---

[1] ينظر : الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور: 91.
[2] المرجع نفسه: 91.
[3] تفسير القمي : 664 ، والبرهان في تفسير القرآن: (306/7)، وينابيع المودة:486.
[4] مسند الشاميين ،الطبراني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط:2 ،1417هـ ، : (71/2) ، والعرف الوردي في أخبار المهدي، للسيوطي، تحق: د. مهدي أكبر نجاد ، مط : نكارش ، ط:1، 1429هـ ، ص : 34.
[5] الغيبة ، النعماني : 263، و: الملاحم والفتن ، ابن طاووس: 117.
[6] ينابيع المودة :486 ، والملاحم والفتن : 21.

هذا الحديث يبن لنا أن هذا الصّوت ((يتردد في الآفاق ، لا هو من فوق ولا من تحت !. ولا هو من الأمام ولا من الوراء !. ولا هو من اليمين ولا من الشمال !. ولا هو صوت إنسان ولا صوت جان !. يأتي من كل ناحية ، ويملأ الخافقين فيلفُّ الأرض ومن فيها ، بلهجة لا من هذه المحطة ولا تلك ، ولا من هذه الدولة ولا من غيرها ، ولا بهذه اللغة دون سواها ، بل هو على هذا الشكل العجيب ، وبسائر اللغات ... وللكلّ على الإطلاق))[1]. فهو صوّت مفهوم يملأ الخافقين يسمعه كلّ ذي لغة بلغته. (والله أعلم).

ثانياً/ قوله تعالى :﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾:

يبدو أنّ هذه الآية هي إحدى علامات وقوع النّداء ، وكأن المعنى هكذا ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ...﴾ فيسأل السائل متى هذا اليوم؟ ، فيكون الجواب ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ ؛ لذلك تجد أن أهل اللغة والنّحو جعلوا هذا اليوم بدل من ﴿ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾.

وذكر البحث في الدلالة المعجميّة ، والدلالة النحويّة أنّ هناك فرْقاً بين فعل الأمر ﴿ وَاسْتَمِعْ﴾ وبين الفعل المضارع ﴿ يَسْمَعُونَ﴾ فالسمع هنا يختلف عن الاستماع ؛لأن السمع قد يحصل دون إرادة السامع ، فسماع (الصيحة) قد يحدث بغتة دون علامة واضحة ، مثلما تسمع صوت انفجارٍ ما ، وأنت في مكان ليس بالقريب من مصدر الانفجار.

ولفظة (صيّحة) استعملها القرآن الكريم مجردة من (أل) في ستّة موارد ، ومعرّفة بـ (أل) في سبعة موارد ، و((وظفت في تسعة موارد منها للدلالة على حوادث وقعت في الدنيا وتحققت فيها ، وكانت هذه الحوادث عبارة عن زلزال عنيف أو هزة أرضية أو ريحٍ عاتيةٍ أو بركانٍ أو عاصفةٍ أو صاعقةٍ أو سقوطِ جرمٍ سماوي))[2].

---

[1] يوم الخلاص في ظل القائم المهدي (عليه السلام)، كامل سليمان :46.
[2] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم : 79.

وتتبع أحد الباحثين المعاصرين الوقائع والأحداث التي أحدثتها (الصّيحة) في الأقوام السّابقة والتي تحققت كلّها في الدنيا ، **ويمكن إجمال ذلك بما يأتي[1] :**

1-**الصيحة التي وقعت في ثمود قوم صالح (عليه السلام) :** فهم لمّا أعرضوا ولم يلتزموا بأوامر الله تعالى ونواهيه ، وعقروا ناقة صالح جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون ، المتمثل بقوله تعالى :﴿ **وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۞ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۞ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۞ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ** ﴾[هود:64-68] .

وثمود هؤلاء هم أنفسهم أصحاب الحجر[2] الذين قال الله تعالى فيهم :﴿ **وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۞ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ۞فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ** ﴾[الحجر:80-83] ، فهم كانوا ينحتون بيوتهم من حجر الجبال ظناً منهم أنها ستقيهم العذاب ، جاء في فتح البيان((وقيل آمنين من الموت وقيل من العذاب ركوناً منهم على قوتها ووثاقتها))[3] ، والصيحة في هذه الآية هي نفسها التي في سورة هود .

وصوّر القرآن الكريم حالتهم عند وقوع الصيحة بأنهم (كهشيم محتضر) قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ**﴾ [القمر: 31] ، وفي مورد آخر

---

[1] ينظر : الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم : 79-81.
[2] ينظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن: (126/17) ، و: تفسير الماوردي = النكت والعيون: (169/3)
[3] فتحُ البيان في مقاصد القرآن: (191/7).

وصفهم القرآن الكريم بأنهم صاروا (غثاءً)، قال تعالى:﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۞فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: 40-41].

2-الصّيحة التي وقعت في قوم شعيب :

قال تعالى :﴿ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُود﴾[هود:94-95] . وسيظهر لنا في التناص غير المباشر أنّ القرآن الكريم يفسر(الصّيحة) هنا ، بأنها عذاب عظيم نزل عليهم من السماء أحدث فيهم رَجَّة عنيفة .

3-الصيحة التي وقعت في قوم لوط (عليه السلام) قال تعالى :﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر :73-74].

والذي يدل على وقوع هذه (الصيحة) في قوم لوط هي الآيات التي سبقتها ، وهو قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾[الحجر :61].

وألفاظ العذاب التي تتناص مع لفظ (الصّيحة) تناصاً غير مباشر هي كما يأتي[1]:

1- قوم صالح (عليه السلام): وصف القرآن الكريم ﴿**الصَّيْحَة** ﴾التي وقعت في قوم ثمود بـ ﴿**الرّجفَة**﴾ ، قال تعالى :﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ ﴾[الأعراف:77-78]. ووصف تعالى هذا العذاب في مورد آخر بـ﴿الصاعقة﴾ في قوله تعالى:﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ۞ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [الذاريات:43-44].

[1] ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور:81-83.

وعبّر عنه بـ(التدمير) ، كما في قوله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ... فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [النمل:45-51]. وعبّر عن عذابهم بـ (الطاغية) كما في قوله تعالى :﴿ **فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ** ﴾ [الحاقة:5] . وفي مورد آخر عبر عنه بـ (الدمدمة) ، قال تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا**﴾ [الشمس:41] .

2-قوم شعيب(عليه السلام): ووصف القرآن الكريم ﴿ **الصَّيْحَة**﴾ التي أخذت قوم شعيب (عليه السلام) في مورد آخر بأنه ﴿**عذاب يوم الظلة**﴾ في قوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ... فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الشعراء :177-189]. ، وعبر عنه أيضاً بـ﴿**الرجفة**﴾ في قوله تعالى:﴿ **وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (90) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ [الاعراف :90-91] . ووصفه ايضاً بأنّه ﴿**صاعقة**﴾ في قوله تعالى:﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [فصلت :13].

3- قوم لوط (عليه السلام) : وصف القرآن الكريم ﴿**الصيحة**﴾ التي وقعت على قوم لوط بأنها حدث سماوي أو أرضي هائل قلب أعلى القرية على أسفلها ، كما في قوله تعالى :﴿**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ**﴾ [الحجر:74]. وفي مورد آخر استعمل الفعل(دمر) المتمثل في قوله تعالى :﴿ **ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ**﴾ [الشعراء :172-173]. وفي مورد آخر ذكر بأن ما حلّ بهم هو ﴿**رجزاً من السماء**﴾ في قوله تعالى :﴿ **إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [العنكبوت:34].

وبعد هذا العرض لأسماء العذاب الذي حلّ في هذه الأقوام ، لا بدَّ من سائل يسأل هل أنّ الله تعالى عذّبهم بكلّ تلك العذابات؟ أم كان عذاباً واحداً ، ونتجت عنه أنواعاً وآثاراً؟ ،هذا ما توضحه المصاحبات التي صاحبت لفظة (الصّيحة) كما في المخطط الآتي[1]:

[1] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم :85.

المعضدات:

ذكرت كتب الحديث والرواية علامات مستقبلية، ومن جملتها حدوث (الصيحة) ، وبيان آثارها وشدتها ، وتحديد وقتها ، وكيفية الاتقاء منها ، ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :((....فإذا صليتم الفجر من يوم الجمعة المذكور ، فادخلوا بيوتكم ، وأغلقوا أبوابكم ، وسُدُّوا الكُوّى ، ودثِّروا أنفسكم ، وسدّوا آذانكم . فإذا أحسستم بالصّيحة فَخِرّوا سُجَداً وقولوا : سبحان القدوس ربّنا القُدُّوس...))[1].

وهذا الحديث ينسجم مع الدلالة النحوية لآية البحث وهو عطف جملة ﴿**واستمع**﴾ على ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ ليُشْرِكُها في الحكم ويجعلها في نسق مترابط لمعالجة القضية ، لهذا جعل الرازي قوله تعالى :﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ الْمُنادِ** ﴾ ((إِشَارَةٌ إِلَى بَيَانِ غَايَةِ التَّسْبِيحِ، يَعْنِي اشْتَغِلْ بِتَنْزِيهِ اللَّهِ وَانْتَظِرِ الْمُنَادِي))[2] ، فالتسبيح في ذلك اليوم يُنْجي من الصيحة على ما يبدو. (والله أعلم).

وروى شهر بن حوشب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسنده قائلاً : ((... قلنا : وما الصيحة يا رسول الله ؟ قال: هَدّة في النصف من رمضان يوم الجمعة ضحى ... فتكون هدّة توقظ النائم وتقعد القائم ، وتخرج العواتق من خدورهن))[3].

وفي هذا الحديث يبن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ (الصيحة) ليست مجرد صوت ،بل هي (هّدّة) توقظ النائم ... فيبدو أن (الصيحة) تحدث نتيجة اقتراب النجم المذنب من الغلاف الجوي للكرة الأرضية[4] ، و ورد النجم المذنب في بعض الكتب أنّه سيضرب الكرة الأرضية [5] .

الفرق بين النداء والصيحة :

---

[1] الملاحم والفتن : 28.
[2] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: (154/28).
[3] الملاحم والفتن : 28.
[4] ينظر :الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم:87.
[5] ينظر: الملاحم والفتن : 32-33 . ، و العرف الوردي:104.

يلحظ مما تقدم أنّ هناك ثمة فروق بين حدوث (النداء) ووقوع (الصيحة) **ويمكن تلخيصها بما يأتي**[1] **:**

1-تكون الصيحة في يوم النصف من رمضان ،في حين يحدث النداء ليلة الثالث والعشرين منه.

2-تقع الصيحة بسبب حدث كوني كبير، في حين يكون النداء من جبرائيل(عليه السلام).

3- هناك تخوّف من الصيحة ، وأوصى الرسول (عليه السلام) باتّقاء تلك الصيحة من نحو غلق الأبواب ، وسدُّ الآذان، والتدثّر ، وأن هذه الصيحة لا تقع على الأرض جميعها ، بل تقع على الجزء الغالب منها .

في حين ليس هناك تخوّف من النداء ، بل هناك حثٌّ على الإصغاء لسمع النداء وترقب حدوثه ، و أن هذا النداء سيعمُّ الأرض برمّتها ، ويسمعهُ كلٌّ بلغته.

ثالثاً/ قوله تعالى :﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾:

تَبَيّنَ في الدلالة المعجمية أن الفعل (خرج) يستعمل مع كلّ ما من شأنه أن ينفذ أو يخرج سواء كان انساناً أم حيواناً أم نباتاً أم جماداً، وكما اتضح في الدلالة النحوية أن اقتران (أل) بلفظ (خروج) تفيد العموم لاستغراق الجنس ، وليس من دليلٍ على تخصيصها بشيءٍ معين ، وأنّ مجيء اسم الإشارة (ذلك) هنا ؛ ليربط المركب (يوم الخروج) بالواقعتين (حدوث النداء ،و وقوع الصيحة) ويكون نتيجة لهما ، لذا قال السمين الحلبي في تأويل قوله تعالى:﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الخروج﴾ :((يجوز أَنْ يكونَ التقديرُ: ذلك الوقتُ أي: وقتُ النداءِ والسماع يومُ الخروجِ. ويجوز أَنْ يكونَ «ذلك» إشارةً إلى النداء، ويكونُ قد اتُّسِع في الظرف فأُخْبِرَ به عن المصدر، أو يُقَدَّرَ مضافٌ إلى ذلك النداءِ والاستماع: نداء يومِ الخروجِ واستماعِه))[2].

ولو رجعنا إلى الآيات الأولى من السورة نفسها (سورة : ق)، لوجدنا أنّ الله سبحانه شبّه عملية الخروج ، بأكثر من شيء ، من نحو رجوع الموتى ،وعملية الإنبات في الأرض من كلّ زوج بهيج ، وإحياء بَلْدَة ميتاً عن طريق نزول ماءٍ مباركٍ من السماء ، كما في قوله تعالى :﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ

---

[1] ينظر: الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم :93.
[2] الدر المصون ،للسمين الحلبي :(37/10)

هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۞ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۞ ... وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۞رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾[ق:2-11].

فهذه الآيات شبّهة عملية الخروج بهذه الأمور ؛ فقالها تعالى على سبيل النتيجة، ﴿**كذلك**﴾ أي: مثل هذا الإخراج العظيم ، من رجوع الموتى وإنبات النبات وإحياء البلدة ،يكون الخروج[1].

ولو كان (الخروج) هو خروج الموتى من قبورهم فقط ، لقال المولى (ذلك الخروج) ، ولم يشبّه ، كما فعل مع آية البحث ، حين ذكر حدوث النداء ، ووقوع الصيحة ، وعبّر عن نتيجتهما بيوم الخروج مشيراً إليه باسم الإشارة (ذلك) دون حرف التشبيه (الكاف) .

المعضدات:

ذكر القندوزي الحنفي(ت:1294هـ) في ينابيع المودة: ((﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۞يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ عن الصادق رضي الله عنه قال: المنادي ينادي باسم القائم واسم أبيه عليهما السلام[2] ، والصيحة في هذه الآية صيحة من السماء، وذلك يوم خروج القائم (عليه السلام))[3]. فـ (يوم الخروج) : هو ذلك اليوم الذي يَعْقِبُ الحادثتين (الصّيحة و النِّداء) ، وهو خروج عام لكلّ شيءٍ كان مستتراً عن الأنظار ،وعلى مستوياتٍ مختلفة أوضحتها السنة المطّهرة من نحو (خروج البركات، وإخراج الكنوز ، وإخراج العلوم، وإخراج الدلائل ، وخروج الأموات ، إخراج الضغائن ، وخروج الأنصار والموالين ،وخروج السفياني ، وخروج عيسى بن مريم (عليه السلام) ، وإخراج مواريث الأنبياء، وغيرها)[4] . وهذه الأمور متعلقة بخروج القائم(عليه السلام) . [والله أعلم].

---

[1] ينظر : نظم الدرر : (413/18).
[2] ينظر : تفسير القمّي: 664، والمحجة :209.
[3] ينابيع المودة : 486 .
[4] ينظر : المعجم الأوسط ،الطبراني: (311/5)، وكنز العمال ، المتقي الهندي: (273/14)، والاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور:115-117.

المبحث الثاني

الجمل ذات الإسناد غير المقصود لذاته

قال تعالى :﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[الصف: 8- 9].

الدلالة المعجميّة للألفاظ (نور، دين ، حقّ):

أولاً /لفظ (نور):

ذكر بعض اللغويين أنّ النُّورَ الضِّيَاءَ[1]، وقيل: ((النُّورُ الضَّوْءُ أياً كان))[2] وَ((هُوَ خِلَافُ الظُّلْمَةِ وَالْجَمْعُ أَنْوَارٌ وَأَنَارَ الصُّبْحُ إِنَارَةً أَضَاءَ))[3] ، وَقِيلَ: ((هُوَ شُعَاعُهُ وَسُطُوعُهُ، وَالْجَمْعُ أَنْوارٌ ونِيرانٌ ... واسْتَنار بِهِ: اسْتَمَدَّ شُعاعَه. ونَوَّرَ الصبحُ: ظَهَرَ نُورُه ... وَالْمَنَارُ وَالْمَنَارَةُ: مَوْضِعُ النُّور. والمَنارَةُ: الشَّمْعة ذَاتُ السِّرَاجِ.))[4].

وفرّق أبو هلال العسكري بين (النور) و (الضياء) في قوله : ((إن الضياء مَا يَتَخَلَّل الْهَوَاء من أجزاء النُّور فيبيض بذلك وَالشَّاهِد أَنهم يَقُولُونَ ضِيَاء النَّهَار وَلَا يَقُولُونَ نور النَّهَار إِلَّا أَن يعنوا الشَّمْس فالنور الْجُمْلَة الَّتِي يتشعب مِنْهَا والضوء مصدر ضاء يضوء ضوءً يُقَال ضاء وأضاء أَي ضاء هُوَ وأضاء غَيره))[5]. فيُلحظ أنّ أبا هلال فرّق بينهما على اعتبار أن الضوء لا يُرى إلا بعد أن يَتَخَلّل الهواء من أجزاء النور ، وهي الذرات والأجزاء العالقة بالهواء ، فحين كشف عنها الضوء أُطلِق عليه نور .

وقال ابن فارس: ((النُّونُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِضَاءَةٍ وَاضْطِرَابٍ وَقِلَّةِ ثَبَاتٍ. مِنْهُ النُّورُ وَالنَّارُ، سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ طَرِيقَةِ الْإِضَاءَةِ، وَلِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ مُضْطَرِبًا سَرِيعَ الْحَرَكَةِ. ... وَالْمَنَارَةُ: مَفْعَلَةٌ مِنَ الِاسْتِنَارَةِ، وَالْأَصْلُ مَنْوَرَةٌ.

---

[1] ينظر: العين :(275/8) (نور) ، ولسان العرب: (نور).
[2] المحكم والمحيط : (318/10) (نور).
[3] المصباح المنير: (ن ور) .
[4] لسان العرب: (نور).
[5] الفروق اللغوية : (311/1).

وَمِنْهُ مَنَارُ الْأَرْضِ: حُدُودُهَا وَأَعْلَامُهَا، سُمِّيَتْ لِبَيَانِهَا وَظُهُورِهَا. وَالَّذِي قُلْنَاهُ فِي قِلَّةِ الثَّبَاتِ امْرَأَةٌ نَوَارٌ، أَيْ عَفِيفَةٌ تَنُورُ، أَيْ تَنْفِرُ مِنَ الْقَبِيحِ، وَالْجَمْعُ نُورٌ. وَنَارَتْ: نَفَرَتْ نَوْرًا))[1]. و((النّور: الضّوء المنتشر الذي يعين على الإبصار))[2] ، وجعل الراغب النور:((ضربان دنيويّ، وأخرويّ، فالدّنيويّ ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن. ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النّيّرة كالقمرين والنّجوم والنّيّرات... ومن النّور الأخرويّ قوله:﴿ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيدِيهِمْ﴾[الحديد: 12] ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيدِيهِمْ وَبِأَيمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا﴾ [التحريم: 8] ...))[3].

ويمكن القول ممّا تقدم أنّ هناك علاقة وثيقة بين (النور) و(الضوء)، وهذا لا يعني أنّ الضوء هو النور ؛ لأن الله تعالى غاير بينهما كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس : 5]، ((ولو كانت لفظة «نور» ترادف لفظة «ضياء» لاكتفى القرآن الكريم باستعمال إحدى اللفظتين فقط كأن يقول: «هو الذي جعل الشمس والقمر نوراً» أو «هو الذي جعل الشمس والقمر ضياءً» فلمّا غاير القرآن الكريم فاستعمل «النور» مع القمر، و«الضياء» مع الشمس دلَّ هذا على المغايرة بين دلالة اللفظتين))[4]. إذن ((لماذا يسمى الضوء بعد انعكاسه عن الأجسام نوراً ؟ هل لتغييرٍ طرأ عليه في تكوينه ممّا استلزم تغيير اسمه ؟ فليس من المنطق أنْ نغيّر اسمه لمجرد أنَّه ارتدَّ عن جسم. وعليه يجبُ أنْ يكون هناك رابطٌ حقيقيٌ بين لفظ الضوء وذات الضوء، ويجبُ أنْ يكون هناك تغييرٌ على مستوى التكوين أو الوظيفة في الضوء بعد انعكاسه عن الأجسام استلزم معه تغييراً في الاسم))[5]. وللجواب عن هذا السؤال لابدَّ من فهم آلية الإبصار ، فالضوء حين ينعكس عن الجسم يحمل معه صورة الجسم إلى العين. أليس هذا ما يحصل في آلية الابصار ؟[6] ، وعليه ((فالضوء هو الكاشف عن وجود الاشياء وعن ماهياتها، وهذه الوظيفة هي التي أكسبته اسم «نور» . فالضوء إذا لم يمارس وظيفة الكشف لن نسمه نورًا، ولكن

---

[1] معجم مقاييس اللغة : (378/5) (نور) .
[2] المفردات في غريب القرآن : (827/1).
[3] المصدر نفسه: (827/1-828).
[4] الزهراء (عليها السلام) في القرآن الكريم (آية المشكاة إنموذجاً)، د. مجيب سعد : 13.(بحث) مخطوط.
[5] المرجع نفسه: 16
[6] ينظر :المرجع نفسه: 16

بعد أنْ يكشف عن وجودِ الاشياءِ وماهيتها صار نورًا حيث حمل معه صورة الشيء الى العين))[1].

ومن هذا كلّه يمكن القول : أنّ كلَّ شيءٍ يقوم بوظيفة الكشف عن حقائق الأشياء وبيانّها ، يمكن تسميته (نوراً) ؛ ((فإنَّ الله تعالى هو «النور» الذي يكشف عن وجود السماوات والأرض وماهيتها باختلاف الآلية، فإنَّه لا يحمل الصور معه للعين كما في الضوء، فليس ذلك شرطاً مُلزماً، إنَّما اللازمة هو الكشف، فإنَّ أي شيء يقوم بالكشف عن شيء آخر مهما كانت الآلية المتبعة فهو نور؛ ولذلك فإنَّ في الكتب السماوية نوراً؛ لأن فيها كشفاً عن القوانين والتشريعات، وعن أخبار الماضي وأخبار المستقبل. وكذلك يُقال: العلمُ نورٌ؛ لأنَّه يكشف عن حقائق الاشياء. وإنَّ النورَ الذي يسعى هو شخصٌ يقوم بعمليةِ كشفٍ كبرى؛ فلذلك هو نور))[2].فلفظة (نور) تطلق على (الضوء) حين يقوم بعملية الكشف عن ماهية الأشياء وبيان حقائقها ؛ فعملية الكشف هي اللازمة في أطلاق اسم النور على الضوء.

ثانياً / لفظة(دّين):

ذكرت المعجمات للفظة (دين) معانٍ عديدة يمكن إجمالها بما يأتي :

1-**الجزاء ، والحساب ، والقهر ، والسلطان** : قال الخليل : ((والدِّينُ جمعه الأديانُ. والدِّينُ: الجَزاءُ لا يُجْمَعُ لأنّه مصدر، كقولِكَ: دانَ اللهُ العِبادَ يَدينهم يومَ القيامة أي يَجزيهِم ... وفي المَثَل: كما تَدينُ تدان أي كما تأتي يُؤْتَى إليكَ))[3]، وجاء في اساس البلاغة ((من دان القوم إذا ساسهم وقهرهم))[4] أي : سيّرهم وفق إرادته وقوانينه .

2- **الدَّأْب وَالْعَادَة ، الطاعة والملك**: جاء في جمهرة اللغة ((الدِّين: الدَّأْب وَالْعَادَة مَا زَالَ ذَاك دِينَه، أَي دأبه وعادته ، والدِّين: الطَّاعَة والمُلك. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ **مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ**﴾[5]، أَي فِي طَاعَته))[6] وفقاً لعاداتهم وتقاليدهم .

---

[1] الزهراء (عليها السلام) في القرآن الكريم (آية المشكاة إنموذجاً):16

[2] المرجع نفسه 17.

[3] العين : (73/8) (دين).

[4] اساس البلاغة : (دين).

[5] يوسف:76.

[6] جمهرة اللغة : (688/2) (دين).

3- **الأمّة ، والملّة** : من نحو قولهم : ((دين الله : ملة الله التي اختصّها ، وهي الإسلام))[1]، وقال أبو بكر الأنباري(ت: 328هـ): ((وتكون الأمة الدين. كما قال: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ**﴾[2] معناه: على دين))[3]. وقد فرّق أبو هلال العسكري بين (الدِّين والملّة) في قوله : ((أَن الْملَّة اسْم لجملة الشَّرِيعَة وَالدّين اسْم لما عَلَيْهِ كل وَاحِد من أَهلهَا أَلا ترى أَنه يُقَال فلَان حسن الدّين وَلَا يُقَال حسن الْملَّة وَإِنَّمَا يُقَال هُوَ من أهل الْملَّة ... وَتقول ديني دين الْمَلَائِكَة وَلَا تَقول ملتي مِلَّة الْمَلَائِكَة لِأَن الْملَّة اسْم للشرائع مَعَ الْإِقْرَار بِاللَّه وَالدّين مَا يذهب اليه الانسان ويعتقد أَنه يقربهُ إِلَى الله وَإِن لم يكن فِيهِ شرائع مثل دين أهل الشّرك وكل مِلَّة دين وَلَيْسَ كل دين مِلَّة))[4]، وقريب منه قول الشريف الجرجاني : ((الدِّين والملة : متحدات[5] بالذات، ومختلفان بالاعتبار؛ فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى: دينًا ، ومن حيث إنها تُجمع تسمى: ملة ...))[6] فالدِّين هو انقياد الفرد أو الجماعة إلى شيءٍ ما واعتياده.

4- **الانقياد والطاعة**، والذل : نحو قولهم : ((...وَقَوْمٌ دِينٌ، أَيْ مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ))[7]، و اعتبر ابن فارس ، هذا المعنى هو الأصل في مادة(دين) وما يشتق منها، كما في قوله : (((دَيَنَ) الدَّالُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ إِلَيْهِ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ كُلُّهَا. وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الِانْقِيَادِ، وَالذُّلِّ. فَالدِّينُ: الطَّاعَةُ، يُقَالُ دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، إِذَا أَصْحَبَ وَانْقَادَ وَطَاعَ. وَقَوْمٌ دِينٌ، أَيْ مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ ، وَالْمَدِينَةُ كَأَنَّهَا مَفْعَلَةٌ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُقَامُ فِيهَا طَاعَةُ ذَوِي الْأَمْرِ... فَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعَادَةَ يُقَالُ لَهَا دِينٌ، فَإِنْ كَانَ صَحِيحًا فَلِأَنَّ النَّفْسَ إِذَا اعْتَادَتْ شَيْئًا مَرَّتْ مَعَهُ وَانْقَادَتْ لَهُ))[8] . فيلحظ أنّ ابن فارس قرَّبَ بيّن معاني (دَيَنَ) في رَدِّها إلى أصلٍ واحد وهو: الانقياد والطاعة واعتياد الشيء ، وهذا المعنى يمكن أن يَصْلح كأصلٍ لمعاني (دين)، فقولهم : دان القوم ، أي انقادوا لأوامره واعتادوا عليها.

---

[1] جمهرة اللغة : (688/2)(دين).
[2] الزخرف:22.
[3] الزاهر في معاني كلمات الناس:(150/1).
[4] الفروق اللغوية : (220/1).
[5] لعلّه من الصواب أن يقول: متحدان.
[6] التعريفات: (105/1).
[7] مقاييس اللغة :(319/2) (دين)
[8] مقاييس اللغة:(319/2) (دين).

ثالثاً/ لفظة (حقّ):

سَطَّرتْ المعجمات معانٍ عديدة للفظة (حقّ) ويمكن اجّمال أهمّها بما يأتي:

1- الوجوب ،والتثبت ، واليقين ، قال الخليل : ((الحقُّ نقيض الباطل. حقَّ الشيْء يَحِقُّ حَقّاً أي وَجَبَ وُجُوباً. وتقول: يُحِقُّ عليكَ أنّ تفعَلَ كذا ... والحقيقة: ما يصيرُ إليه حقُّ الأمر ووجوبه. وبلغْتُ حقيقةَ هذا: أي يقين شأنه))[1]، وقال ابن سيده(ت: 458هـ) :((وحَقَّ الأمْرُ يحِقُّ ويَحُقُّ حَقّاً وحُقُوقا: صارَ حَقاً وثبتَ. وَفِي التَّنْزِيل ﴿**قالَ الَّذِينَ حقَّ عَلَيهِمُ الْقَوْل**﴾[2] أَي ثَبت))[3].

2- احكام الشيء وصحّته، إلى هذا الأصل أرجع ابن فارس معاني (حق) كما في قوله : ((الْحَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ الشَّيْءِ وَصِحَّتِهِ. فَالْحَقُّ نَقِيضُ الْبَاطِلِ، ثُمَّ يَرْجِعُ كُلُّ فَرْعٍ إِلَيْهِ بِجَوْدَةِ الِاسْتِخْرَاجِ وَحُسْنِ التَّلْفِيقِ وَيُقَالُ حَقَّ الشَّيْءُ وَجَبَ ... وَيُقَالُ طَعْنَةٌ مُحْتَقَّةٌ، إِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْجَوْفِ لِشِدَّتِهَا ...وَيُقَالُ ثَوْبٌ مُحَقَّقٌ، إِذَا كَانَ مُحْكَمَ النَّسْجِ... وَالْأَحَقُّ مِنَ الْخَيْلِ: الَّذِي لَا يَعْرَقُ ؛ وَهُوَ مِنَ الْبَابِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ لِصَلَابَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَإِحْكَامِهِ... وَالْحُقُّ: مُلْتَقَى كُلِّ عَظْمَيْنِ إِلَّا الظَّهْرَ ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا صُلْبًا قَوِيًّا.... وَيُقَالُ حَقَقْتُ الْأَمْرَ وَأَحْقَقْتُهُ، أَيْ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ))[4]. فأحكام الشيء وصحته هو التثبت والتيقن من الشّيء وهو : الحق.

3- المطابقة والموافقة ،وهذا ما ذهب إليه الراغب في قوله:((أصل الحَقّ: المطابقة والموافقة، كمطابقة رجل الباب في حقّه لدورانه على استقامة...))[5]. وقال الزبيدي :((وَفِي شَرْح العَقائدِ: الحَق عُرْفاً: الحُكْمُ المُطابِقُ للواقِع، يُطلَقُ على الأقوالِ والعَقائدِ والأدْيانِ والمَذاهِبِ باعتِبار اشْتِمالِها عَلَى ذلِك، ويُقابِلُه الباطِلُ، وأَمَّا الصِّدْقُ، فشاعَ فِي الأَقْوالِ فَقَط، ويُقابِلُه الكَذِبُ، وفُرِّقَ بينَهُما بأَنَّ ،المُطابَقَةَ تُعْتَبَرُ فِي الحَقِّ من جانِبِ الواقِع، وَفِي الصِّدق من جانِبِ الحُكْم، فمَتَى صَدَق الحُكمُ صَدَقَ مطابَقَتُه للواقِع ومَعْنَى حَقِّيَّتِه: حَقِّيَّة مُطابَقَةِ الواقِع إيّاه))[6]. وهذا المعنى ليس ببعيد عمّا أورده ابن فارس من إحكام الشيء وصحته .

---

[1] العين: (6/3) (حق).
[2] القصص: 63.
[3] المحكم والمحيط الأعظم:(472/2) (حق).
[4] مقاييس اللغة : (15/2)(حق).
[5] المفردات في غريب القرآن :(246/1) (حق).
[6] تاج العروس : (ح ق ق).

وجعل الراغب الأصفهاني (احقاق الحق) على ضربين [1]:

أحدهما: بإظهار الأدلّة والآيات، كما قال تعالى:﴿ **وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً** ﴾ [النساء/ 91] ، أي: حجة قوية.

والثاني: بإكمال الشريعة وبثّها في الكافّة، كقوله تعالى:﴿ **وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ** ﴾ [الصف/ 8] ، وكقوله تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾ [التوبة/ 33] .

4- الأمرُ الْمُقْتَضى المَفعُول ، والعدل ، والإسلام ..إلخ ، قال الزَّبيدي: ((والحَقُّ: الأمرُ الْمُقْتَضى المَفعُول، وَبِه فُسِّرَ قولُه تَعَالَى:﴿ **مَا نُنَزلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾[2] ويبَيِّنُ ذلِكَ قولُه تَعالى: ﴿**وَلَو أَنزَلنا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمرُ**﴾[3]. والحَق: العَدلُ. والحَقُّ: الْإِسْلَام...))[4].

فيبدو ممّا تقدم أنّ معنى (حَقّ) : هو احاطّة الشّيء بالمطابقة والموافقة بما يوجب احْكَامِهِ وصحّته .

---

[1] ينظر: المفردات في غريب القرآن :(246/1) (حق).
[2] سورة الحجر : من الآية (8).
[3] سورة الأنعام :من الآية (8)
[4] تاج العروس : (ح ق ق).

الدّلالة النحويّة :

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[الصف: 8- 9].

ذكر القرآن الكريم هاتين الآيتين متتاليتين في موردين[1]، مع اختلاف في ألفاظ الآية الأولى فقط، إذ قال تعالى في سورة التوبة:﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:32-33]. فيُلحظ أنّ الآية الثانية لم يُصبها أيّ تغيّر في الألفاظ ، وأنّ الاسم الموصول **(الذي)** وصِلَتُهُ في الآية الثانية ، قد لعبا دوراً هامّاً في ربط ووصل الآية الأولى بالآية الثانية. قال عبد القاهر الجرجاني: ((أنك لاتصل (الذي) إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع عِلم بها، وأمر قد عرّفه له...))[2]، والاسم الموصل اسم مبهم مُفتقرٌ إلى صلته ، قال الزمخشري: ((والموصول ما لا بدَّله في تمامه اسماً من جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه. وتسمى هذه الجملة صلة))[3]، فجملة الصلة هي التي تُفصحُ عن المُبهم، وتُظهِرُ المراد.

فالذي يمكن قوله: أنّ هناك ارتباط وثيق بين الآيتين لا يكاد ينفكّ عنهما، لذا لابدَّ من دراستهما معاً وعلى النحو الآتي:

أولاً / قوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ :

جملة (يريدون) تُنْبئ عن((اسْتِئْنَاف بياني ، ناشئ عَنِ الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمُ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فِي حَالِ أَنهم يدعونَ إِلى الْإِسْلَامِ))[4]؛ فالفاعل في (يريدون) يحيل

---

[1] في سورة التوبة : 32-33، وفي سورة الصف: 8-9.
[2] دلائل الاعجاز : 154.
[3] المفصل في صنعة الإعراب : 183.
[4] التحرير والتنوير : (187/28).

إحالة قبلية على الآيات السابقة وهي قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الصف:6-7]، وهذا الاستئناف البياني ، جاء للإجابة عن ((سُؤَالِ سَائِلٍ عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى هَذَا الِافْتِرَاءِ))[1]؟ ، وجاء حرف (اللام) في ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ ليُكْمِل هذه الدلالة ، وللنحويين في ذلك مذهبان[2]:

أحدهما: أن اللام تُوضع موضع (أنْ) لكثرة ما يقال: زرتك لتكرمني، فاللام لمّا شهرت بنيابتها عن (أن) وقيامها مقامها في الموقع، كان تعدي الفعل إليها مع ما بعدها من الفعل كتعديه إلى (أن) وما تنصبه من المستقبل فيقال قصدتُ أن تفرح وقصدتُ لتفرح، وهذا لا يكون إلا على سبيل التوسع دون الحقيقة.

والآخر: هو أن الفعل مُعدّى إلى مفعول محذوف، واللام الداخلة على الفعل المنصوب تكون منبئة على العلة التي لها أنشئ الفعل.

ويُفهمُ من هذا أنّ مفعول ﴿يريدون﴾ المحذوف تقديره (افتراء الكذب) أو (يريدون أنْ يكْذبوا ليطفئوا...) وقد استغنى عن ذكر المفعول هنا؛ لأنّ الآية السابقة لها بيّنتْ ذلك وهو قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ. . .﴾ [الصف :8]. واللام الداخلة على الفعل المنصوب تكون تعليلية لِمَا سبق[3]. وإلى هذا ذهب الكرماني(ت: نحو 505هـ) ، والفيروز آبادي ، كما في قولهما:((ومن أَظلم ممّن افترى على الله الكذب [يريدون ذلك][4] ليطفئوا نور الله فاللّام لام العِلَّة. وذهب بعض

---

[1] التحرير والتنوير : (187/28).

[2] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ،الخطيب الإسكافي (ت: 420هـ)،دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ، الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ،ط: 1 ،(1422 هـ - 2001 م) : (709/2).

[3] ينظر : درة التنزيل : (709/2).

[4] هذه الزيادة للفيروز آبادي، ينظر بصائر ذوي التمييز: (234/1).

النحاة إلى أَن الفعل محمول على المصدر. أَي إرادتهم لإطفاءِ نور الله))[1]، فاللام أفادت التعليل.

وذكر محيي الدين درويش في هذه (اللام) ثلاثة آراء[2]:

1-أنّها مزيدة في مفعول الإرادة ، قال الزمخشّري: ((أصله يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة توكيداً له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك لإكرامك كما زيدت اللام في لا أباً لك تأكيداً لمعنى الإضافة في لا أباك))[3] ، وقال ابن عطية مؤيداً هذا الرأي: ((واللام في ليطفئوا لام مؤكدة دخلت على المفعول لأن التقدير يريدون أن يطفئوا))[4] .

2- أنّها لام التعليل والمفعول محذوف أي يريدون إبطال القرآن أو رفع الإسلام أو هلاك الرسول ليطفئوا.

3- أنّها بمعنى أنْ الناصبة وأنّها ناصبة للفعل بنفسها. وهذا ما ذهب إليه الكوفيون، في حين جعل البصريون الناصب للفعل هي (أنْ) مقدّرة بعدها[5] .

وقول الزمخشّري وابن عطيّة بأنّ (اللام) زيدتْ للتوكيد ؛ والتقدير هو (يريدون أن يطفئوا) مثيرٌ للسؤال؟ قال الخطيب الإسكافي(ت: 420هـ) : ((للسائل أن يسأل فيقول: قال تعالى في الآية الأولى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾[6] وقال في الثانية ﴿لِيُطْفِئُوا﴾[7] فما الذي أوجب اختصاص الأولى بما اختصت به، والثانية باللام دون أن تكون مثل الأولى بـ أن وهي الأصل في تعدي الإرادة إليه؟ والجواب أن يقال: إنّ الإرادة في الآية الأولى تعلقت بإطفاء نور الله بأفواههم، وإطفاء نور الله إنّما يكون بما حاولوا من دفع الحق بالباطل ...))[8]. وفي سورة الصف تعلّقت الإرادة بما قبلها ، ((فكأنّه قيل: يريدون افتراء الكذب ليطفئوا نور الله... فلهذا خصّت الآية الثانية

---

[1] أسرار التكرار في القرآن ،الكرماني، تحق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض،دار النشر: دار الفضيلة : (136/1) ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، تحق: محمد علي النجار ،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة : (234/1).

[2] اعراب القرآن وبيانه : (82/10).

[3] الكشاف : (525/4).

[4] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (303/5).

[5] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: (469/2).

[6] التوبة : 32.

[7] الصف:9

[8] درة التنزيل وغرة التأويل : (709/2).

بدخول اللام على يطفئوا...))[1]. فيُفْهَمُ من كلام الإسكافي أنّ استعمال (أنْ) المصدرية في سورة التوبة ، أوضحتْ بأنّ الإرادة تعلقتْ بالإطفاء ، فيكون التقدير (يريدون إطفاء نور الله بأفواههم) ، في حين استعمال (اللام) في سورة الصف بدلاً من (أنْ) يُنبئ عن إضّمار لمفعول الإرادة نوّهتْ إليه الآية السابقة لها وهو (افتراء الكذب على الله) ؛ لأن هؤلاء القوم هم ممّن﴿ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ وهؤلاء يُضمرون إرادتهم الحقيقة ، في حين تجد المصدر المؤول في سورة التوبة ؛ لأن ((لدخول أن على الفعل دون الاكتفاء بالمصدر ثلاث فوائد أحدها: أن المصدر قد يكون فيما مضى وفيما هو آت وليس في صيغته ما يدل عليه فجاءوا بلفظ الفعل المشتق منه مع أن ليجتمع لهم الإخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمان الثانية: أنْ تدل على إمكان الفعل دون الوجوب والاستحالة الثالثة: أنها تدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه ففيها تحصين من الإشكال وتخليص له من شوائب الإجمال...))[2]؛ لذلك جاء الرّد عليهم ، صريحاً وقوياً وهو قوله : ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾. وقال الفيروز آبادي : ((وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ الله﴾ وفي الصف ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ الله﴾ هذه الآية تشبه قوله: ﴿يُرِيْدُ الله أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ و ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ حذف اللام من الآية الأُولى، لأَنَّ مرادهم إطفاء نور الله بأَفواههم، وهو المفعول به، والتقدير: ذلك قولهم بأَفواههم، ومرادهم إطفاء نور الله بأَفواههم. والمراد الذى هو المفعول به في الصفِّ مضمر تقديره: ومن أَظلم ممّن افترى على الله الكذب [يريدون ذلك] ليطفئوا نور الله فاللَّام لام العِلَّة))[3]. والتعليل بـ(اللام) يفيد سبب حدوث الفعل ، كما تقول : (جئتُ للاستفادة) ، فاللام أوضحت سبب المجيء ، والعلّة المقترنة بـ (اللام) قد تكون حاصلة قبل الفعل ، وقد تكون مراداً تحصيلها ،فقولك: (جئتُ للاستفادة) ، فالاستفادة غير حاصلة في اثناء المجيء ، وإنّما يُطلَبُ تحصيلها، وقولك: (عاقبته لإساءته إلى فلان) فالعلّة موجودة قبل الفعل ، والتعليل بـ (اللام) يفيد أيضاً الاختصاص والاستحقاق[4] .

وعلى هذا يكون التركيب في آية البحث يدلّ على حدوث إرادتهم وتجددها طلباً للإطفاء (نور الله) بواسطة أفواههم ؛ فقابل تعالى هذه الجملة الفعلية ، بجملة اسمية

---

[1] درة التنزيل وغرة التأويل : (709/2).
[2] بدائع الفوائد :(92/1)، ومعاني النحو: (127/3).
[3] بصائر ذوي التمييز: (233/1-234).
[4] ينظر: معاني النحو : (78/3-79).

وأسندها لنفسه ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾، وَ((الْجُمْلَةُ الِاسْمِيَّةُ تُفِيدُ ثُبُوتَ هَذَا الْإِتْمَامِ. وَالتَّمَامُ: هُوَ حُصُولُ جَمِيعِ مَا لِلشَّيْءِ))[1]؛ لتدلّ على أنّ إتمام النور بمنزلة الحاصل والثابت ، وأنّ أيّ محاولة لإطفاء (نور الله) ، مصيرها الفشل لا محالة .

ثانياً/ قوله تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. . .﴾:

ابتداء الآية الكريمة بالضمير (هو) والاسم الموصول (الذي) فيه دلالة على صلة هذه الآية بسابقتها ، وعلى قوّة العلاقة بينهما، وعلى معرفيّتها، جاء في دلائل الإعجاز((أنك لاتصل (الذي) إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها، وأمر قد عرّفه له...))[2]، فهي آية مُسْتَأْنَفَةٌ مُقَرِّرَةٌ لِمَا قَبْلَهَا[3] ، جاء في تفسير المنار ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ هَذَا بَيَانٌ مُسْتَأْنَفٌ لِلْمُرَادِ مِنْ إِتْمَامِ نُورِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهُوَ أَنَّ اللهَ الَّذِي كَفَلَ إِتْمَامَ هَذَا النُّورِ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ...))[4]، وقال ابن عاشور: ((هَذَا زِيَادَةُ تَحَدٍّ لِلْمُشْرِكِينَ وَأَحْلَافِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيهِ تَقْوِيَةٌ لِمَضْمُونِ قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصَّفّ: 8] . وَفِيهِ مَعْنَى التَّعْلِيلِ لِلْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهُ))[5]. وفي سورة التوبة قال عنها :((وَاجْتِلَابُ اسْمُ الْمَوْصُولِ: لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ مَضْمُونَ الصِّلَةِ عِلَّةٌ لِلْجُمْلَةِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْجُمْلَةُ وَهِيَ جُمْلَةُ: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾[التَّوْبَة: 32]))[6]. إذن هذه الآية مُقَرِّرَةٌ لِمَا قَبْلَهَا ، وهو قوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ ، رداً على إرادتهم لإطفاء نوره ؛ لأن (نور الله)هو الكاشف والمظهر لدين الحق ؛لذلك يريدون إطفاء هذا النور .

والمركب ﴿دينِ الحقّ﴾ مركب إضافي أفاد التعريف ؛لأنّ الإضافة فيه إضافة محضّة ، والمضاف إليه معرّف ، ((والتعريف بالإضافة كالتعريف بـ(ال)،قد يكون للعهد ، وقد يكون للجنس))[7]، وهذا يدلّ أنّهم على معرفةٍ بـ(دين الحق)، وهو

---

(1) التحرير والتنوير : (190/28).
(2) دلائل الاعجاز : 154.
(3) ينظر : فتح القدير: (263/5).
(4) تفسير المنار: (338/10).
(5) التحرير والتنوير: (192/28)
(6)التحرير والتنوير: (173/10).
(7) معاني النحو : (107/3).

الإسلام، بدليل قوله تعالى :﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ**. . .﴾[الصف:7] ؛ وهذا يبّين أنّ إرادتهم من الافتراء على الله لإطفاء نوره ؛لأن (نور الله) هو الذي يكشف نواياهم، ويُفْرِزُ الحقَّ من الباطلِ، قال الخطيب الإسكافي : ((والنور يجوز أن يكون الآية المنيرة والحجة الساطعة ويجوز أن يكون المراد به القرآن، ويجوز أن يكون المراد به النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾ [الأحزاب: 45-46]. فالسراج المنير يسمى نوراً))[1] فـ ﴿**نور الله**﴾ وظِّفَ للدلالة عن الكشف وإظهار الحقائق سواء أكان الآية المنيرة ، أم القرآن الكريم ، أم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فكلٌّ يَمْكُنهُ الكشف وإظهار الحقائق، قال الرازي: ((... يُقَالُ فِي الرَّسُولِ: إِنَّهُ النُّورُ، وَإِلَّا لَمَا وُصِفَ بِصِفَةِ كَوْنِهِ رَحْمَةً لِلْعَالِمِينَ... نَقُولُ: إِنَّهُ هُوَ النُّورُ، لِأَنَّهُ بِوَاسِطَتِهِ اهْتَدَى، الْخَلْقُ، أَوْ هُوَ النُّورُ لِكَوْنِهِ مُبَيِّنًا لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ، وَالْمُبِينُ هُوَ النُّورُ))[2]. فقد أطلق لفظ (نور) على مَن كشف وبيّن للنّاس ما أُنْزِل إليهم من ربّهم.

ثالثاً /قوله تعالى : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ :

جاءتْ(اللام) هنا لتوضّح الغاية والمراد الإلهي من إتمام نوره وإرسال رسوله. هل ليَعُمُّ الظلامُ ويظهرُ الشرك ، وتُملأ الأرض ظلماً وجوراً ؟!! أم لغاية تكاملية أرادها الله تعالى ؟ قال ابن عاشور : ((وَتَعْلِيلُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ إِعْلَامٌ بِأَنَّ اللَّهَ أَرَادَ ظُهُورَ هَذَا الدِّينِ وَانْتِشَارَهُ...))[3] لبسط العدل في أرجاء المعمورة.

وضمير (الهاء) في ﴿**لِيُظْهِرَهُ**﴾ فيه رأيان :

الأول: أنّه يعود على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ،فيكون المعنى ((لِيُظْهِرَهُ ليطلعه ويعلّمه الشرائع كلّها والحلال والحرام))[4] وهذا تأويل بعيد .

---

[1] درة التنزيل وغرة التأويل : (705/2-706)
[2] مفاتيح الغيب: (529/29-530).
[3] التحرير والتنور : (192/28).
[4] المحرر الوجيز : (26/3).

والثاني: ((إنّ الضمير عائد على الدين وإظهاره عند نزول عيسى ابن مريم وكون الأديان كلها راجعة إلى دين الإسلام فذلك إظهاره))[1]. والذي يبدو من القرائن، أنّ الضمير يعود على (دين الحق) ؛ لأنّ عائديّة الضمائر في الغالب تكون للأقرب ، وأنّ لفظ (ظهر) يدلّ على القوة والبروز، ومنه سميَّ وقت الظهر والظهيرة ، والظهور هو الغلبة[2]. و (ال) التعريف في قوله :﴿**على الدّينِ كلِّه**﴾ هي للجنس أفادت الاستغراق[3]. وهذا يدلّ أنّ هناك أديان بجانب (دين الحق) ،ولكنّها غير حقّة لأنّها لا تَمُتُّ للإسلام بصلة، فبيّن الحق تعالى أنّ (دين الحق) هو الذي سيظهر على هذه الأديان كلّها وهذا ما دلّت عليه كثير من الأحاديث والروايات الشريفة.

يُسْتَشَفُّ ممّا تقدّم في الآيتين الكريمتين أنّه لا بدّ من أمرين مهمّين أنْ يتحققا في يومٍ ما ، **أحدهما** : إتمام النور الإلهي ، **والثاني:** إظهار دين الحق على الدّين كله، وهذا ما سنبحثه في الاستعمال القرآني.

الاستعمال القرآني للفظ (نور) ومصاحباته:

وردت لفظ (نور) وما يشتق منه في القرآن الكريم (49) مرة ،وهو عدد يتطلب مساحة واسعة ؛ لذا سيذكر البحثُ أهم السِّمات والملامح الدلالية التي يمكن رصدها للفظ (نور) ومصاحباته في الموارد القرآنية ، **ويمكن إجمال أهمّها بما يأتي:**

أولاً : إنّ لفظ (نور) ارتبط بالأشخاص[4] ، كما في قوله تعالى :﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا . . .** ﴾[الانعام:122].

وقوله:﴿ **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ . . .** ﴾[النور:40].

وقوله:﴿ **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . . .** ﴾[الحديد:12].

وقوله:﴿ **. . .انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ...**﴾[الحديد:13].

---

[1] المحرر الوجيز : (26/3).
[2] ينظر :معجم مقاييس اللغة : (471/3)(ظهر).
[3] ينظر : البحر المديد : (375/2).
[4] ينظر :أصل الخلق :106.

وقوله:﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا . . .﴾[التحريم:8].

والذي يبدو من هذه الآيات أنّ نور هؤلاء الأشخاص لا ينّفك عنهم ، فهو لهم في جميع الموارد، وهو بمثابة شيء يملكونه ، يتحرك حيث ما كانوا ،وأنّ هذا النور منسوب للأشخاص وهذا واضح من الضمائر المتصلة بالألفاظ (نورهم) ،(نوركم)، (نورنا)، فهو متصلٌ بهم وممتد إلى الخارج ، وأنّ لهذا النور حركةٌ واضحةٌ ، وهي أنه (يسعى)[1].

ولفظ (يسعى)في جميع الموارد القرآنية وهي (31) مورداً ارتبط بالأشخاص إلا في موردٍ واحدٍ فقط ،ارتبط بكائنات ليست من جنس الإنسان[2]. وهو قوله تعالى: ﴿ . . .ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا . . .﴾[البقرة:260].

أمّا في بقيّة الموارد فارتبط بالأشخاص ، نحو قوله:﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[الإسراء:19]، وقوله تعالى:﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾[القصص:20] ،وقوله:﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾[عبس:8] .

ثانياً: ارتبط لفظ (نور) بـ (الإتمام الإلهي)، كما في قوله تعالى:﴿ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[التوبة:32] ، وقوله:﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[الصف:9]. وقوله :﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[التحريم:8]. فإتمام النور يكون من الله (عزّ وجلّ)، و(والإتمام الإلهي) في القرآن الكريم ارتبط بـ(كلمات الله)، وبـ(النعمّة الإلهية) كما في قوله تعالى:﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:124]. وقوله:﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ...﴾

---

[1]ينظر :أصل الخلق :106.
[2] ينظر المرجع نفسه:107.

[الأنعام:115].وقوله:﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى. . .﴾[الاعراف:137]. وقوله:﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود:119].

فهذه الموارد تبيّن الإتمام الإلهي لكلماته. أمّا موارد إتمام (النعمة إلهية) فهي سبعة موارد[1]، منها قوله تعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾[المائدة:3]، وقوله تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[يوسف:6]. وقوله تعالى:﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[الفتح:2]. ...إلخ.

وهذه المصاحبات هي من نوع المصاحبات الحرّة[2]؛ لأنّها تقبل الاستبدال بألفاظ أخرى، لكنّها تفتح للبحث أبواباً لمعرفة (النور الإلهي) . فمثلاً ارتباط (الإتمام) بـ(الكلمة) و(الكلمات) يجرّ البحث لمعرفة الاستعمال القرآني لهذه(الكلمات) وعلاقتها بـ (النور الإلهي).

لقد استعمل القرآن الكريم (الكلام) و(الكلم) ، و(الكلمة) و(الكلمات)، والذي يبدو من الوهلة الأولى أنّ هذه الألفاظ مترادفة ؛ لتقارب مادتها الاشتقاقية ، ولكن عند تتبع الاستعمال القرآني لها تجد مغايرَةً في دلالاتها ، فقال تعالى:﴿ . . . يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ...﴾[البقرة:75]. وقال:﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾[الفتح:15]، وقال تعالى:﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[النساء:46]، وقال:﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾[المائدة:41].

---

[1] ينظر :المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:198.
[2]ينظر: المصاحبات المعجمية :101.

في حين نفى الحقّ تعالى إمكانية التبديل ، وحتى وجود المُبَدِّل لكلماته ، كما في قوله:﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[الأنعام:34]، وقوله:﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[الأنعام:115]، وقوله:﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[يونس:64].

وهذا تفريق واضح بين (الكلام) الذي جمعه (الكَلِم) وبين (الكلمة) التي جمعها(الكلمات)، والذي يبدو أنّ هذه الكلمات هي خلق من خلق الله ،وليست ألفاظ ؛ لذا قال تعالى:﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[الروم:30]،وقال تعالى :﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ. . .﴾[آل عمران:45]، وقال تعالى:﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[النساء :171] ، وقال تعالى :﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۞ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران:38-39].

فتأمّل حين دعا زكريا (عليه السلام) ربّه بأنْ يَهَبَ لهُ ذريّةً طيّبةً، بشّرتهُ الملائكة بيحيى مصدِّقا بكلمة من الله ، قال الفرّاء: ((بِكَلِمَةٍ يعنى مصدّقاً بعيسى))[1]. فالأنبياء بعضهم يصَدِّق بعض لإكمال المشروع الإلهي ، قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ. . .﴾[الصف:6] .

ولفظ الذريّة الذي صاحب (الكلمة) ؛ يدلّ على أنّ هذه (الكلمات) تشير إلى شخوص وليست ألفاظاً كما هو متبادر إلى الذهن ، قال تعالى:﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:124] ،

[1] معاني القرآن ، الفراء : (212/1).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الانعام:34]،وقال تعالى :﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف :28]. اختلفتْ الآراء في معنى (كلمة) في هذه الآية ، فقيل : ((هو قول: لا إله إلا الله، كلمة باقية في عقبه، وهم ذريّته، فلم يزل في ذريّته من يقول ذلك من بعده... وقيل]: شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذريته من يقولها من بعده...[وقيل]: التوحيد والإخلاص، ولا يزال في ذريّته من يوحد الله ويعبده.... وقال آخرون: الكلمة التي جعلها الله في عقبه اسم))[1]. فالذي يبدو من مصاحبات هذه المفردة أنّها تدلّ على اسم في ذريّة ابراهيم (عليه السلام) ، وليس على مجموعة من الألفاظ. [والله أعلم].

والبّحث في هذه المفردة طويل جداً ، ويحتاج إلى مساحة أوسع من هذا البحث البسيط ؛ لأنّ هذه المفردة ستَجرُّ البحث إلى لفظة (الشجرة) التي هي الأخرى حُصِرَ معناها في الشجرة النباتية ، والنّاس البسطاء يقولون :شجرة آل فلان . يعنون العشيرة ، أفلم يكن لآل فلان جذر وأصل وأغصان وثمار ؟ فلِمَ لا تكون الشجرة ذريّة أيضاً؟ أم إلا إذا كانت مجازاً؟!!. قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾[ابراهيم :24]. فالنور يوقد من تلك الشجرة المباركة ، قال تعالى :﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾[النور:35].

فالواقع أنّ هناك فرق بين (الكلمات)و(الكلام)،فالكلام: ((هو(الألفاظ)المصاغة في عبارات وجمل برموز صوتية في لغة من اللغات))[2]، أمّا الكلمات في الآيات آنفة الذكر فهي(موجودات) مشخّصة ، سلبية أو ايجابية ؛ لذلك فرّق القرآن الكريم

---

(1) جامع البيان في تأويل آي القرآن: (589/21)، وينظر: مفاتيح الغيب : (629/27)، وفتح القدير: (633/4).

(2) أصل الخلق :87.

بين الكلمات وبين الكتب المتكونة من الألفاظ، قال تعالى:﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[التحريم:12]. فهي صدّقت بالكلمات أولاً ؛ لأنّها غاية ، والكتب وسيلة[1].

فالِانْحِرَافُ يصيب الكلام، والانحراف في اللغة (العدول)، ((يُقَالُ انْحَرَفَ عَنْهُ يَنْحَرِفُ انْحِرَافًا. وَحَرَّفْتُهُ أَنَا عَنْهُ، أَيْ عَدَلْتُ بِهِ عَنْهُ))[2]. فـ ((التَّحْرِيفُ التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ وَأَصْلُهُ مِنَ الِانْحِرَافِ عَنِ الشَّيْءِ وَالتَّحْرِيفِ عَنْهُ...وَالتَّحْرِيفُ هُوَ إِمَالَةُ الشَّيْءِ عَنْ حَقِّهِ، يُقَالُ: قَلَمٌ مُحَرَّفٌ إِذَا كَانَ رَأْسُهُ قَطُّ مَائِلًا غَيْرَ مُسْتَقِيمٍ))[3]. ومن ذا فتحريف (الكلام) و(الكلم) يحصل في ألفاظ التركيب، والمعنى؛ لأنه متكوّن منهما ،جاء في المحرر الوجيز((يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ فقال قوم ... تحريفهم هو بالتأويل ولا قدرة لهم على تبديل الألفاظ في التوراة ولا يتمكن لهم ذلك ويدل على ذلك بقاء آية الرجم واحتياجهم إلى أن يضع القارئ يده عليها، وقالت فرقة: بل حرفوا الكلام وبدلوه أيضاً وفعلوا الأمرين جميعاً بحسب ما أمكنهم. ... وألفاظ القرآن تحتمل المعنيين فقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: 79] يقتضي التبديل. ولا شك أنهم فعلوا الأمرين.))[4]، و جاء في مفاتيح الغيب((... إِنَّ التَّحْرِيفَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي اللَّفْظِ أَوْ فِي الْمَعْنَى، وَحَمْلُ التَّحْرِيفِ عَلَى تَغْيِيرِ اللَّفْظِ أَوْلَى مِنْ حَمْلِهِ عَلَى تَغْيِيرِ الْمَعْنَى، لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا كَانَ بَاقِيًا عَلَى جِهَتِهِ وَغَيَّرُوا تَأْوِيلَهُ فَإِنَّمَا يَكُونُونَ مُغَيِّرِينَ لِمَعْنَاهُ لَا لِنَفْسِ الْكَلَامِ الْمَسْمُوعِ، فَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى ذَلِكَ كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ أَنَّهُمْ زَادُوا فِيهِ وَنَقَصُوا فَهُوَ أَوْلَى، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ ذَلِكَ فَيَجِبُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى تَغْيِيرِ تَأْوِيلِهِ ..))[5]. فَهُمْ يُحرّفون كلام الله ويبدّلونه ، ولكن لا يستطيعون تحريف كلمات الله ولا تبديلها ؛ لذلك لجأوا إلى عملية بشعةٍ ألا وهي إزالة كلمات الله عن مراتبها التي رتّبها الله بها .

ثالثاً / النور موجود في الكتب : ورد في بعض الآيات أنّ النور موجود في الكتب المقدّسة ، وهذا شيء اعتيادي ؛ لأنّ هذه الكتب وسيلة أو آلة للكشف والبيان عن التشريعات والقوانين الإلهية ، وفيها أيضاً كشفٌ عن أخبار الماضي وأحداثه ...إلخ ،

---

[1] ينظر :أصل الخلق.
[2] معجم مقاييس اللغة: (42/2)(حرف).
[3] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: (560/3).
[4] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (169/2).
[5] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: (560/3).

قال تعالى :﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة :44]، وقال تعالى:﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة:46] .

فالتوراة فيها هدىً ونور ،جاء في جامع البيان ((إنا أنزلنا التوراة فيها بيانُ ما سألك هؤلاء اليهود عنه من حكم الزانيين المحصنين))[1]،وقال الزمخشري: ((فِيها هُدىً يهدى للحق والعدل وَنُورٌ يبين ما استبهم من الأحكام))[2] ، فهي إذن لم تبتعد عن معنى الكشف والبيان للتشريعات الإلهية.

رابعاً/ النور مغاير للكتاب: ذكر الله تعالى النور مغاير للكتاب ، بل هو مع الكتاب ، كما في قوله:﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[المائدة:15] . عطف الحق تعالى الكتاب المبين على النور ، واو العطف هنا أفادت المغايرة في دلالة اللفظتين .

ويحتمل أنْ يكون النور في هذا التركيب يدلّ على شخصٍ معين، جاء في جامع البيان ((يعني بالنور، محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي أنار الله به الحقَّ، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به يبيّن الحق. ومن إنارته الحق، تبيينُه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب))[3] ، وقال ابن عطية : ((نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ يحتمل أن يريد محمداً صلى الله عليه وسلم والقرآن، وهذا هو ظاهر الألفاظ، ويحتمل أن يريد موسى عليه السلام والتوراة))[4].

فسواء أكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، أم موسى (عليه السلام) ، فكلاهما يقوم بعملية الكشف والبيان عن حقائق الأمور.

خامساً / نور الله موجود في بيوتٍ : قال تعالى:﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ

---

[1] جامع البيان في تأول آي القرآن: (338/10).
[2] الكشاف: (636/1).
[3] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (143/10).
[4] المحرر الوجيز : (171/2).

﴿الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[النور:35-36].

فالله تعالى شبّه مثل نوره بمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة... إلخ ، وقد يسأل سائلٌ أين توجد هذه المشكاة ؟، فقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ..﴾ ، ولم يكتفِ بذكرِ البيوت ، بل وصف الذين فيها فقال:﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ. . .﴾[النور:36]. ، وإلى هذا ذهب الطبري كما في قوله : ((مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، في بيوت أذن الله أن ترفع))[1]، وقال الثعلبي (ت: 427هـ): ((ثمّ قال عزّ من قائل فِي بُيُوتٍ نظم الآية: ذلك المصباح في بيوت ويجوز أن يكون معناه: توقد في بيوت..))[2]، وجاء في مفاتيح الغيب ((أَنَّ التَّقْدِيرَ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ وَهُوَ اخْتِيَارُ كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ))[3]. ولو تتبعنا لفظة البيوت في الاستعمال القرآني لوجدناها غير المساجد ، ولكن لا تسمح رقعة البّحث بذلك ، فنكتفي بما ذكره الثعلبي في قوله : ((فقال قوم: هذا مثل ضربه الله سبحانه لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلّم، وقال شمر بن عطية: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال له: حدّثني عن قوله سبحانه وتعالى مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ الآية فقال كعب: هذا مثل ضربه الله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلّم، فالمشكاة صدره، والزُّجاجَةُ قلبه، والْمِصْباحُ فيه النبوّة، توقد مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ وهي شجرة النبوّة، يكاد نور محمد وأمره يتبيّن للناس ولو لم يتكلّم أنّه نبيّ كما يكاد ذلك الزيت يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ))[4]. فالنور : لفظٌ يُطْلَقُ على مَنْ يقوم بوظيفة الكشف والبيان ، سواء أكان شخصّاً أم ضوءً أم كتاباً ، أم علماً ،أم شيئاً آخر ؛ لذلك فـ (نور الله) في آية البحث يحتمل أنْ يكون شخصّاً انتخبه الله ليكون نوره ، وتلك الأنوار ، والكلمات تُوصِلُ لهذا النور العظيم الشامل المسمى بـ(نور الله) ، ويأبى الله إلا أن يُتمَّ نوره ، والإتمام هو حصول جميع ما للشيء ، فإظهار دين الحق على الدّين كلّه ، وإقامة العدل الإلهي يحتاج إلى إتمامٍ لهذا النور ليعمُّ المعمورة كلّها، قال تعالى:﴿. . .

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۞لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ

---

[1] جامع البيان في تأويل آي القرآن : (189/19).
[2] الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (106/7).
[3] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير : (395/24).
[4] الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (105/7).

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾[الأنفال:7-8] . فـ ((إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل يكون (بكلمات الله)، وهم حسب الحديث الشريف المطبق للآية العترة الطاهرة ، وهذا التطبيق يُفيد أن إحقاق الحق وإزهاق الباطل يكون باتّباعهم وموالاتهم (عليهم السلام)))[1]. فكلمات الله شخوص يمتثلون لأوامر الله تعالى ، وبهم الله يحق الحقّ ويبطل الباطل ، ويقطع دابر الكافرين.

ويمكن توضح العلاقة بين النور والشجرة والكلمات والفعل يسعى بالمخطط الآتي[2]:

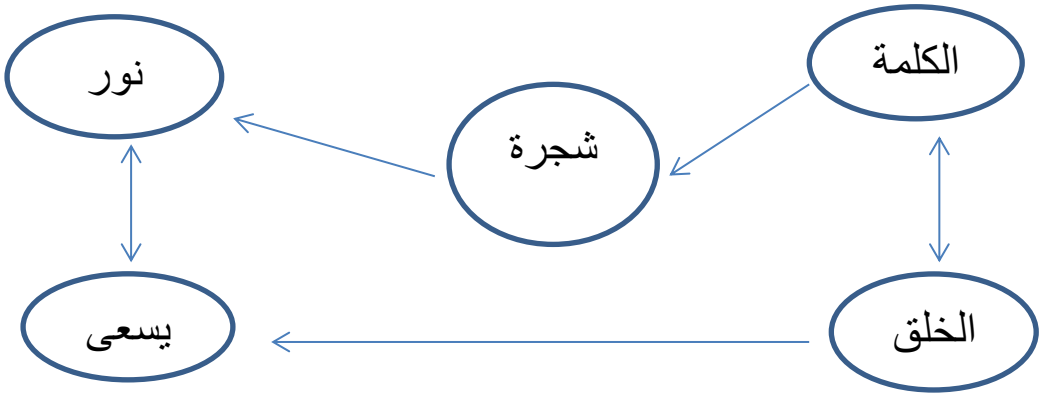

والذي يبدو من المخطط أن الخلق كلمات ، والكلمات هي شخوص ، وأنّ الشجرة متكوّنة من الكلمات ، والنور يوقد من الشجرة ، وأنّ هذا النور يسعى ، كما أنّ الخلق يسعى .

المعضِّدات:

ذكرت كتب الحديث والرواية عن أهل البيت (عليهم السلام) أقوال وروايات تحدّثت عن (الكلمات) المذكورة بالقرآن وعن النور ، بما يؤكد ما ذهب إليه البحث من نحو ما ورد عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ((إنّ الإمام ليسمع في بطن أمّه ، فإذا ولد

---

[1] موسوعة الإمام المهدي (عج) ، (الرؤية القرآنية للقضية المهدوية)، عرفان محمود : (512/1).

[2] أصل الخلق وأمر السجود : 107.

خطّ بين كتفيه :﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] فإذا صار الأمر إليه ، جعل الله له عموداً من نور يبصر به ما يعمل أهل كلّ بلدة))[2].

وذكر العلامة البحراني هذا القول في تفسيره بألفاظٍ مختلفة ،عن يونس بن ظبيان ، قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: ((إنّ الإمام إذا أراد أن يُحمَل له بإمام أتي بسبع ورقات من الجنة ، فأكلهن قبل أن يواقع - قال- فإذا وقع في الرحم سمع الكلام في بطن أمه ، فإذا وضعته رفع له عمود من نور ، ما بين السماء والأرض ، يرى ما بين المشرق والمغرب ، وكُتب على عضده ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[3]))[4] .

وذكر الشيخ الصدوق عن المفضّل بن عمر ، بأسانيدٍ تقدّمت ، ((عن الصادق جعفر بن محمّد(عليه السلام) قال : سألته عن قول الله عز وجل : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[5] ما هذه الكلمات ؟ قال : هي الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب الله عليه وهو أنّه قال : ((أسألك بحقّ محمّد وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليَّ)) فتاب الله عليه إنّه هو التوّاب الرّحيم ، فقلت له: يا بن رسول الله فما يعني (عز وجل) بقوله ﴿فأتمّهنّ﴾ ؟ قال : يعني فأتمهنَّ إلى القائم اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين...))[6]

وجاء في تفسير العياشي(ت:320هـ) ((عن جابر ، قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن تفسير هذه الآية في قول الله :﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[7] قال أبو جعفر (عليه السلام) : تفسيرها في الباطن يريد الله فإنه شيء يريده ولم يفعله بعد ، وأما قوله : ﴿يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ فإنه يعني يحق حقّ آل محمد وأما قوله : ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ قال:

---

(1) الانعام:115.
(2) أصول الكافي :(291/1)، بصائر الدرجات، الصفّار(ت:290هـ) ، شركة الأعلمي ،بيروت – لبنان، ط1(1431هـ-2010م) : (482/9)، و بحار الانوار : (26/ 134)، وعنه مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم: (205/1).
(3) الانعام :115.
(4) تفسير البرهان ، هاشم البحراني : (88/9) ، و عوالم البيان في مهدي القرآن :184-185 .
(5) البقرة : من الآية 124.
(6) كمال الدين وتمام النعمة : (336/2).
(7) الانفال :7.

كلماته في الباطن علي (عليه السلام)هو كلمة الله في الباطن ، وأما قوله : ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾فهم بنو أمية هم الكافرون ، يقطع الله دابرهم ، وأما قوله :﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ فإنه يعني حق آل محمد حين يقوم القائم (عليه السلام) . وأما قوله : ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ يعني القائم (عليه السلام) ، فإذا قام يبطل باطل بني أميّة ، وذلك قوله :﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[1]))[2].

وجاء في الكافي الشريف عن محمد بن الفضيل ،عن الإمام الكاظم(183هـ) (عليه السلام) : ((سألته عن قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾؟ قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم. قلت: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ ؟ قال: والله متم الإمامة، لقوله عز وجل: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾[التغابن8]، فالنور هو الإمام . قلت: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ ؟ قال: هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه والولاية هي دين الحق. قلت: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾؟ قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم ، قال: يقول الله: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ ، ولاية القائم . ولو كره الكافرون ، بولاية علي عليه السلام))[3].

الاستعمال القرآني : لـ(دين الحق) ومصاحباته:

ذُكِرَ المركبُ ﴿دين الحق﴾ في أربعِ آياتٍ من القرآن الكريم ، وهي قوله تعالى :

---

(1) الانفال: 7-8.
(2) تفسير العياشي : (186/2) ، وعوالم البيان في مهدي القرآن : 188 .
(3) أصول الكافي:(327/1).

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:29].

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:33].

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح:28].

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[الصف:9].

فقوله تعالى :﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ صفة معطوفة بحرف الواو على ما قبلها ، وهي صفة جامعة لما قبلها من الصفات؛ لأنّ الذي لا يَدين دين الحقّ ، فهو من الأولى أنّه لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرّم ما حرّم الله ورسوله. أو إنّه أخلّ بواحدة من هذه الصفات، وإذا أخلّ بواحدة من الصفات المذكورة فهو لم يَدين بدين الحقّ حتماً ، قال المودودي(ت: 1399هـ): (((الدين الحق) في هذه الآية كلمة اصطلاحية قد شرح معانيها واضع الاصطلاح نفسه عز وجل، في الجمل الثلاث الأولى))[1]، فجملة الصلة ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ تُبَيّن أنّ هؤلاء يدينون بدينٍ ولكنّه ليس بدين الحقّ ، قال تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ...﴾[آل عمران :72-73] ، قال البغوي في معنى قوله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ : ((أَيْ لَا تُصَدِّقُوا ﴿إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ وَافَقَ مِلَّتَكُمْ وَاللَّامُ فِي "لِمَنْ" صِلَةٌ، أَيْ لَا تُصَدِّقُوا إِلَّا مَنْ تَبِعَ دِينَكُمُ الْيَهُودِيَّةَ))[2]، ودين اليهودية غير دين الإسلام ، فـ ﴿الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران:19].

---

[1] المصطلحات الأربعة في القرآن : (78/1).
[2] معالم التنزيل في تفسير القرآن: (54/2).

فاستعمال (دين الحقّ) بهذه الصيغة يُعدُّ الفارز والفيصل بين الأديان الأخرى ، وهذا متأتي من لفظة (الحقّ) المضافة إلى (دين) ليتحدا فيكوّنا مركباً ذا دلالة خاصة. فبعض الناس يدين بدين الملك أو السلطة دون دين الله ، قال تعالى:﴿**مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ**﴾ [يوسف: 76]. وقال تعالى: ﴿**وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدعُ ربّه إني أخاف أن يبدّل دينكم أو يظهر في الأرض الفساد**﴾ [غافر: 26]. والذي يتتبع تفاصيل قصة موسى (عليه السلام) وفرعون في القرآن الكريم، ((لا يبقى من شك أن كلمة (الدين) لم ترد في تلك الآيات بمعنى النحلة والديانة فحسب،[بل] أريد بها الدولة ونظام المدينة أيضاً. فكان مما يخشاه فرعون ويعلنه: أنه إن نجح موسى عليه السلام في دعوته، فإن الدولة ستزول وإن نظام الحياة القائم على حاكمية الفراعنة والقوانين والتقاليد الرائجة سيقتلع من أصله. ثم إما أن يقوم مقامه نظام آخر على أسس مختلفة جداً، وإما ألا يقوم بعده أي نظام. بل يعمّ كل المملكة الفوضى والاختلال))[1].

فالذي يبدو أنّ (دين الحق)هو النظام الكامل والشامل الذي أراده الله لجميع نواحي الحياة الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية[2]. فالله سبحانه وتعالى أرسل رسوله (عليه السلام) ((بذلك النظام الحق الصحيح للحياة الإنسانية -أي الإسلام- وغاية رسالته أن يظهره على سائر النظم للحياة))[3] السياسة والاجتماعية وغيرها من الأنظمة التي شرعها الإنسان لنفسه.

ويبقى السؤال هل ظَهَرَ (دين الحقّ) على الدين كلّه أم لا؟ فقد أُخْتُلِفَ في ذلك ، فمنهم مَن ذهب إلى أنّه لم يظهر بعد، بل يكون ذلك في آخر الزمان عند نزول عيسى (عليه السلام) ، حين تصير الملُ كلُّها واحدةً ،ولا يكون دين غير الإسلام[4]. أو عند خروج المهدي ونزول عيسى [5]، فقد ذكر الثعلبي عن الكلبي((لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام وسيكون ذلك، ولم يكن بعد، ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك))[6]،وقيل : أنّ

---

[1] المصطلحات الأربعة في القرآن : (79/1).
[2] ينظر المصدر نفسه.
[3] المصدر نفسه.
[4] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:(361/23)،والكشف والبيان عن تفسير القرآن: (35/5).
[5] ينظر: تفسير السُّدِّي الكبير، للإمام أبي محمد اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير(ت128هـ) ،جمع وتوثيق ودراسة ، الدكتور ،محمد عطا يوسف : 292. ،و مفاتيح الغيب : (33/16).و البحر المحيط في التفسير: (406/5)،وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: (458/3)، و تفسير القرطبي: (121/8)، وغيرهم.
[6] الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (36/5).

دين الحق قد ظهر وتحقق[1]، جاء في الكشف والبيان ((...قد فعل الله ذلك ونجزت هذه العدة لقوله سبحانه الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ[2] ...وقيل: معناه: ليظهره على الأديان كلها التي في جزيرة العرب فيظهره على دينهم ويغلبهم في ذلك المكان...))[3]. وللفصل بين هذه الآراء المتضاربة والمختلفة ومعرفة هل أنّ اظهار الدّين قد تحقق أم بعد ؟، لا بدّ من تتبع الاستعمال القرآني للفظة (دين) ومصاحباتها في هذا المضمون .

فقد ذكر القرآن الكريم في العديد من الآيات أنّ النّصر و السيّادة ستكون للإسلام على اعتبار ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران : 20].،وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور :55]. ((فهذا وعدٌ صريح من الله عزّ وجلّ ... للبشرية المؤمنة الصالحة التي قاست الظلم والعذاب ...بأن يستخلفهم في الأرض، بمعنى أنّه يوفقهم إلى السلطة الفعلية على البشرية وممارسة الولاية الحقيقية فيهم))[4]، وهذا يناسب قوله تعالى :﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ فالتمكين التام والاستقرار الحقيقي لهذا الدين لا يكون إلا عند السيطرة على العالم أجمع [5]، وإظهار هذا الدين على الدين كلّه ، وتحقيق قوله :﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ فعندئذ يكون الدّين كلّه لله ، قال تعالى :﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[الانفال:39]، وقال تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر :3] ؛ وكيف لا يكون الدين لله خالصاً وأنّ بني آدم ﴿ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ

---

(1) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان : (77/4)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (36/5).
(2) المائدة :3.
(3)ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (36/5).
(4) موسوعة الإمام المهدي (عليه السلام)(الرؤية القر آنية للقضية المهدوية): (132/1).
(5) ينظر: المصدر نفسه: (132/1).

﴿الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:5]. وما خلق الله الجنّ والإنس إلا لهذه الغاية (عبادة الله الحقّة) ، ويؤكد القرآن تحقق هذا الوعد ووقوعه بقوله :﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[الذاريات :5-6]. فأكدّ تعالى ذكره هذا الأمر بجميع المؤكدات منها القسم في أول السورة : ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾[الذاريات :1]. ثم استعمال أداة تفيد التوكيد وهي (إنّ) ، واستعمال لام التوكيد المزحلقة ﴿لَوَاقِعٌ﴾، واستعمال اسم الفاعل أيضاً ﴿وَاقِعٌ﴾ ، والجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستقرار ، وكلّ الأحداث التي ذُكِرَتْ من عبادة الله الخالصة ، ويكون الدين كلّه لله ...إلخ تتناسب مع زمن التكليف ، وأنّ هذا الأمر سيتحقق مستقبلاً[1].

وأنّ هذا اليوم المستقبلي سمّاه القرآن الكريم بـ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾، الذي يعمّ فيه الدين العالم بأسره كما ورد في الروايات.

الاستعمال القرآني لـ (يَوْم الدّين) ومصاحباته:

يوم الدين عند جلّ المفسِّرين هو يوم القيامّة نفسه [2]. ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾[الحجر:34-38]. قال الزمخشري: ((وضُرِبَ يوم الدين حداً للعنة، إمّا لأنه غاية يضربها الناس في كلامهم، كقوله ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ في التأبيد. وإما أن يراد أنك مذموم مدعوّ عليك باللعن في السموات والأرض إلى يوم الدين، من غير أن تعذب، فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه. ويَوْمِ الدِّينِ ويَوْمِ يُبْعَثُونَ ويَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة. وقيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم

---

[1] ينظر : الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم :133-134.

[2] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: (202/17)،و لطائف الإشارات = تفسير القشيري :(270/2).و فتح القدير : (157/3). وبحر العلوم:(219/2).

الذي فيه يبعثون لئلا يموت، لأنه لا يموت يوم البعث أحد، فلم يجب إلى ذلك، وأُنظر إلى آخر أيام التكليف))[1].

وهذا الرأي ذكره الطوسي(ت:460هـ) والنسفي(ت: 710هـ) [2]، وقال البيضاوي: ((إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ هذا الطرد والإبعاد. إلى يَوْمِ الدِّينِ فإنه منتهى أمد اللعن، فإنه يناسب أيام التكليف ومنه زمان الجزاء ..))[3]. فالزمخشري والطوسي والنسفي قالوا بأنّه أُنْظِر إلى آخر أيام التكليف ، ولم يُجَبْ دعوته . وتنبه البيضاوي إلى ذلك فجعل أمد اللعن هنا يناسب أيضاً أيام التكليف[4].

وقال ابن عطيّة :((ويَوْمِ الدِّينِ يوم الجزاء،... وسأل إبليس «النظرة إلى يوم البعث» فأعطاه الله إياها إلى «وقت معلوم» ، واختلف فيه فقيل إلى يوم القيامة أي يكون آخر من يموت من الخلق، قاله الطبري وغيره وقيل إلى وقت غير معين ولا موسوم بقيامة ولا غيرها، بل علمه عند الله وحده، وقيل بل أمره كان إلى يوم بدر وأنه قتل يوم بدر))[5].

فيبدو أنّ أكثر أهلّ التفسير تسالموا على أنّ (يوم الدين) هو نفسه يوم القيامة ، في حين تتبع أحد الباحثين المعاصرين مصاحبات (يوم الدين) ، ومصاحبات (يوم القيامة) في القرآن الكريم ، فخرج بنتيجة مغايرة لِمَا ذهب إليه المفسرون ، **ويمكن اجمال دراسته لهذا اليوم بالآتي[6]:**

1- يقترن ﴿**يوم الدين**﴾ مع الاسمين(نصر الله) ، و(الفتح) في القرآن الكريم، في حين لم يتصاحب هذان الاسمان مع (يوم القيامة).

2-اقترن﴿**يوم الدين**﴾ مع الاسم (خرص) وجمعه (خرّاصُون)، كما في قوله تعالى :﴿**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۞ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ** ﴾[الذاريات:10-14] . وممّا يلاحظ أيضا مصاحبته

---

[1] الكشاف: (577/2-578).
[2] ينظر:التبيان في تفسير القرآن، الطوسي : (335/6) ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (190/2).
[3] أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (211/3).
[4] ينظر: المرجع نفسه.
[5] المحرر الوجيز : (362/3).
[6] ينظر : الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم : 125-135.

للفعل ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾ الذي تصاحب مع لفظة (الساعة)، ولم يقترن هذا الاسم، ولا فعل الاستعجال بـ (يوم القيامة).

3-مدح القرآن الكريم المصدقين بـ ﴿يوم الدين﴾ واثنى عليهم ، كما في قوله تعالى :﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[المعارج: 26]. في حين لم يعرض لذكر المصدِّقين بيوم القيامة.

4-لا يصرح النص القرآني بالتكذيب أو المماراة أو الظنّ بيوم القيامة ، في حين وردت آيات صريحة في هذا الشأن مصاحبة لمركب (يوم الدين) ، كما في بقوله تعالى :﴿كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[المدّثر:46]، وقوله ﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[المطففين :11].

5-لا يصرح النص القرآني بأنّ الله تعالى هو الذي يحكم بين الخلق في ﴿يوم الدين﴾ ، في حين تصاحب هذا الأمر مع يوم القيامة في أكثر من مورد ، كما في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[البقرة :113] .

6-يقترن المركب ﴿يوم الدين﴾ مع الفعل (وقع) واسم الفاعل (واقع) ، ولم يرد هذا الفعل أو ما يشتق منه متصاحباً مع يوم القيامة.

7-يقترن ﴿يوم الدين﴾ بصيغة (ما أدراك) ، كما في قوله تعالى :﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[الانفطار:17-18] ، ولم تتصاحب هذه الصيغة مع يوم القيامة.

8-وممّا يلفت النظر أن المركب﴿يوم الدين﴾تصاحب مع الفعل (غفر) في قوله تعالى:﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[الشعراء :83]. وغفران الخطيئة يكون في الدنيا عن طريق التوبة والاستغفار، ومن ذلك قوله تعالى:﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[يوسف:97] ، في حين لم يرد هذا الفعل مع يوم القيامة.

9-جعل القرآن الكريم﴿يوم الدين﴾ أجلاً محدداً لانتهاء مدة لعن إبليس باستعمال لفظة ﴿اللعنة﴾ ، كما في قوله تعالى :﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[الحجر :35]. في حين لم يرد لفظ (اللعن) مصاحباً مع يوم القيامة.

فالملاحظ أنّ قبول الإمهال والنظرة كان محدداً بقوله تعالى :﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[الحجر:36-38]. بمعنى أنّ الإنظار لم يكن كما أراد إبليس ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ، بل لم يُجَبْ دعوته ، وهذا يدلّ على أنّ ﴿ يوم الوقت المعلوم﴾ يكون في ﴿يوم الدين﴾ أو هو ﴿يوم الدين﴾ ؛ لأنّ استمرار اللعنة إلى ﴿يوم الدين﴾. ((وهذا تنويه بمدى عظمة ﴿يوم الدين﴾ ، وسعادة البشرية في تخليصها من هيمنة هذا الكائن . وبذلك يتحقق الوعد الإلهي بتحقق الدين في جميع أرجاء المعمورة ، ويظهر الإسلام على جميع الأديان ليشمل التوحيد العالم أجمع ، بمعنى أن يتحقق الهدف من الخلق ،﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:56]))[1].وهذا المعنى أكّدته طائفة من الأحاديث والروايات .

المعضدات:

جاء في العديد من الأحاديث والروايات أنّ إظهار دين الحقّ على الدّين كلّه يكون عند نزول عيسى و خروج الإمام المهدي (عليه السلام) ، بعض الروايات لم تذكر عيسى (عليه السلام) ومنها :

ما ذكره الشيخ الصّدوق (ت:381هـ) عن أبي بصير قال: ((قال أبو عبد الله (عليه السلام) في قوله الله عزّ وجلّ:﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:33] ، فقال : والله ما نزل تأويلها بعد ، ولا ينزل تأويلها حتّى يخرج القائم (عليه السلام) فإذا خرج القائم (عليه السلام) لم يبقَ كافر بالله العظيم ولا مشرك بالإمام إلا

[1] الاحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم: 135.

كره خروجه حتّى أن لو كان كافرٌ أو مشركٌ في بطن صخرة لقالت : يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله))[1].

وهذه الروايات تناقلتها كتب التفسير أيضاً ، ومن ذلك ما ذكره الرازي في تفسيره :((رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ الْإِسْلَامَ عَالِيًا عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ. وَتَمَامُ هَذَا إِنَّمَا يَحْصُلُ عِنْدَ خُرُوجِ عِيسَى، وَقَالَ السُّدِّيُّ: ذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ، لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ أَدَّى الْخَرَاجَ))[2].

وذكر القرطبي في تفسيره: ((وَقِيلَ:" لِيُظْهِرَهُ" أَيْ لِيُظْهِرَ الدِّينَ دِينَ الْإِسْلَامِ عَلَى كُلِّ دِينٍ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالضَّحَّاكُ: هَذَا عِنْدَ نُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: ذَاكَ عِنْدَ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ، لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ أَدَّى الْجِزْيَةَ[3]، وقيل : الْمَهْدِيُّ هُوَ عِيسَى فَقَطْ وَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ الصِّحَاحَ قَدْ تَوَاتَرَتْ عَلَى أَنَّ الْمَهْدِيَّ مِنْ عِتْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى عِيسَى. وَالْحَدِيثُ الَّذِي وَرَدَ فِي أَنَّهُ (لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى) غَيْرُ صَحِيحٍ.))[4].

وجاء في غرائب القرآن ورغائب الفرقان عن أبي هريرة أنه قال: ((هذا وعد من الله بأن يجعل الإسلام ظاهراً على جميع الأديان، وتمام هذا إنما يظهر عند خروج المهدي ونزول عيسى. وقال السدي: ذلك عند خروج المهدي عليه السلام لا يبقى أحد إلا دخل الإسلام وأدّى الخراج. قلت: قد دخل في عصرنا من الملوك الكفرة ومن أشياعهم في الإسلام ما لا يعدّ ولا يحصى، وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على أن الكل سيدخلون في الإسلام))[5].

وتحدّثت بعض الروايات أيضاً عن أمد حياة ابليس ، وعن يوم قتله ، وعلى يد مَنْ ، فمن ذلك ما روي عن الإمام علي (عليه السلام) في حديث طويل قال في جانب منه : ((...كل ذلك لتتم النظرة التي أوحاها الله تعالى لعدوّه إبليس إلى أن يبلغ الكتاب أجله ويحق القول على الكافرين ويقترب الوعد الحق الذي بيّنه في كتابه بقوله :﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ**

---

[1] كمال الدين وتمام النعمة :(2/ 607-608).
[2] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير : (33/16).
[3] تفسير السُّدي الكبير : 292.
[4] تفسير القرطبي: (121/8). ، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (35/5-36).
[5] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (458/3).

﴿دِينَهُمُ﴾[النور:55] ... وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها ويظهر دين نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) على يديه على الدين كلّه ولو كره المشركون))[1].

ومن ذلك أيضاً ما روي عن وهب بن جميع مولى إسحاق بن عمار أنّه قال : ((سألت أبا عبد الله (عجل الله فرجه) عن قول إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾. قال : جُعلت فداك أي يوم هو؟ فقال الإمام (عليه السلام) : يا وهب أتحسب أنه يوم يبعث الله فيه الناس ؟إن الله أنظره إلى يوم يُبعث فيه قائمنا ، فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتى يجثو على ركبتيه فيقول: يا ويله من هذا اليوم فيأخذ بناصيته ويضرب عنقه فذلك اليوم هو الوقت المعلوم))[2].

وهذه الأحاديث تدلّ على أن دين الحق سيُظهره الله على الدين كلّه على يد الإمام المهدي (عليه السلام) ، وأنّ أجل ابليس ينتهي في ذلك اليوم . والله أعلم.

---

[1] تفسير الصافي : (338/2).

[2] تفسيرالعياشي : (428/2-429)، وتأويل الآيات الظاهرة : 314، والمحجة: 112، وينابيع المودة :481.

الخاتمة :

نحمد الله تعالى الذي وفّقنا لكتابة ما كتبناه وتقديم ما قدّمناه في رحلة ممتعة وجاهدة للارتقاء بدرجات العلم والفكر ، وبعد مشوار من التفكر والتعقل نضع بين يدي القارئ الكريم حصاد رحلتنا متمثلاً بأهم النتائج التي أفضت إليها هذه الدراسة ويمكن إجمالها فيما يأتي:

1- ليس ببعيدٍ عن أذهانِ النّحاة القدامى ما في النحو من دلالة على المعنى ، وأنّ هناك علاقة حميمة بين معنى الكلمات الممتدَّة في تركيب ما ووظائفها النحوية أو مدى علاقة الموقع الإعرابي للفظة بمعناها المعجمي . فهناك تفاعل قائم مستمر بين الدلالة المعجميّة للمفردة والوظيفة النحويّة التي تشغلها هذه المفردة، ومن ممازجة قوانين الدلالة المعجميّة للمفردات ووظائفها النحويّة المختلفة يظهرُ المعنى الدلالي للجملة كلها.

2- تأكّد البحث أنّ الاستعمال القرآني للفظة **(السّاعة)** معرّفة بـ(أل) ليس مرادفاً للمركب (يوم القيامّة)، وأنّ سماتها الدلاليّة تختلف عن السِّمات الدلالية لـ **(يوم القيامة)**، وأنّ لفظة**(السّاعة)** وظِّفَتْ للدلالة على حادثةٍ دنيوية عظيمة، تكون في آخر الزمان ، وقد جُعِلَ رجوع عيسى بن مريم (عليه السلام) علامة لها ، وعند قيامها يتحقق الوعد الإلهي بوراثة الأرض للصالحين.

3- تبيّن في البحث أن لفظ **(الدَّاعِ)** في قوله تعالى :﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ**﴾[القمر:6]. لا يدلّ على إسرافيل (عليه السلام) أو مَلكٍ آخر بقدر ما يدلُّ على بشرٍ تكون دعوته في الدّنيا ؛ لأنّها دار عملٍ ، أمّا في القيامّة فلا يَحتاج الله تعالى داعياً يدعو له؛ لأنّها دار حساب ، والإنسان فيها إمّا يزفُّ الى الجنّة، أو يساق إلى النّار.

4- وجد البَّحث أنّ الله تعالى ذكر ثلاثة أنواعٍ من العذاب ستقع في أهل القبلة ، لقطعهم ما أمر الله به أن يوصل، وانحرافهم عن شريعته واتخاذها مغرماً لأهوائهم ،فقال تعالى : ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ...**﴾ [الأنعام :65]، وقد أوّل العذاب الذي من فوقهم بالدّجال والصَّيحة ، وأنّ العذاب الذي من تحت أرجلهم بالخسف ، وقوله : ﴿ **يَلْبِسَكُمْ**

﴿شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ هو الاختلاف بالدّين في زمان واحد فيقتل بعضهم بعضاً، و هذه العذابات هي من علامات ظهور المهدي المنتظر(عليه السلام).

5- بيَّنت الدّراسة أنّ للسياق أثراً كبيراً في تحديد دلالة بعض الألفاظ ، ومنها لفظة **(دابّة)** التي تدلّ دلالة عامة لكلّ ما من شأنه أن يدبُّ على وجه الأرض سواء أكان إنساناً أم حيواناً، فهي لم تختص بجنس الحيوان دون غيره ، فدلت على مخلوقٍ عظيمٍ له ثقل كبير في العالم ، فهي تُكلِّم النّاس في آخر الزمان ، وتُظْهِرُ حقيقتهم إزاء آيات الله .

6- تأكّد البّحث أنّ لفظ **(يوم)** يُطلَقُ على الزمن المقيد المحدد كأن يكون من الطلوع إلى الطلوع، أو من الشروق إلى الغروب . ويُطلَقُ على الزمن المطلق غير المحدد ، فيكون مساوياً للفظ (وقت) ، وهذا يعني أنه يُطلق على الواحد وغيره ، فهو اسم جنس يطلق على الزمن عموماً والقرائن هي التي تحدد المقدار .

7- ظهر في البّحث أن (يوم الفتح) في قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۞ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾[السجدة :28-30]. لا يدلّ على يوم القيامة أو يوم بدر، أو فتح مكّة، بقدرِ ما يدلّ على فتحٍ دنيوي عام لكلِّ مغاليق الحياة، وعند حلوله لا تنفع التوبةُ لِمَنْ كَفَرَ من قبل ، فهو فتح معهود بين النبيّ محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وأمته؛ ليكون الفَيْصَل بين المؤمنين والكافرين.

8- رصد البّحث أن السّمات الدلاليّة للمركب **(أمر الله)** الوارد في القرآن الكريم تَدَلُّ على حكمٍ أو قرارٍ من الله تعالى لغاية تكاملية ، وقد ورد (أمر الله)في قوله تعالى **:** ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل:1]، يُشير إلى حدث عظيم يكون حاكماً وحاسماً في عالم الدنيا ، كما حصل في الأمم السابقة.

9- وجد البحث أن سورة النصر تحدّثتْ عن نصرٍ وفتحٍ دنيوي ، ولكنّه ليس بفتح مكةَ الماضي، بل فتح جديد مستقبلي لم يأتِ بعد لتطمين النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على رسالته ودينه ،وللتعويض عمّا أصابه من أذىً وانزعاج بدخول المنافقين بعد فتح مكة.

10- اتضح في البحث أنّ المركب **(فتحٌ قريبٌ)** في قوله تعالى:﴿ **وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[الصف :13]. يشير إلى فتحٍ مستقبلي يكون على يد وليٍّ من أولياء الله يكون فيه المؤمنون ظاهرين على عدوّهم ، فهو ليس بفتح مكة الذي أشار إليه غير واحد من المفسرين.

11- وجد البحث أنّ لفظة﴿**كَرَّةٌ**﴾ في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ**﴾[النازعات:12].

جاءت مؤكدة لمعنى لفظة ﴿**حافرة**﴾ في قوله تعالى : ﴿**يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ**﴾ **[النازعات:10]**. والفرّق بينهما أنّ **(الحافرة)** تعني: العودة إلى أصل الشيء أو إلى أوّله، و**(الكرّة)** تعني: العودة إلى الشيء بعد ذهاب عنه .

12- أثبتتْ الدّراسة أن المركب الوصفي ﴿ **كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ**﴾ في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ**﴾[النازعات:12]. يدلّ على الرّجعة إلى الدنيا بعد الممات ليُحاسب فيها الذين محضوا الكفر محضاً ، ويُجازى الذين محضوا الإيمان محضاً .

13- لاحظ البّحث أنّ هناك فرقاً بين **(النِّداء)** و **(الصَّيحة)** الواردان في سورة (ق) ، فالصيحة تدلّ على صوت شديد غير مفهوم يصدر بسبب حدثٍ كوني كبير ، يصحبه تخوّف من الصيحة. في حين ليس هناك تخوّف مع النّداء ، بل هناك حثٌّ على الإصغاء لسمع النداء وترقب حدوثه ، وأنّ هذا النداء يدلّ على صوت مفهوم .

14- وجد البّحث أن المركب **(يَوْم الخُرُوْج)**في قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۝يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ** ﴾ [ق:41-42] ، ليس مختصاً بخروج الأموات من قبورهم يوم القيامة فقط، بل هو ذلك اليوم الذي يَعْقِبُ الحادثتين (الصيحة والنداء) ، وهو خروج عام لكلّ شيءٍ كان مستتراً عن الأنظار ، وعلى مستوياتٍ مختلفة أوضحتها السنّة المطّهرة.

15- ذكر البحث أن للفظة **(نور)** دلالة عامة تُطْلَقُ على مَنْ يقوم بوظيفة الكشف والبيان ، سواء أكان شخصّاً أم ضوءً أم كتاباً ، أم علماً ،أم شيئاً آخر.

16- بينتْ الدّراسة أنّ **(نور الله)** في قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[الصف:8] يدلّ على شخصٍ ادّخره الله تعالى ليكون نوره التام في أرضه ؛ ليقوم بعملية كشفٍ كبرى تعمُّ المعمورة بأسرها فيكون الدّين لله خالصاً .

17- بيَّن البحث أن**(دين الحقّ)** في قوله تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[الصف:9]. يدلُ على نظامٍ كامل شامل لكلِّ مناحي الحياة العقديّة والفكرية والخلقية والاجتماعية وغيرها ، فالله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بهذا النظام الحق الصحيح – أي الإسلام – وغاية رسالته أن يُظهِر هذا النظام على كافة النظم الحياتية التي شرعها الإنسان لنفسه .

18- بيّن البّحث أن لفظة **(دين)** تعني الانقياد والطاعة والتسليم ، وإذا أُضِيفَتْ إلى لفظ **(يوم)** مكونة المركب **(يوم الدين)** فيه إشارة إلى يومٍ يكون فيه الخلق جميعهم طائعين لله تعالى منقادين لأوامره ، ويحصل هذا اليوم عند إظهار **(دين الحق)** على الدين كلّه ، فلا يبقَ إنسان إلا ودان بدين الحق ، فيتحقق العدل وتسود السعادة في أرجاء المعمورة ، وهذا يتناسب والحياة الدنيا .

19- وجد البّحث أن أمد إنظار إبليس ينتهي في **(يوم الوقت المعلوم)** ،وعند ذلك تتخلّص البشريّة من سطوة هذا المخلوق، فتنكسر الأغلال وتُنْزَعُ الأحقاد ، وتعمُّ السعادة والمحبّة ، ويُعبَدُ اللهَ حقَّ عبادتهِ ، وهذا لا يتناسب ويوم القيامة ، بل يتناسب والحياة الدنيا .

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

- أثر الوقف على الدلالة التركيبية، د. محمد يوسف حبلص، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، الناشر : دار الثقافة العربية – السيدة زينب – القاهرة (1414هـ-1993م).

- الإحالة في نحو النص ، د. أحمد عفيفي ، كتب عربية ، ط:1، د. ت.

- الاحتجاج ، للطبرسي ، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر ، بيروت –لبنان ، ط :1،(1425هـ-2004م).

- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي (ت:745هـ)، تحق : د. رجب عثمان محمد ، ومراجعة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط:1، (1418هـ - 1998م).

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ) ،تحق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:1 ،(1419 هـ - 1998 م).

- أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد ، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)،تحق: عصام بن عبد المحسن، دار الإصلاح - الدمام،ط:2،(1412 هـ - 1992 م).

- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ)، تحق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، الناشر: دار الفضيلة.

- أصل الخلق وأمر السجود بين الأنا وبين ولاية التوحيد ، عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء ، ط:1، (1425هـ - 2004م).

- **أصول الكافي** ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت:328هـ) ، دار المرتضى، بيروت ، ط:1 ،(1426هـ - 2005م).

- **الاصول في النحو**، لأبن السراج (ت: 316هـ)، تحق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

- **إعراب القرآن**، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338هـ)،وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،ط:1، 1421 هـ.

- **إعراب القرآن الكريم**، أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم ،: دار المنير ودار الفارابي – دمشق ، ط:1، 1425 هـ.

- **إعراب القرآن وبيانه**، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : 1403هـ)، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط:4، 1415 هـ.

- **إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان**، حمود بن عبد الله التويجري (ت: 1413هـ)، مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية ،سنة:(1405 هـ - 1985م).

- **الإمام المهدي في بحار الأنوار** ، الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس سره) ، إعداد الشيخ ياسر الصالحي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان ، ط:1، 1430هـ.

- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين**: البصريين والكوفيين، كمال الدين الأنباري (ت: 577هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، ط: 1، (1424 هـ- 2003م).

-**الانفكاك**، سلام عبد الهادي، دار المحجة البيضاء، ط: 1،(1438هـ -2017).

- **أنوار آخر الزمان** ،د. محمد سامح سعيد ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ،1971م.

- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)،تحق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط: 1 ، 1418 هـ.

- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ،ط: 5، (1424هـ/2003م).

- **الإيمان باليوم الآخر فقه القدوم على الله** ، د. علي محمد محمد الصلابي ، الدار المتوسطية للنشر ، ط:1، 1431هـ.

- **البارع في اللغة**، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت: 356هـ)،تحق: هشام الطعان ، مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت ،ط: 1، 1975م.

- **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأمة الأطهار**، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس الله سره) ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت – لبنان ، ط:3، (1403هـ - 1983م).

- **بحر العلوم**، أبو ليث نصر بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: 375هـ)، تحقيق وتعليق ، الشيخ علي محمد عوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والدكتور زكريا عبد المجيد النّوتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط:1، (1413هـ - 1993م).

- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)،تحق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت: 1420 هـ.

- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (ت: 1224هـ)،: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ، الطبعة: 1419 هـ.

- **بدائع الفوائد** ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ) ،الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- **البرهان في تفسير القرآن** ، العلامة المحِّث السيد هاشم البحراني ، حققه وعلّق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصّائيين، منشورات الأعلمي للمطبوعات ،بيروت – لبنان ، ط:2، (1427هـ - 2006م).

- **البرهان في علوم القرآن** ، بدر الدين الزركشي ، تحق: د . علي بن محمد بن ناصر الفيهقي ، مؤسسة الرسالة –بيروت . ط:2، 1406 هـ.

- **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي، تحق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط1(1376هـ -1957م).

- **بصائر الدرجات** ، أبو جعفر محمد بن الحسن الصفّار(ت:290هـ) ، شركة الأعلمي ،بيروت –لبنان، ط1(1431هـ-2010م).

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحق: محمد علي النجار ،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهر،(1416 هـ - 1996 م).

- **البيان والتبيين**، الجاحظ ،تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ط:7،(1418 هـ- 1998م).

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)،تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

- **تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة** ، السيد شرف الدين على الحسيني الاسترابادي الغروي (من علماء القرن العاشر الهجري) ، تحق : الشيخ محمد صادق تاج ، دار الجوادين ، لبنان –بيروت ، ط:1، 1433هـ.

- **التبيان في تفسير القرآن** ، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت:46هـ) ، تحقيق وتصحيح ، أحمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، د. ت.

- **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.

- **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن** ، عوده خليل أبو عودة ، مكتبة المنار /الأردن ، ط: 1، 1405هـ.

- **التطور النحوي للغة العربية** ، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية سنة (1920م) المستشرق الألماني براجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي / القاهرة ، ط:2،(1414هـ - 1994م).

- **التعريفات**: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ،ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ،ط: 1،(1403هـ -1983م).

- **التَفْسِيرُ البَسِيْط** ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري ، الشافعي (ت: 468هـ)،تحق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ،الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،ط:1، 1430 هـ.

- **تفسير السُّدِّي الكبير**، أبو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكبير(ت:128هـ) ،جمع وتوثيق ودراسة ، الدكتور ،محمد عطا يوسف ،دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1 ، (1414هـ).

- **التفسير(تفسير العيّاشي)** ، أبو النّضر محمد بن مسعود العيّاشي(ت:320هـ) ، تحق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة – قم ،ط:1 ، 1421هـ.

- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.

- **تفسير القرآن العظيم** ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)،تحق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط: 3 ، 1419 هـ.

- **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)،تحق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ،ط: 1،(1426 هـ - 2005 م).

- **تفسير الماوردي (النكت والعيون)**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)،تحق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

- **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: 1،(1365 هـ - 1946 م).

- **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: 150هـ)، تحق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت ،ط: 1 ، 1423 هـ.

- **التفسير والمفسرون** ، د. محمد السيد حسين الذهبي (ت: 1398هـ)،مكتبة وهبة، القاهرة ، د.ت.

- **تكملة المعاجم العربية**، رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: 1300هـ)، نقله إلى العربية وعلّق عليه: جـ 1 - 8: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ 9، 10: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1:، (1979 - 2000 م).

- **التهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت: 370هـ) ،تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط:1، 2001م.

- **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط:1، (1410هـ-1990م).

- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)،تحق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط:1، (1420 هـ - 2000 م).

- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)،تحق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: 2،(1384هـ - 1964 م).

- **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)،تحق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، ط:1، 1987م.

- **جُنَّة الأمان الواقية وجَنّة الإيمان الباقية**، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي، دار المرتضى، بيروت – لبنان، د. ط، (1428هـ).

- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن،** أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 875هـ)،تحق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط: 1 ، 1418 هـ.

- **الحمل على المعنى في العربية** ، د. علي عبدالله حسين العنكبي ، ديوان الوقف السني : مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، ط:1، (2012م).

- **الخصائص،** أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط:4 ، دت.

- **درة التنزيل وغرة التأويل** ،الخطيب الإسكافي (ت: 420هـ)،دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ، الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ،ط: 1،(1422 هـ - 2001 م).

- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،** أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ) ، تحق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د .ت.

- **الدر المنثور،** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، دار الفكر – بيروت.

- **دلائل الأعجاز** ، عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ أو 474هـ) ، قرأ وعلق عليه :أبو فهر /محمود محمد شاكر، نشر : (مطبعة المدني (دار المدني ،بجدة) ، ط:3، (1413هـ).

- **الدلالة الزمنية في الجملة العربية،** أ. د. علي جابر المنصوري ، الناشر: الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ،ط:1 ، 2002م.

- **الدلالة والنحو** ، د. صلاح الدين صالح حسنين ، توزيع مكتبة الآداب ، ط:1.

- **الرجعة بين الظهور والمعاد** ، للشيخ محمد سند البحراني ، تحق: أحمد بن حسين الإحسائي ، الناشر : صادق – دار زين العابدين عليه السلام ، ط:1، 2014م.

- **رسالة الحدود،** لأبي الحسن الرماني المعتزلي(ت: 384هـ)، تحق: إبراهيم السامرائي، الناشر: دار الفكر – عمان.

- **روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: 1127هـ)، دار الفكر – بيروت، د ت.

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)،تحق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،ط: 1، 1415 هـ.

- **الزاهر في معاني كلمات الناس**، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ)،تحق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط:1،(1412 هـ -1992).

- **السبعة في القراءات** ، ابن مجاهد (ت324هـ) ، تحق :الدكتور شوقي ضيف، مط: دار المعارف – القاهرة ، ط:3، د.ت.

- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت : 769هـ)، تحق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه ،ط : 20، (1400 هـ - 1980 م).

- **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت: 900هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ،ط: 1، (1419هـ- 1998م).

- **شرح الرضي على الكافية** ،رضي الدين : محمد بن حسن الأستراباذي (ت:688هـ)، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر، منشورات: جامعة قاريونس – بنغازي، ط:2، 1996م.

- **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، لأبن هشام،شرح وتحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الكوخ للطباعة والنشر: طهران –ايران ، ط:1 (1384هـ).

- **شرح قطر الندى وبل الصدى**، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: 761هـ)،تحق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة،ط: 11، 1383هـ.

- **شرح المفصل**، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: 643هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1،(1422 هـ - 2001 م).

- **الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية** ، د. عبد السلام المسدّي و د. محمد الهادي الطرابلسي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ،1985م.

- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، نشوان بن سعيد اليمني (ت: 573هـ) تحق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ،ط: 1، (1420 هـ - 1999 م).

- **الصافي في تفسير القرآن** ، محمد محسن الفيض الكاشاني (ت:1091هـ)، مؤسسة الهادي ،قم ،ط:1 ،1416هـ.

- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)،تحق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط:4،(1407 هـ - 1987 م).

- **الطور المهدوي**، عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء ، ط: 4، (1430هـ - 2009م).

- **العرف الوردي في أخبار المهدي**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحق: د. مهدي أكبر نجاد ، مط : نكارش ، ط:1، 1429هـ.

- **علامات الساعة** ، جمع وترتيب / الشيخ أبي المنذر (عبد الحق بن عبد اللّطيف) ، مراجعة الأستاذ الدكتور :عمر بن عبد العزيز قريشي، دار روائع للنشر والتوزيع.

- **علم الأصوات العربية** ، د. محمد جواد النوري ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، مطبعة النصر الحديثة ،نابلس ،1997م.

- **علم الدلالة** ، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، ط:1، 1985م.

- **علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي**، منقور عبد الجليل ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق-2001م.

- **علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق (دراسة تاريخية تأصيلية نقدية)**، فايز الداية ، دمشق : دار الفكر ،ط:2، 1996م .

- **علم اللغة** ، د. حاتم صالح الضامن ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد ،كلية الآداب ،1989م.

- **علم اللغة التطبيقي في التراث العربي**: د. هادي نهر، تقديم: د. علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط:1، (1427هـ-2007م).

- **علم النص ونظرية الترجمة**، يوسف نور عوض ، دار الثقة للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، ط: 1، 1410هـ .

- **العُمُد كتاب في التصريف** ، عبد القاهر الجرجاني ، تحق : د. البدراوي زهران ، دار المعارف ، القاهرة ، ط:3، 1995م.

- **عوالم البيان في مهدي القرآن** ، الشيخ علي البدري ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان ، ط:1، (1432هـ- 2011م).

- **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمّي النيسابوري (ت: 850هـ)،تحق: الشيخ زكريا، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط: 1 ، 1416 هـ.

- **غريب القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)،تحق: سعيد اللحام،shamela.ws/index .php /book/23621. موافق للمطبوع.

- **الغيبة** ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بـ (ابن أبي زينب النعماني(ت:360هـ)) ، تحق: فارس حسون كريم ، دار الجوادين، ط: 1، (1432هـ - 2011م).

- **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ)،عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، (1412 هـ - 1992 م).

- **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ،ط:1، 1414 هـ.

- **الفروق اللغوية**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

- **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة ،ط: 17 ، 1412 هـ.

- **في علم النحو** ، د. أمين علي السيد ، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ،ط:7(1994م) ، دار المعارف.

- **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: 8،(1426 هـ - 2005 م).

- **القطرة من بحار النبي والعترة (عليهم السلام)**، السيد أحمد المستنبط، تحق: محمد الظريف، الناشر: الماس – مطبعة: جعفري، ط:6 ،(1430هـ).

- **كامل الزيارات**، لجعفر بن محمد بن قولويه (ت:367هـ)، تحق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، مطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، ط:1(1417هـ).

- **الكتاب** ، أبو بِشر عَمرو بن عثمان بن قَنبَر المعروف بـ(سيبويه)(ت:180هـ)، تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون، مط: دار الجيل- بيروت ، ط:1.

- **كتاب الفتن**، نعيم بن حماد، تحق: سمير أمين الزهيري: مكتبة التوحيد – القاهرة، ط:1، 1412هـ.

- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3، 1407هـ.

- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ)،تحق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير

الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط: 1 ،(1422 هـ - 2002 م).

- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)،تحق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، د .ت.

- **كمال الدين وتمام النعمة**، الشيخ الصَّدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت:381هـ) ، انتشارات المكتبة الحيدرية ، مط: شريعت ، ط:1.

- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: 975هـ)،تحق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة،ط: 5،(1401هـ -1981م).

- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين ،دار الكتب العلمية – بيروت ،ط: ا ، 1415 هـ.

- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: 711هـ)،الناشر: دار صادر - بيروت، ط:3، 1414 هـ.

- **لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)** ، د. محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط:1 ، 2009م.

- **لطائف الإشارات (تفسير القشيري)**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)،تحق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ،ط: 3، د ت.

- **المجتبى من مشكل إعراب القرآن**، أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426 هـ.

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: 807هـ)،تحق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، سنة (1414 هـ، 1994 م).

- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** ، ابن جني ، تحق: محمد عبد القادر عطا ، مط : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:1 ، 1998م.

- **المحجة فيما نزل في القائم الحجة (عليه السلام)**، سيد هاشم البحراني، تحق: محمد منير الميلاني، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان (1413هـ 1992م).

- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)،تحق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط: 1 ، 1422 هـ.

- **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)،تحق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1 ،(1421 هـ - 2000 م).

- **مسند أحمد بن حنبل** (ت:241هـ) ، حققه وعلّق على أحاديثه : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع ، القاهرة (د. ت).

- **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: 255هـ)،تحق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: 1،(1412 هـ - 2000 م).

- **مسند الشاميين** ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط:2 ،1417هـ.

- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)،تحق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ط. ت.

- **مصباح الزائر**، للسيد علي بن موسى بن طاووس(ت:664هـ)، تحق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث- قم، ط:1، (1417هـ).

- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)،الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

- **المصطلحات الأربعة في القرآن** ، أبو الأعلى المودودي ، تعريب محمد كاظم سباق ، دار القلم ، الكويت ،ط:5، 1917م.

- **معالم التنزيل في تفسير القرآن** (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ)،تحق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 4، (1417 هـ - 1997 م).

- **معاني القرآن** ، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: 215هـ)، تحق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي ،القاهرة، ط:1،(1411هـ 1990م).

- **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت:311هـ)، تحق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط:1 ،(1408 هـ - 1988 م).

- **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت :207هـ)، تحق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط:1.

- **معاني النحو**، د. فاضل صالح السامرائي ، الناشر: شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة ، التوزيع : مكتبة أنوار دجلة –بغداد ، ط:2 ، (1423هـ 2003م).

- **معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء** ، د. أحمد مختار عمر ، و د. عبد العال سالم مكرم ، انتشارات أسوة (التابعة لمنظمة الحج والأوقاف والشؤون الخيرية) – ايران ، ط:1 ، (1412هـ - 1991م).

- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، محمد فؤاد عبد الباقي ، منشورات ذوي القربى ، ط:3 ، 1423هـ .

- **المعجم الوسيط** ، ابرهيم مصطفى وآخرون ، تحقيق : مجمع اللغة العربية.

- **معجم ديوان الأدب**، للفارابي (ت: 350هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر- القاهرة، سنة (1424 هـ - 2003 م).

- **معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم (دراسة لغوية تفسيرية)**، أ. د. حامد عبد الهادي حسين – أ. م. د. نشأت صلاح الدين حسين ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية - ديوان الوقف السني – العراق ، ط:1، (1433هـ-2012م).

- **معجم مقاييس اللغة** ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،الناشر: دار الفكر:(1399هـ - 1979م).

- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ)،تحق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط: 6، 1985م.

- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط: 3 ، 1420 هـ.

- **مفتاح العلوم** ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكّاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 2، (1407 هـ - 1987 م).

- **المفصل في صنعة الإعراب**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)'تحق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت،ط:1، 1993م.

- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)،تحق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: 1 ، 1412 هـ.

- **المقتضب** ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: 285هـ)، تحق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت، د.ت.

- **مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم (عليه السلام)** ، آية الله الحاج ميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني ، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان ، د. ت.

- **الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر** ، السيد رضي الدين ابن طاووس (ت:664هـ)،مكتبة المنتظر ، بيروت –لبنان ، ط:1، 2013م.

- **المنصف (شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني)**، أبو الفتح عثمان بن جني ،الناشر: دار إحياء التراث القديم، ط: 1 ،(1373هـ - 1954م).

- **المنتخب الحسيني في الأدعية والزيارات** ، إعداد مكتبة الألفين(11/صفر /1430هـ).

- **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام ،ط: 18،(1416 هـ - 1995 م).

- **منّة المنّان في الدفاع عن القرآن** ، للشهيد محمد الصدر، تحق: مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر ،ط:1، 2012م.

- **موسوعة الإمام المهدي (الرؤية القرآنية للقضية المهدوية)** ، عرفان محمود ، مط: باقريان ، نشر الفقاهة – قم ، ط:1، 1425هـ.

- **موضح أسرار النحو** ، الشيخ محمد بن الحسن المشهور بـ (الفاضل الهندي) ، دراسة وتحقيق : د. علي موسى الكعبي ، إشراف : مجمع الإمام الحسين العلمي لتحقيق تراث أهل البيت (عليهم السلام) ، العتبة الحسينية المقدسة ، ط:1، (1436هـ - 2015م).

- **الميزان في تفسير القرآن** ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ،منشورات الأعلمي للمطبوعات / بيروت – لبنان ، ط: 1، (1417هـ- 1997م).

- **النحو القرآني في ضوء لسانيات النّص**، د. هناء محمود اسماعيل ، دار الكتب العلمية –بيروت ، ط:1، 2012م.

- **النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)** ، محمد حماسة ، دار الشروق ، ط:1،(1420هـ- 2000م).

- **النص والخطاب والأجراء** ، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط:1، 1418هـ .

- **النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي** ، عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء ، ط:1، (1427هـ - 2006م).

- **نظام المجموعات الكامل** ، عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء ، ط:1، (1429هـ - 2008م).

- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- **نهاية أحداث التاريخ البشري موسوعة بقية الله الأعظم** ، الشيخ جعفر حسن عتريسي ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط: (1430هـ - 2009م).

- **نهاية العالم أشراط الساعة الصغرى والكبرى** ،د. محمد عبد الرحمن العريفي ، دار التدمرية ، الرياض ،ط:12، 2011م.

- **الهداية الكبرى** ، الخصيبي(ت: 334هـ) ،مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان ، ط:4،(1411هـ-1991م).

- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي (ت: 437هـ)، تحق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ،الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ،ط: 1،(1429 هـ - 2008 م).

- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، تحق: أحمد شمس الدّين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط:1، (1418هـ -1998م).

- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)،تحق: صفوان عدنان داوودي ،دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت ،ط: 1، 1415 هـ.

- **وراثة الأر ض في القرآن الكريم والكتب السماوية دراسة وتحليل** ، نور مهدي الساعدي، مطبعة مركز الدراسات التخصصية ،ط:1، 2013م.

- **ينابيع المودة** ، العلامة الشيخ سليمان بن الشيخ إبراهيم الحسيني البلخي القندوزي الحنفي، صححه وعلّق عليه علاء الدين الأعلمي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت – لبنان ، ط:1، (1418هـ - 1997م).

- **يوم الخلاص في ظل القائم المهدي(عليه السلام) (علائم الظهور- الملاحم والفتن)**، كامل سليمان، الناشر: آل علي(عليه السلام)، مطبعة : غدير ، قم ، ط:2، 1383هـ.

الأطاريح والرسائل:

- **الابنية الدالة على اسم الفاعل في القرآن الكريم (دراسة دلالية)**:افراح عبد علي كريم الخياط ، إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد ،(2003م). (اطروحة).

- **الاحتمال الدّلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم على ضوء التحليل اللساني** ، مجيب سعد أبو كطيفة، إشراف : د. حسن الأسدي، فلسفة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية –جامعة كربلاء ،(1436هـ-2015م).(إطروحة دكتوراه)

- **أسماء الاشارة في القرآن الكريم (دراسة لغوية ونحوية)**، حسام عدنان رحيم الياسري ، إشراف :د .حاكم مالك الزيادي ، جامعة القادسية ، كلية الآداب ، تموز /2000م. (رسالة ماجستير).

- **ألفاظ الأيام في التعبير القرآني ، دراسة دلالية** ، حنان أحمد عبدالله رعد ، رسالة ماجستير /التربية للبنات /جامعة بغداد : 2012م.

- **الآيات المتعلقة بالإمام علي (عليه السلام)(دراسة في ضوء المعنى النحوي الدّلالي)** ، رضي فاهم عيدان ،إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة (العتبة الحسينية المقدسة)، ط:1، (1436هـ -2015م). (رسالة ماجستير).

- **حرف الواو في القرآن الكريم (دراسة نحوية دلالية)** ، د. سهام جاسم عباس السامرائي،ط:1، 2012م .(إطروحة).

- **الدلالة ونظرية النحو العربي** ، محمد عامر معين، رسالة ماجستير، كلية التربية- الجامعة المستنصرية ، (1417هـ-1997م).

- **المصاحبات المعجمية :المفهوم ، والأنماط، والوظائف** ، لواء عبد الحسن عطية ، رسالة ماجستير /كلية التربية /جامعة كربلاء /2010م.

- **مفهوم الأمر في القرآن الكريم دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي**، د. جميلة زيّان، دار ابن حزم، ط:1، سنة(1431هـ-2010م). [اطروحة].

المجلّات والدوريات :

- **الحل اللغوي بين القصد والاعتباط**، سلام عبد الهادي، (مخطوط).

- **دلالة الجذر اللغوي لـ (س ،م ،ع) في القرآن الكريم** ، أ.م .د عبد الزهرة زبون : مجلة سبيل ، العدد 24السنة الخامسة رجب 1433هـ.

- **الدلالة القرآنية لـ (انتظروا ومنتظرون) في ضوء المدونة المغلقة**، أ.م. حسن عبد الغني الأسدي، جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية، العميد مجلة فصلية محكّمة، السنة الخامسة - المجلد الثامن –العدد (18)، سنة (2016م).

- **الدلالة النحوية بين القدامى والمحدثين** ، د. زينب مديح جبارة النعيمي ، كلية التربية الأساسية /جامعة واسط، مجلة واسط للعلوم الإنسانية ، العدد 12.

- **الزهراء** (عليها السلام) **في القرآن الكريم (آية المشكاة إنموذجاً)** ، م.د . مجيب سعد أبو گطيفة الكرعاوي ،والباحث سلام عبد الهادي العبودي ،كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء، بحث مخطوط.

- **الساعة في القرآن الكريم دراسة دلالية في ضوء منهج المدونة المغلقة** ،د. حسن الأسدي ،مجلة كلية التربية ، مج: 2011/1م .

- **علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً)** ، علوم اللغة ،المجلد التاسع العدد الثاني (2006م).

- **علم النص : تحريات في دلالة النص وتداوله** ، أ. فهيمة لحلوحي ، مجلة كلية الآداب واللغات –جامعة محمد خيضر – بسكرة (الجزائر) ، العددان العاشر والحادي عشر (2012م) : 213.

- **نظرية النحو القرآني بين الدلالة اللغوية والدلالة الدينية** ، كعواش عزيز ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية / جامعة محمد خيضر –بسكرة (الجزائر) ، العدد الخامس ،سنة (2009م) .

Quranic Verses Related To Imam Mahdi (PBUH)

((A Semantic Syntactic Study))

Abstract:

The idea of Mahdism case forms in the Islamic heritage a ideological position urged by sunna after the Holy Quran, therefore the research tried to study this case through the Quranic verses a semantic syntactic study, In an analytical descriptive approach it mentions the lexical significance of the words to be searched and especially those words that were mentioned in the holy Hadith, seeking from that lexical significance a general indication of the word , and then consider grammatical directives and their indications for the verse searched in trying to sway each other in consistent and harmony with the lexical meaning of the vocabularies, in order to show the syntactical features of the composition in which the word or the compound was mentioned to be searched.

The research then analyzes the specific word or compound to be searched and the associated words in the context of verse of the research subject, and then openness to the other Quranic contexts in which this word or compound is mentioned so that the researcher can observe the features which defined by the Quranic use for this word or compound.

The research plan was carried out in three chapters preceded by a preface to clarify the relationship of grammar with semantic and meaning; The first chapter is devoted to study individual words while the second chapter studies the verbal compounds, the last chapter is concerned with the study of

sentences, and the study concludes with a conclusion that included the most important results of the research.

It has been customary in some words and compounds to be synonymous with the Day of Resurrection, until it became fixed in some of the Quranic sources that its events indicate the death of the creatures and the end of the commissioning time.

After reading and managing the research found that in this constant is still something to say, as the research from these resources found what describes future events that will occur in life before the Day of Resurrection, and one of these resources is what describes the Mahdist events of opening of all life locks.

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION

KARBALA UNIVERSITY

COLLEGE OF ISLAMIC SCINCES

ARABIC LANGUAGE DEPARTMENT

Quranic Verses Related To Imam Mahdi (PBUH)

((A Semantic Syntactic Study))

A thesis from the student

Sajjad Abdul Sattar Shaheed

To the Council of College of Islamic Sciences at the University of Karbala

It is part of the requirements for obtaining a Master Degree in the language, Quran and literature

Supervising

Assistant Professor Dr.

Moayed Jassim Mohammed Hussein

2018 1439H